لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

11:35

جامعة القدس المفتوحة

عقيدة إسلامية (2)

5127

حقوق الطبع محفوظة

2008

العقيدة الاسلامية

[2]

العقيدة الإسلامية (٢)

٥١٢٧

الفهـــرس

	الموضوع	المحتويات	الصفحة
١-	الوحدة الأولى	الإيمان بالرسل	
	١-١	المقدمة	٧
	١-٢	النبوة والرسالة	٩
	١-٣	الوحي	١٧
	١-٤	صفات الأنبياء	٢٢
	١-٥	أدلة اثبات النبوة	٣٠
	١-٦	أثـر الإيمـان بالرسـل في حيـاة المسلم	٤٥
	١-٧	الأجزاء الختامية	٤٦
٢-	الوحدة الثانية	الإيمان بالرسل	
		المقدمة	٥٧
	٢-١	ختم النبوة عند المسلمين	٥٩
	٢-٣	البهائية وختم النبوة	٦٩
	٢-٤	القاديانية وختم النبوة	٩٢
	٢-٥	الأجزاء الختامية	١٠٨
٣-	الوحدة الثالثة	الإيمان باليوم الآخر	
	٣-١	المقدمة	١١٩
	٣-٢	مفهوم اليوم الآخر وأدلته	١٢١
	٣-٣	أشراط الساعة (علامات يـوم القيامة)	١٢٧
	٣-٤	عذاب القبر ونعيمه	١٤٠
	٣-٥	حقائق اليوم الآخر	١٥٥
	٣-٦	أثـر افيمـان بـــاليوم في حيـاة المسلم	١٨٤
	٣-٧	الأجزاء الختامية	١٨٥
٤-	الوحدة الرابعة	الإيملن بالقدر	
	٤-١	المقدمة	١٩٧

٤-٢	مفهوم القدر وأدلته وعقيدة أهل السنة فيه	١٩٩
٤-٣	أفعال العباد بين التسيير والتخيير	٢١٣
٤-٤	الهدى والضلال وأثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم	٢٣٧
٤-٥	الأجزاء الختامية	٢٤٦

مقدمة المقرر

عزيزي الدارس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نرحب بك إلى هذا المقرر 5127 العقيدة الإسلامية (2) الذي يعد استكمالاً لما ورد في المقرر السابق، 5123 العقيدة الإسلامية (1) حيث كنا قد تناولنا مفهوم العقيدة ومصادرها وخصائصها ومفهوم الإيمان ونواقضه، ثم أردفنا ذلك بالحديث عن أركان الإيمان الثلاثة الأولى، وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه لينتهي المقرر الى هذا الحد، آملين أن يكون هذا المقرر قد حقق أهدافه المرجوة التي وضع لتحقيقها.

وها نحن نمضي معك، عزيزي الدارس، لنتناول معك بقية أركان الإيمان وهي الإيمان بالرسل واليوم الآخر والقدر ، لتشكل في مجموعها مادة هذا المقرر الجديد، آملين أن تتيح لك المادة التعليمية المقدمة لديك فرصة التفاعل مع فقراته، من خلال الدراسة الذاتية والإجابة عن الأنشطة والتدريبات وأسئلة التقويم المبثوثة ضمن أقسام المقرر المختلفة.

ونحن نأمل من خلال هذا التنوع في عرض المادة التعليمية أن تترسخ لديك ركائز هذه العقيدة بصورة تربي لديك التعرف على جوانبها المختلفة، واكتساب الحصانة الثقافية التي تؤهلك للوقوف في وجه التيارات الإلحادية والعلمانية والتيارات الدينية المنحرفة المضادة لهذه الملة التي كفل الله تعالى لها الخلود بحفظ كتابه العزيز، هذا إلى جانب تعزيز الاتجاهات الإيجابية التي يفرزها التفاعل مع معطيات هذه العقيدة جملةً وتفصيلاً.

الأهداف العامة للمقرر:

ينتظر من الدارس بعد دراسة هذا المقرر وتنفيذ الأنشطة والتدريبات الواردة فيه تحقيق الأهداف التالية:

1. يستوعب مفهوم كل من النبي والرسول.
2. يستخلص أهمية الإيمان بالرسل في حياة الناس.
3. يتعرف مفهوم الوحي وأنواعه وأدلة الإيمان به.
4. يتبين خصائص الأنبياء ومعجزاتهم وأدلة اثبات النبوة.
5. يحصن عقيدته في الرسالة الخاتمة بما يمكنه من الرد على الفرق الضالة كالبهائية والقاديانية.
6. يتبين مفهوم اليوم الآخر وعلاماته وحقائقه.
7. يستنتج أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة الناس.
8. يستوعب مفهوم القدر وعلاقته بمفهوم القضاء.
9. يتعرف مذاهب العلماء في أفعال العباد من حيث التسيير والتخيير.
10. يتبين أثر الإيمان بالقدر في حياة المؤمن.

محتوى المقرر:

يحتوي هذا المقرر على الوحدات الدراسية الأربع التالية:

الوحدة الأولى: الإيمان بالرسل (1) ونتحدث فيها عن النبوة والرسالة والأنبياء وخصائصهم وصفاتهم ومعجزاتهم، ودلائل النبوة وأثر الإيمان بهم في حياة المسلم.

الوحدة الثانية: الإيمان بالرسل (2)، وهي تتعلق بختم النبوة وعقيدة المسلمين في هذه المسألة، ومواقف بعض الفرق الضالة منها البهائية والقاديانية.

الوحدة الثالثة: الإيمان باليوم الآخر من حيث: مفهومه وأشراطه وحقائقه، وأثر الإيمان به في حياة المسلم.

الوحدة الرابعة: الإيمان بالقدر من حيث: مفهومه وأدلته، ومواقف العلماء من التسيير والتخيير، وأثر الإيمان به في حياة المسلم.

والأمل معقود عليك، عزيزي الدارس، أن تنتقل بهذه المادة وتنتقل بك من حيز السكون والثبات إلى حيز الحركة والنشاط، وعلى الله تعالى قصد السبيل، وعليه الاتكال.

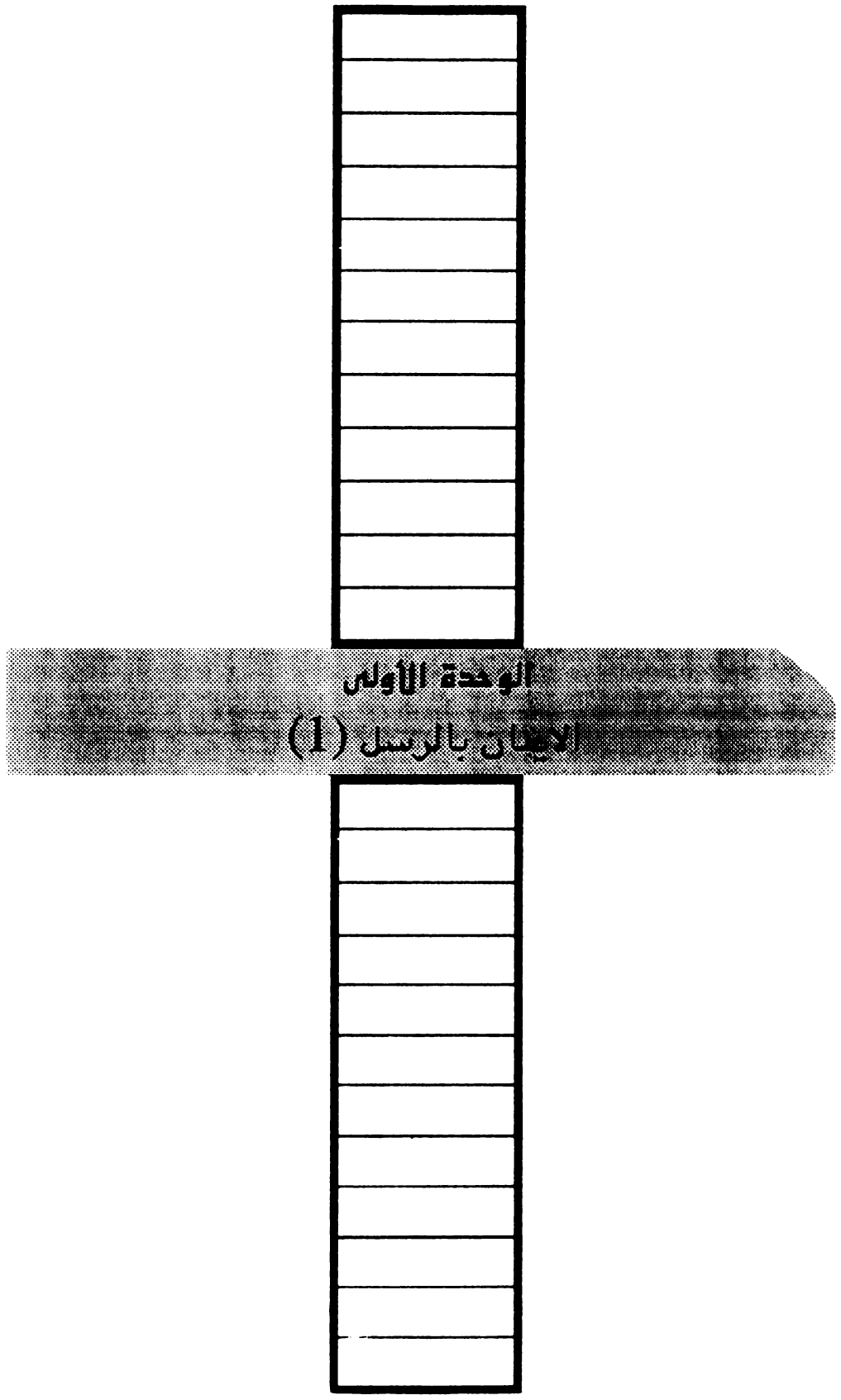
الوحدة الأولى
الإيمان بالرسل (1)

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
1. المقدمة	7
1.1 تمهيد.	7
2.1 أهداف الوحدة.	7
3.1 أقسام الوحدة.	8
4.1 قراءات مساعدة.	8
5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة.	8
2. النبوة والرسالة	9
1.2 مفهوم النبي ومفهوم الرسول والفرق بينهما	9
2.2 الفرق بين النبوة والفلسفة والعبقرية.	10
3.2 حاجة الناس الى الرسل.	13
3. الوحي	17
1.3 مفهوم الوحي.	17
2.3 أنواع الوحي وأدلته.	18
3.3 أساليب اتصال جبريل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وسلم.	20
4. صفات الانبياء	22
1.4 صفات الأنبياء الخَلقية.	22
2.4 صفات الأنبياء الخلقية.	24
5. أدلة إثبات النبوة:	30
1.5 الأدلة العقلية على إثبات النبوة.	30
2.5 الأدلة النقلية لإثبات النبوة.	43
6. أثر الإيمان بالرسل في حياة المسلم.	45
7. الخلاصة.	46
8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية الثانية.	47
9. إجابات التدريبات.	48
10. مسرد المصطلحات.	50
11. المراجع	51

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس: أرحب بك إلى الوحدة الأولى من مقرر (عقيدة إسلامية (2)، وهي الخاصة بمعالجة الجزء الأول من الإيمان بالرسل، وغير خاف عليك أهمية الوقوف على مفردات هذه الوحدة وجزيئاتها، فالإيمان بالرسل ركن أساس من عقيدتنا الإسلامية التي نشرف بحملها والانتماء إليها. والرسل عباد الله الأخيار الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة وهداية الناس "رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس عل الله حجة بعد الرسل". (سورة النساء 165).

والحديث عن الإيمان بالرسل يتطلب منا البحث في مفهوم النبوة والرسالة والوحي، كما يتطلب منا البحث في صفات الانبياء وأدلة إثبات النبوة، ونعني بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والمأمول من وراء هذا العرض إكسابك القناعة اللازمة بهذه العقيدة، قناعة تعتمد على المنقول الصريح، والمعقول الصحيح.

ولكي نتيح لك فرصة التفاعل مع فقرات هذه الوحدة، فقد قمنا بتعزيز المادة التعليمية بمجموعة من التدريبات والانشطة التي يؤمل منك الإجابة عنها، إضافة إلى مجموعة من أسئلة التقويم في اعقاب كل قسم من أقسام الوحدة.

وإذا فاتك إستيعاب أحد المفاهيم التي تعرض لك في أثناء دراسة المادة، فما عليك إلا الرجوع إلى قائمة المصطلحات الموجودة في الاجزاء الختامية للوحدة، كما وضعنا لك إجابة عن تدريبات الوحدة لتقارن إجابتك الخاصة عنها بتلك الإجابات النموذجية للتأكد من صحتها.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك عزيزي الدارس بعد دراستك هذه الوحدة والقيام بتدريباتها وأنشطتها أن تكون قادراً على أن:

1. تشرح المفاهيم الأساسية الواردة في الوحدة كالنبوة والرسالة والمعجزة والوحي.
2. توضح حاجة الإنسانية إلى الرسالة.
3. تميز بين النبوة والرسالة، وبين النبوة والعبقرية والفلسفة.
4. تعدد أنواع الوحي.
5. تستدل على النبوة والوحي.
6. توضح خصائص الأنبياء وصفاتهم.
7. تميز بين المعجزة والكرامة والسحر وسائر الخوارق.
8. تبين أنواع المعجزات وتمثل عليها.
9. توضح المعجزة القرآنية وأوجه اعجازها.
10. تبين اعتزازك بالايمان بالرسالة الإسلامية وبالقرآن الكريم.
11. تظهر أثر الإيمان بالرسل في حياة المسلم.

3.1 أقسام الوحدة

تشتمل هذه الوحدة خمسة أقسام رئيسية هي:

الأول: النبوة والرسالة، وهو يغطي الأهداف 1-3

الثاني: الوحي، وهو يغطي الأهداف 1،4،5

الثالث: خصائص الأنبياء وصفاتهم، وهو يغطي الهدف 6

الرابع: أدلة إثبات النبوة، وهو يغطي الأهداف 7،8،9،10

الخامس: أثر الايمان بالرسل في حياة المسلم، وهو يغطي الأهداف 7،8،9،11

وسيلي هذه الاقسام عرض للأجزاء الختامية للوحدة، فنورد لك خلاصة لما ورد فيها، وتعريف بالوحدة اللاحقة، وإجابات التدريبات، ومسرداً بالمصطلحات، ثم قائمة بالمراجع والمصادر للإفادة منها.

4.1 القراءات المساعدة

سوف تجد، عزيزي الدارس، في المادة التعليمية بين يديك ما يكفي للوصول بك نحو تحقيق الأهداف المرجوة منها، ومع ذلك فإننا نطمع أن نوجهك إلى مطالعة بعض المراجع ذات العلاقة التي يؤمل ان تسهم في تعميق فهمك وتوسيع معلوماتك في الموضوعات المطروحة للبحث، ومن هذه المراجع.

1. البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دمشق، دار الفكر، ط ١، 1389هـ/ 1969م.
2. الخن، مصطفى، مبادىء العقيدة الإسلامية، منشورات جامعة دمشق، ط8، 1414 هـ / 1994م.
3. سابق، السيد، العقائد الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي.
4. الميداني، عبدالرحمن حسن حنبكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط5، 1408هـ / 1988م.

5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة

عزيزي الدارس: إنك في حاجة إلى تخصيص الوقت الكافي لدراسة هذه الوحدة، وأن تقوم بداية بالاطلاع عليها بصورة عامة لتتعرف على مجمل موضوعاتها، ثم تقرأها للمرة الثانية دراسة متأنية تقف فيها على كل مفهوم وكل حكم يرد فيها وتستوعبه بصورة جيدة، وتقوم في أثناء ذلك بإجراء التدريبات وعمليات التقويم الذاتي، ثم تعود مرة ثالثة إلى هذه المادة فتقوم بإجراء النشاطات الإثرائية الواردة فيها، ولكي تتمكن من المادة بشكل جيد، فإني أنصحك أن تقتني أحد كتب العقيدة التي ذكرتها لك في بند القراءات المساعدة، ليكون عوناً لك في دراستك لهذه الوحدة وبخاصة، العقائد الإسلامية للسيد سابق، أو مبادىء العقيدة الإسلامية لمصطفى الخن، فكل واحد منهما يعطيك صورة واضحة عن أركان العقيدة والقضايا الأساسية التي تتفرع عنها.

2. النبوة والرسالة

هذا هو القسم الأول من أقسام هذه الوحدة،وسيتفرع حديثنا فيه إلى الفقرات التالية:

1.2 مفهوم النبي ومفهوم الرسول والفرق بينهما

عزيزي الدارس: حتى يتضح لك مفهوم كل من النبي والرسول لا بد من تحقيق ذلك في اللغة قبل الشروع في بيان المعنى الاصطلاحي.

أ. فالنبوة مشتقة من النبأ بمعنى الخبر، قال في المصباح "والنبأ الخبر، والجمع أنباء، مثل سبب وأسباب، وأنبأته الخبر وبالخبر ونبأته أعلمته، والنبيء على فصل مهموز لأنه أنبأ عن الله أي أخبر" ويمكن ان تكون النبوة من النبوة: وهي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع.

أما النبوة إصطلاحاً فتعني: وصول خبرمن الله تعالى إلى أحد خلقه عن طريق الوحي، وإعلامنا إنه نبي (الخن، 197 والبوخي،172)، فالكلمة إذاً تفسير للعلاقة بين النبي والخالق جل جلاله، وهي علاقة الوحي والإنباء. (البوطي،172). "وترجع النبوة إلى قول الله تعالى لمن يصطفيه أنت رسولي" (الجويني، 355).

وأما ما يتناسب مع المعنى اللغوي أن النبوة هي الخبر والارتفاع فهو: اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي إليه. (حبنكة، 297).

ب. الرسالة: الرسالة مشتقة من الارسال، فيقال أرسل إرسالاً، وأرسله في رسالة، فهو مرسل ورسول (الرازي، 242).

وفي الاصطلاح الرسالة تعني: تكليف الله تعالى لأحد عباده بإبلاغ الآخرين بشرع أو حكم معين. فالكلمة إذاً تفسير للعلاقة بين النبي وسائر الناس، وهي علاقة البعث والإرسال.

(البوطي، 172هـ و حبنكة، 298)

جـ. الفرق بين النبي والرسول:

١) ذهب كثير من العلماء أن الكلمتين مترادفتان، وانهما ذات مدلول واحد، فكل نبي يسمى رسولاً، وكل رسول يسمى نبياً، غير أنه يسمى رسولاً بالنظر إلى ما بينه وبين الناس فقد أرسله الله تعالى إليهم، ويسمى "نبياً بالنظر إلى ما بينه وبين الله حيث إنه نبي وأوحي إليه، وكلاهما متلازمان، وقد ذهب إلى هذا الرأي القاضي عياض والسعد التفتزاني (الخن، 197 والبوطي، 172 - 1973).

٢) وذهب فريق من العلماء إلى التفريق بين النبي والرسول فالنبي هو إنسان أوحي إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر والرسول هو إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه للناس، فالنبي اعم من الرسول، فكل رسول نبي لأنه أوحي إليه بشرع، ولكن ليس كل نبي رسولاً، لأنه قد يوحى إليه ولا يؤمر بالتبليغ، فبين الرسول والنبي عموم وخصوص. (الخن، 197هـ التميمي، 154).

ويشهد لهذا التفريق وصف الله بهما معاً، وفي هذا إشعار بتغاير مفهومهما من الاصطلاح الشرعي ومن ذلك قوله تعالى:

"واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً" (مريم/51).

والملاحظ أن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة، فلا يتم الاصطفاء بالرسالة الا ممن تم اصطفاؤه بالنبوة أي بالوحي إليه كما سبق في التعريف. قال تعالى: "يا ايها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً" (الاحزاب/45 -46). فالنبوة تكون متحققة اولا ثم يأتي بعدها الارسال... وقد يقتصر الله الاصطفاء بالنبوة بالنسبة للأنبياء دون ان يأمرهم بتبليغ رسالته وهؤلاء نسميهم انبياء لا رسلاً، وعلى هذا فتكون مهمة النبي الذي لم يؤمر بتبليغ رسالة: العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا. (حبنكة، 299 - 301).

وقد قال شارح العقيدة الطحاوية: "قد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره ان يبلغ غيره، فهو نبي وليس رسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. (الطحاوي، 167).

والقول الثاني الذي يرى وجود فروق بين النبي والرسول هو القول المشهور بين علماء المسلمين وأئمتهم وعليه جمهورهم. (السايح، 202 والخن، ص 197).

وعلى هذا فإننا نعرف كلا من النبي والرسول بأنه: انسان أوحى الله إليه بواسطة جبريل يقظةً أن يبلغ عامة الناس أوفئة منهم امراً من قبل الله جل جلاله، فإن أوحى إليه بأمر ولم يأمره بتبليغه فهو نبي فقط! (البوطي، 173). ويشهد لهذا الرأي قوله تعالى: "وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى" (الحج/52)

نشاط (1)

عد إلى كتاب كبرى اليقينيات الكبرى للبوطي ص 174 ، وقف على محمد عبده للنبي والرسول ولخص رد البوطي على هذا التعريف.

2.2 الفرق بين النبوة والفلسفة والعبقرية

1.2.2 الفرق بين النبوة والفلسفة

عرفت أن النبوة تعني وصول خبر من الله تعالى الى احد خلقه عن طريق الوحي وإعلامنا بأنه نبي، والوحي اختيار واصطفاء منه ولا يكون بإرادة النبي ولا بفعله ولا بكسبه، ولا بإشراق نفسه، بل كل ذلك يكون من الله تعالى؛ فهو الذي يختار الأنبياء ويعدّهم بحمل الرسالات الإلهية، قال تعالى: "الله أعلم حيث يجعل رسالته". (الأنعام/124) ويوحي إليهم ما يشاء من العقائد والأحكام التي فيها خيرهم في الدنيا والآخرة.

والوحي هو الأساس الذي يقوم على حقيقته معنى النبوة والرسالة، ومن ثم فهو النبع الأول لعامة الإخبارات الغيبية وشؤون العقيدة وأحكام التشريع، ذلك أن حقيقة الوحي هي الفيصل الوحيد بين

الإنسان الذي يفكر من عنده، ويشرع بواسطة رأيه وعقله ، والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد. (البوطي، 175).

أما الفلسفة فقد عرفها اليونانيون بأنها الحكمة أو حب الحكمة وأطلقوا عليها كلمة "فيلوسوفيا" وهي مكونة من مقطعين "فيلو سوفيا" حب الحكمة، ومنها اشتق اسم "فيلوسوف" أي الفيلسوف أو الحكيم.

وقد بحث الفلاسفة في الإلهيات بحثاً مجرداً، وتناولوا الوجود المطلق، وبحثوا في الذات الالهية وفي صفاتها. ومنهم من قال بأزلية الوجود وقدم العالم، وهم في أبحاثهم يعتمدون الاستدلال النظري منتظرين ما يؤدي الية الرهان سائرين خطوة خطوة حتى يصلوا الى النتيجة كائنة ما كانت فيعتقدونها، والعقل هو مصدر المعرفة عندهم ولا يعترفون بالوحي.

وقد تكلم عشرات الفلاسفة في المادة وما وراء المادة منذ أمد طويل، والتراث الذي خلفوه لنا خليط من الصواب والخطأ، وقد تخبطوا في أقوالهم لابتعادهم عن منهج الوحي الإلهي، ولهذا حفلت اقوالهم بالنقائص والخرافات. (الغزالي، 230).

كما أننا نجد أن بحوث الفلاسفة في أمور الغيب ضروب من الحدس والتخمين والاستدلالات الخطابية والشعرية، التي لا تعتمد على برهان سليم، فهي قد تصدق وقد تكذب. لكننا لانجد شيئاً واحداً مما يثبت وروده بطريق قطعي عن أي نبي أو رسول من رسل الله عليهم السلام يخالف الواقع بعد مرور العصور ... كما أننا لا نجد اي اختلاف في الأصول الاعتقادية وفي الأسس العلمية بين الأنبياء والرسل، وإنما نرى وحدة في المعارف التي أتوبها، والاعتقادات التي نادوا بها من امور الغيب. (حبنكة، 316 -317).

قال صاحب إخوان الصفا: "إن الانبياء كلهم مع تباعد ازمانهم واختلاف لغاتهم وموضوعات شرائعهم تجدهم متفقين على رأي واحد ومقصد واحد فيما دعوا إليه في دعوتهم الأمم. أما الفلاسفة فليست شريعتهم واحدة، ولا دينهم واحد، بل آراؤهم مختلفة. وأقوالهم متناقضة تورث لأتباعهم حيرة قلما تنجلي غمرتها" (الغزالي، 230 - 231).

ويمكن القول أن مذاهب الفلسفة كانت تستمد آراءها من الفكر المحض، ولم يكن من همّ أهل النظر من الفلاسفة إلا تحصيل العلم، والوفاء بما تندفع إليه رغبة العقل من كشف مجهول أو استكناه معقول" (عبده، 20). دون نظر إلى المجالات التي يبحث فيه العقل البشري، هل هي من مجالاته أم هي فوق مستواه لا يستطيع أن يبحث فيها، فالذات الإلهية وصفات الخالق، والأمور الغيبية ليست مجالاً للعقل البشري ليبحث فيها لأنها لا تخضع للعملية العقلية التي تحتاج إلى وجود واقع محسوس ومعلومات كافية بدقيقة تفسره وحواس سليمة توصل هذا الواقع إلى الدماغ ليقوم بإدراكه وتفسيره وإصدار الحكم عليه ي ضوء ذلك.

ولهذا إذا ما أقدم الإنسان على بحث هذه الأمور دون الاعتماد على الوحي الإلهيي، فإنه لا توصل إلى معرفة صحيحة، بل يصل إلى خرافات وخيالات وظنون. قال تعالى: "وما لهم به من علم إن تبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئ" (النجم/28)

فالفلسفة بصورة عامة هي وليدة العقل البشري الحر الذي يخطىء ويصيب، بينما النبوة وضع إلهي يرتبط بالوحي الذي يقدم للإنسانية معرفة يقينية في مجال العقائد، ومعرفة صحيحة في مجال الأحكام التنظيمية لشؤون الإنسان في علاقاته مع ربه ومع نفسه ومع غيره من الناس.

2.2.2 النبوة والعبقرية

عرفت ان النبوة او الرسالة لا تاتي عن طريق الكسب او التعليم، وإنما هي مِنّة الله تعالى خلقه، يخص بها بعض عباده، الذين هيأهم لحمل هذه المهمة لصفاء نفوسهم ونقاء أرواحهم: قال تعالى: "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل في ضلال مبين" (آل عمران، 164)، وقال تعالى "ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده" (ابراهيم، 11)، (السائح، 204).

وهذا يعني ان الرسالة لا تاتي إلا بمحض اختيار من الله عز وجل كما قال تعالى: "الله أعلم حيث يجعل رسالته" (الأنعام، 14) (البوطي، 228).

أما العبقرية فنريد ان نوضح أولاً المعنى اللغوي لها ثم نتوصل إلى المعنى الاصطلاحي، فقد جاء في مختار الصحاح: عبقر موضع تزعم العرب انه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه، أو جودة صنعه وقوته فقالوا: عبقري والانثى عبقر ية، يقال ثياب عبقرية، وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهي البسط التي فيها الأصباغ والنقوش، حتى قالوا: عبقري القوم للرجل القوي، قال تعالى: "متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان". (الرحمن / 76).

من هذه المعاني اللغوية أخذ المعنى الاصطلاحي، وأصبحت العبقرية هي الأمر القوي الجيد الحاذق الغريب في ما وصل إليه، ويقال عبقري بمعنى إنسان متميز على غيره وعلى أقرانه، ومتميز بين أمته، وغالباً ما يطلق على صاحب العقل المتميز الرفيع الذي يأتي بما لم يات به قومه.

فالعبقرية هي المواهب البشرية التي يصل إليها بعض الناس، وتنمى عندهم بحيث يتميزوا بها على غيرهم، فهناك عباقرة الشعراء وعباقرة الأدباء، وعباقرة علماء الطبيعة. وهكذا فالعباقرة هم الذين وصلوا إلى مراتب علمية متميزة في ميادين علمهم.

ولقد ظهر في البشر عباقرة في مختلف نواحي العبقرية، ولكن لكل عبقري، مهما سما في آفاق العبقرية، سقطات خلقية تجعله غير صالح لأن يتاسى به في كل شيء وليكون المثل الاعلى كما أن لكل عبقري كبوات فكرية تجعل انظمته ومبادئه عرضة للاعتراض والنقد، بسبب بعدها عن وجه المصلحة، ومخالفتها لمجموعة الطبائع الانسانية، باعتبار واضعها متاثر بوجهة نظر خاصة، من خلال مزاجه الخاص دون ان يدرس نفوس الآخرين وأمزجتهم، أو يقدر على الإحاطة بها،ومن ثم تكون أنظمته غير موثوقة ثقة كاملة دائمة بوصفها نظم حياة صالحة لمجموعة بشرية. (حبنكة، 315).

وكثيراً تكون العظمة في حياة العبقري امتداداً في موهبة من مواهب النفس، بل كثيراً ما يكون هذا الامتداد على حساب المواهب الإنسانية الأخرى التي تكون قد أصابها الضمور والشلل في حياة العبقري... ومن هنا لا نعدم في سيرة كل عظيم من أولئك المشهورين نقطة سوداء أو جانباً غامضاً، فهناك من القادة السياسيين والفلاسفة والشعراء والمفكرين والمخترعين من تفجؤك في أحوالهم واعمالهم أمور

شائنة تستغرب كيف يصدر مثلها عنهم، كالعقد النفسية، والشذوذ الجنسي، وجنون العظمة وتقديس الذات واثرة حادة ، وكذلك تتسم حياتهم بالنقائص الموزعة على جانب مستور من حياتهم، وجانب مكشوف للناس لاغبار عليه. (الغزالي، 251 -253).

هذا حال العباقرة، أما الانبياء - باعتبار أن مصدر علمهم ونظمهم وحي من عند الله فاطر السماوات والأرض، وخالق الانس والجن، فتعاليمهم معصومة عن الخطأ والزلل. (حبنكة، 315) وهم يصطفون اصطفاء من الله تعالى، فتكون قلوبهم نقية تربطها بالملأ الأعلى اواصر الطهر والصفاء، وعقول حصيفة ناضجة لا تنخدع عن حقائق الاشياء، وأجسامهم مبرأة من العلل الخبيثة. والأمراض المشوهة أو المنفرة، وصلتهم بالناس قوامها البر والخير... ثم انهم أمناء على الوحي الالهي والهداية الربانية، فكلامهم حكمة وحياتهم أسوة، سريرتهم وعلانيتهم سواء، فليس لأحدهم صفة مطوية وأخرى مكشوفة. طرائق معيشتهم الخاصة كمناهج دعوتهم العامة. وهم خيرة الله من خلقه. قال تعالى: "الله أعلم حيث يجعل رسالته" (الأنعام، 124) وقال تعالى: "الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير" (الحج، 7)، (الغزالي، 254 - 257).

ومما تقدم يتبين لنا أن مهمة الرسول لا يمكن أن تاتي عن طريق العبقرية ، ولا عن طريق الفلسفة، وأنها تحمل أخباراً كثيرة مما هو داخل في عالم الغيب مما يرتبط به اصلاح الناس، كالبعث والحساب والجنة والنار مما لا سبيل إلى إثباته الا عن طريق المتصلين بعالم الغيب، وهم الرسل، كما تحمل بياناً للصراط المستقيم الذي يحدد سلوك الناس في حياتهم، ليتعاملوا بالقسط، وينالوا السعادة في الدنيا والآخرة. (حبنكة، 316).

تدريب (1)

بعد دراستك للفروق بين النبوة والفلسفة والعبقرية قم بإعداد جدول تبين فيه الفروق الرئيسية بينها.

3.2 حاجة الناس إلى الرسل

اقتضت حكمة الله تعالى عمارة الأرض، فأخرج آدم عليه السلام وزوجه من الجنة وعلم آدم الاسماء كلها التي يحتاجها لتنظيم شؤون حياته، وليتمكن من التعامل مع الوجود من حوله، قال تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة/ 31). ثم أعلمه وذريته من بعده أنه تعالى يعلم ضعف الانسان وحاجاته وما يصلح شأنه وما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك/ 14).

ولذلك أمد آدم عليه السلام بالهداية الأولى وجعل حبلها ممتداً في كل الامم، قال تعالى: "قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم من هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" (البقرة / 38 - 39).

ولقد جاءت هداية الله تعالى للناس على مر العصور على لسان رسله الذين ارسلهم مبشرين ومنذرين قال تعالى: "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"(البقرة / 213). ولقد كان الرسل عليهم السلام يقومون بمهمات عظيمة في خدمة أقوامهم وإصلاح أحوالهم في جميع المجالات، وتظهر حاجة الناس إليهم من المهمات التي القاها الله تعالى على عاتقهم تجاه أقوالهم، وفيما يلي تبيان لأهم هذه المجالات:

1.3.2 مجال الاعتقاد:

لقد فطر الله تعالى الإنسان على معرفته سبحانه وعلى الاقبال على عبادته وتقديسه وحده، ولو ترك الانسان وشأنه دون تاثير البيئات المنحرفة لنشأ مؤمنا بوجود خالق لهذا الوجود، ومعترفاً بحاجته إليه، ولكننا إذا تتبعنا تاريخ البشرية منذ فجر التاريخ حتى اليوم وجدنا الانسان قد ضل في الاهتداء الى الخالق المدبر، فظنه جماعة "الشمس" فعبدوها، أو القمر أو غيره من الكواكب فتوجهوا إلى ما اعتقدوه بالعبادة، واتجه قوم إلى الأرض فالهوا بعض ما عليها من مخلوقات من شجر وحجر وصوان. قال الله تعالى: " فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطرالناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون" (الروم /30).

فعن ابي هريرة ، قال صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" (البخاري، باب الجنائز، رقم الحديث (48) في المختصر مسلم ج 16 باب معنى كل مولود يولد على الفطرة رقم الحديث 2658).

إن خروج الأمم والشعوب عن هذه الفطرة السليمة تظهر مدى حاجتها الى الرسل الذين يعرفونهم على خالقهم، ويبعدونهم عن هذه الانحرافات والضلالات، من الكفر بالله تعالى، وعبادة غيره، "لأن ترك الناس من غير تنبيه وارشاد يوقعهم في الضلالات وذلك بسبب اندفاعهم وراء غرائزهم وشهواتهم وانانياتهم. (حبنكة، 307).

إن أكبر دليل على حاجة الناس الى الرسل الوقوف على الحقائق المتعلقة بخلق الانسان ومصيره، والمتعلقة بهذا الوجود ومآله، وبأسرار الحياة ونهايتها، وما يترتب على هذه الامور من ضرورة معرفة امور الغيب المرتبطة بحياة الانسان والمؤثرة بمسارها كاليوم الآخر وما يجري فيه من بعث ونشور، وصراط وميزان، وحساب وجزاء وجنة ونار.

إن هذه الحقائق المتعلقة بعالم الغيب التي لا غنى عنها لإصلاح الناس وتقويم سلوكهم والتي يبلغها الرسل المؤيدون من عند الله تعالى بالمعجزات، لا يمكن للعقل البشري أن يتعرف عليها بالوسائل الانسانية العادية". (حبنكة، 308).

2.3.2 مجال العبادة

خلق الله تعالى الانسان لعبادته وطاعته،قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون" (الذاريات/56). ولا يستطيع الانسان بطاقاته المحدودة وقدراته المقدرة أن يقف على العبادة التي يريدها الله تعالى من عباده، اذ كيف يتسنى له ذلك وهو المخلوق المحتاج، أمام الخالق العظيم الغني عن العالمين.

إن عبادة الله تعالى تكون بطاعته وتنفيذ شريعته، والالتزام بأداءشعائر محددة ارتضاها لنفسه ليس للانسان أن يغيرها بزيادة او نقصان، فهو تعالى الذي يحدد ما يرضيه وما يعبد به. والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الذين يبنون للناس شعائر الدين وما يتصل بها من اركان وشروط وهيئات حتى تكون مقبولة عند رب العالمين. لان الانسان لو ترك دون بيان لكيفية العبادة، فإنه يقع في الضلال والشرك فيعبد المخلوقات التي هي دونه منزلة في هذا الوجود، فتراه يعبد الشجر والحجر، والنجوم والكواكب، والحيوانات والطيور وغير ذلك من مظاهر الطبيعة.

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة بكل وضوح، فقد كان يقوم بالعبادة أمام اصحابه طالباً منهم الاقتداء به، فقد صلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالناس وقال لهم: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الناس)، وحج صلى الله عليه وسلم وقال وهو يرمي جمرة العقبة يوم النحر: "لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا" (مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكب".

3.3.2 مجال تنظيم المجتمع

بين القرآن الكريم المصلحة من إرسال الرسل عليهم السلام، وحاجة الناس إليهم في عدة آيات كريمات، فمنها ما يشير إلى فوائد الرسالة في تعريف الناس بحقائق الدين وأحكام الشريعة ليقوم الناس بالعدل. قال تعالى: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (الحديد/ 25). لأن أي مجتمع في حاجة ماسة الى تشريعات تنظم حياة الناس وعلاقاتهم، وقد يصنع البشر شرائع تنبثق من مصالح الفئات التي تصنعها - فتكون قاصرة لقصور قدرات الذين يضعونها، وهي محدودة بالزمان والمكان اللذين توضع فيهما تلك الشرائع، لذا فهي عاجزة عن تحقيق السعادة للبشر، ويترتب عليها عادة الحروب والمنازعات، وحلول العداوة والبغضاء بين الناس - وتكون عرضة للتغيير والتبديل حسب أي الفئات المتنفذة والمسيطرة في المجتمع.

والناس لا يستطيعون بأنفسهم أن يتوصلوا إلى جميع الخيرات والفضائل الإنسانية، والكمالات الخلقية، ويتفقوا عليها، لأن عوامل غرائزهم وشهواتهم وأهوائهم وأنانيتهم تُصرفهم عن الحق والخير وتصور لهم الشر خيراً، والخير شراً، ولذلك فهم بحاجةلمن يبين لهم وجوه الخير ووجوه الشر، ويبين الأخلاق الكريمة التي يحتاجونها في حياتهم للتخلص من الأمراض النفسية والاجتماعية كالكره والحسد والانانية والبخل والكذب والتكبر والتعصب الأعمى للقبيلة أو العشيرة أو القوم.

إن الرسل عليهم السلام هم الذين يلبون حاجة الناس من النظم والشرائع التي تنظم حياتهم وتعالج مشكلاتهم وتهذب نفوسهم وتجعلهم أمة قوية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، لأن هذه الشرائع وحي من عند الله تعالى الذي خلق الناس وهو أعلم بما يصلح حالهم ويسعدهم قال تعالى: "الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك/14)

وقال تعالى: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (الحديد /25)

فالشرائع الإلهية - شرائع عادلة تعطي لكل إنسان حقه بالعدل وتخلص المجتمع من الظلم والطغيان والفساد، وتنصف الفقير من الغني، والضعيف من القوي، وتحقق التضامن الاجتماعي في المجتمع.

4.3.2 مجال الاقتداء بالرسل

الناس بحاجة ماسة في مجال اصلاحهم وإصلاح مجتمعاتهم إلى مصلح يكون أسوة حسنة لهم، تتوافر في شخصيته صفة القدوة الحسنة والعصمة عن الخطأ في المبادىء والعلوم التي يهدي الناس إليها، والعصمة عن الخطأ في الأعمال والأخلاق التي يرشد إليها ويأمر بها وهذا لا يكون إلا للرسل عليهم السلام (حنبكة، 309).

فالرسل هم الذين يطبقون تعاليم الدين عمليا، وهم القدوة الخيرة في تنفيذ أحكامه، ولذلك أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهم في كل شيء، قال تعالى: "فبهداهم إقتده" (الأنعام/90).

وإذا تأملت طبائع البشر ونزعاتهم وغرائزهم وميولهم وقابليتها لتحيد عن مواقف الحق والخير لأدركت ان الناس بأمس الحاجة إلى رسالة الله تعالى وإلى قدوة صالحة يرسله الله إليهم يجالسونه ويعاينون فيه الصورة التطبيقية الواقعية لدين الله تعالى، فيرون الفضائل حية متجسدة، والرذائل مطروحة مجتنبة" (عتر، 88).

ولقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم مثالاً للكمال الإنساني في كل جوانبها، فهو قدوة في أخلاقه، وفي صبره ومثابرته على الدعوة إلى الله تعالى، وهو قدوة في شجاعتهوجهاده. قال تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً" (الأحزاب / 2).

وهكذا كان جميع الأنبياء والمرسلين قدوة صالحة في أقوامهم، في أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم، في أخلاقهم والتزامهم بدين الله تعالى.

تدريب (2)

الناس في حاجة ماسة الى الرسل، إستخلص مما سبق من المجالات الأربع أمراً واحداً من كل مجال يوضح مدى هذه الحاجة للناس.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. وضح مفهوم النبوة لغة واصطلاحاً.
2. بين مفهوم الرسالة لغة واصطلاحاً.
3. بين الفرق بين النبي والرسول مستشهداً بدليل شرعي لما تقول.
4. وضح ثلاثة فروق بين النبوة والفلسفة.
5. بين ثلاثة فروق بين النبوة العبقرية.
6. الناس في حاجة ماسة إلى الرسل في مجال العقيدة. وضح دورهم في هذا المجال.
7. بين دور الرسل في مجال العبادة.
8. ما الدورالذي يقوم به الرسل عليهم السلام في مجال تنظيم المجتمع؟
9. وضح أهمية وجود الرسل كقدوة حسنة لأممهم الذين يدعونهم الى دين الله تعالى.

عزيزي الدارس: ننتقل بك إلى قسم آخر من اقسام هذه الوحدة، وهو الوحي الإلهي. وسنتناول في هذا القسم القضيتين التاليتين:

1.3 مفهوم الوحي

1.1.3 الوحي في اللغة

إعلام في خفاء، ولذلك صار الالهام يسمى وحيا ،والوحي بمعنى الأشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك. يقال وحيت الكلام اليه واوحيت ووحى وحيا، وأوحى أيضا كتب، والوحي المكتوب والكتاب أيضا. (ابن منظور، مادة وحي).

وقال الإمام عبدالله التميمي: الوحي أصله التفهيم، وكل ما فهم به شيء من الالهام والاشارة والكتب فهو وحي (الألوسي، 52)

وقال الزجاج: الإيحاء: الاعلام على سبيل الخفاء (الرازي، 108) وقال الراغب الاصفهاني: أصل الوحي الاشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب بإشارة بعض الجوارح وبالكتاب، (الاصفهاني، مادة وحي).والى هذا ذهب ابن الأثر، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا "فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا" (مريم /11) اي أشار اليهم ولم يتكلم.

ومنه الالهام الغريزي كالوحي الى النحل، قال تعالى: "واوحى ربك الى النحل"(النحل/ 68)ومنه إلهام الخواطر بما يلقيه الله في روح الانسان السليم الفطرة كالوحي الى أم موسى. قال تعالى: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم" (القصص/ 7).

ووحى الله تعالى الى انبيائه قد روعي فيه المعنيان الاصليان لهذه المادة وهما الخفاء والسرعة، فهو معنى المصدر، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي، أي اسم المفعول، وهو ما أنزله الله تعالى على انبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع، ومنهم من أعطاه كتاباً أي تشريعاً يكتب، ومنهم من لم يعطه.

والله تعالى يوحي إلى ملائكته ما يأمرهم بفعله كقوله تعالى " إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا" (الانفال/ 12)

ويوحي الى ملك الوحي ما يوحيه الملك الى الرسول كقوله تعالى: "فأوحى إلى عبده ما أوحى" (النجم / 10) أي أوحى إلى عبده جبريل عليه السلام ما أوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم.

2.1.3 الوحي اصطلاحا

الوحي شرعاً: هو إعلام الله تعالى رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام او معنى بطريقة تفيد النبي او الرسول العلم اليقين القاطع بما اعلمه الله به. (حبنكة، 528). وقد تناول هذا التعريف عملية الايحاء الالهي وما يترتب عليها من مضمون الوحي.

وقد يطلق الوحي على مضمون العملية، وهو مضمون الوحي الإلهي الذي ينقله الرسول الى الناس، ولذلك فقد عرف بهذا المعنى بانه: إعلام من الرسول أو النبي العلم اليقين القاطع بما اعلمه الله به، وفي هذين التعريفين عدة امور:

أولها: ان الوحي هو اعلام من الله سبحانه المحيط بكل شيء علماً قال تعالى: "وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم" (الشورى/52).

ثانيهما: أن الرسول او النبي يتلقى هذا العلم الإلهي، وهو مستجمع كامل شعوره الفكري والوجداني حول ما يلقى اليه من علم ودون أن يكون لإرادته واختياره تدخل في مضمون ما يلقى إليه أو في لفظه إذا كان ما يلقى اليه لفظاً. قال تعالى: "وما ينطق عن الهوى. إنْ هو إلا وحي يوحى". (النجم/ 3-4).

ثالثها: إن ما يلقى بالوحي من كلام أو معنى يقع في نفس الرسول أو النبي موقع العلم اليقين القاطع بصحة التلقي عن الله سبحانه، بحيث لا يعتريه في ذلك أدنى تردد أو شك. قال تعالى: "واتل ما أوحي إليك من كتاب لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً" (الكهف/ 27).

رابعاً: إن ظاهرة الوحي هي ناموس إلهي به يتلقى جميع الرسل والأنبياء ما يلقى اليهم من إعلام، وفي ذلك يقول تعالى: إنا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم [انظر ص(20) في الاصل] واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً (النساء/163). (الحن ، 204 - 254 ، حبنكة ، 529)

2.3 أنواع الوحي وأدلته

قال الله تعالى: "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌ حكيم" "الشورى/ 51) يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الوحي للرسل والانبياء على ثلاثة أنواع هي:

1.2.3 النوع الأول

الوحي الذي يكون بلا كلام مسموع، وذلك يكون بالإلقاء في القلب يقظة أو مناماً، وهو يشمل ما كان مثل صلصلة الجرس، والنفث في الروع، والالهام والرؤيا المنامية. وهذا النوع ما أشار إليه في الآية بقوله "إلا وحياً أي وحيا مجرداً عن الوساطة،ويكون ذلك بقذف الكلام او المعاني في القلب قذفاً مباشراً يفيد الرسول علماً قطعياً ضرورياً بأن ذلك من عند الله.

(حبنكة ، 533، الحن، 205).

وإلقاء الله معنى في قلب النبي يقظة من غير واسطة ملك، مع وجود علم ضروري عند النبي بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعاً، فهو نور يندلج في القلب فلا يندفع ولا يحتمل الشك أو التاويل. وكذلك

إلقاء الله تعالى معنى في قلب الرسول مناماً. وقد حكى القرآن الكريم على لسان ابراهيم: "يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى" (الصافات /102).

وقد حصل هذا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول عهده بالوحي، روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح" أي ظهرت مطابقتها للواقع كظهور ضياء الصبح لناظره. (البخاري، كتاب بدء الوحي، ومسلم كتاب بدء الوحي، جـ2، 197 - 198 ، رقم الحديث 160)

قال ابن حجر: وبدىء بذلك ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة. (ابن حجر، 17/1).

ثم حصلت الرؤيا الصادقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناسبات أخرى سجلها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً" (الفتح/27)

وإنما كانت الرؤيا وحياً وجزءاً من النبوة باعتبار ما يقترن بها من التيقن بأنها من عند الله. وإن الوحي الى النبي بالرؤيا أو أمره هو إعداد نفسي وروحي للوحي الصريح إليه يقظة، وفي الصحيح عن عبيد الله بن عمير "رؤيا الأنبياء وحي، وقرأ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك" (الزرقاني، 225)

2.2.3 النوع الثاني

ما كان بسماع الكلام الإلهي ولكن من غير رؤية للمتكلم، وذلك كما حصل لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: " فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري. إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى" (طه/11 - 15)

وقال تعالى: "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فملا تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين. قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين" (الاعراف / 143-144).

وهذا النوع ما عناه في قوله "أو من وراء حجاب" وهذا ما أشار اليه في الآية الكريمة "وكلم الله موسى تكليماً" (النساء/164) (الحن، 206، وحبنكة، 533-534، وعنز،96)

3.2.3 النوع الثالث

ما كان بواسطة ملك ترى صورته المعنية ويسمع كلامه، وهذا الملك الموكل بذلك هو جبريل عليه السلام - فيوحي إلى النبي بما أمره الله أن يوحي اليه به. وخذ إليه بقوله "او يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء" (الحن، 206، والقرطبي، 53/16، والرازي، 406/7، وحبنكة، 534).

وقد حصل هذا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولجميع الرسل من قبله، قال تعالى: "قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين" (البقرة/96 (عنز، 96).

وقد أطلق القرآن الكريم على ملك الوحي جبريل عليه السلام اسم الروح الأمين، قال تعالى: "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" (الشعراء /193-195).. وسمي بهذا الاسم لأنه كان ينزل بما يحيي موات القلوب فهو بمثابة الروح لها. وسماه روح القدس، قال تعالى "قل نزله روح القدس من ربك بالحق" (النحل/102)

ويرى الرازي إن اضافة (روح) الى (القدس) في الآية لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب، وروحا نيته أتم وأكمل من سائر الملائكة، فهم جميعاً "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" التحريم/6) - ولكن خص جبريل عليه السلام بهذه الإضافة "روح القدس"

ويرى الراغب الاصفهاني: أنه خص بذلك لاختصاصه بالنزول بالقدس من الله: أي بالنزول، بما يطهر به نفوسنا، من القرآن والحكمة والفيض الإلهي. وهذا أرجح لتعلقه بأمر ظاهر في مهمته. (عنز، 97-98).

3.3 أساليب اتصال جبريل عليه السلام برسول (صلى)

كان اتصال جبريل عليه السلام برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بأساليب متعددة هي:

1.3.3 ظهور جبريل عليه السلام بصورته الملكية الحقيقية، وكان ذلك مرتين كما ورد في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: لم أره، يعني جبريل، على صورته التي خلق عليها الإمرتين، وبين أحمد في حديث بين مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خلق عليها، والثانية عند المواج، وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة: لم ير محمد جبريل في صورته الامرتين، مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد" (ابن مجر،ط، 19)، وعن الشيباني قالت سألت زر بن حبيش عن قول الله عز وجل "فكان قاب قوسين أو أدنى" قال أخبرني ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح" (مسلم، جـ3، رقم الحديث 174).

2.3.3 الوحي مثل صلصلة الجرس، حيث كان الوحي يأتيه صلى الله عليه وسلم أحياناً فيسمع منه صوتاً قوياً مجلجلاً أشبه قوة بصلصلة الجرس، يقرع سمعة فلا يبقى فيه مجال لغيره. فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيعصم عني وقد وعيت عنه ما قال" (البخاري، ط، 15-17).

3.3.3 يشخص الملك أمام الرسول صلى الله عليه وسلم بهيئة رجل عادي ،حيث يظهر الملك بصورة بشرية ثانياً لمن يخاطبه من الأنبياء، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا في جوابه للحارث بن هشام في الحديث الوارد في البند السابق حيث قال: وأحياناً يتمثل في الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول" (البخاري، جـ1،15 - 17)

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يفرقه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه الى ركبتيه،ووضع كفيه على

فخديه، وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام.....قال: ثم انطلق، فلبث مليا ثم قال لي: يا عمر اتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" (مسلم، جـ1، 157-160 ، رقم الحديث281).

3.3 4 احياناً يلقي الملك في فؤاد الرسول وعقله معنى خاصا من غير أن يراه الرسول او يسمعه، قال صلى الله عليه وسلم: إن روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده الا لطاعته"

رواه ابن ابي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود (ابن حجر، جـ1، 15 والزرقاني، جـ1، 225).

نشاط (2)

عد إلى كتاب مبادىء العقيدة الاسلامية تاليف مصطفى الحن، في الصفحات ص 206-207 ولخص كيفية تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحي، وليكن ذلك في نقاط اربع.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. وضح مفهوم الوحي لغة مع تحديد المعنيين اللذين حملهما وحي الله تعالى إلى انبيائه.
2. وضح مفهوم الوحي اصطلاحاً مع شرح هذا المفهوم مع ذكرالدليل الشرعي.
3. هناك ثلاثة أنواع للوحي. أذكرها.
4. من أنواع الوحي: الوحي الذي يكون بلا كلام مسموع. وضح هذا النوع من الوحي مع ذكر الدليل الشرعي.
5. من أنواع الوحي: ما كان بسماع الكلام ولكن من غير رؤية للمتكلم. وضح هذا النوع من الوحي مع ذكر الدليل الشرعي لما تقول.
6. من أنواع الوحي: ما كان بواسطة إرسال ملك ترى صورته ويسمع كلامه. وضح هذا النوع من الوحي مع ذكر الدليل الرشرعي.
7. ظهر جبريل عليه السلام على صورته الملكية مرتين. أذكرهما من خلال الدليل الشرعي الذي يوضح ذلك.
8. عدد الوسائل الاربع التي تم اتصال جبريل عليه السلام بها بالنبي صلى الله عليه وسلم، مع ذكر الدليل الشرعي.

اختار الله تعالى الأنبياء والرسل فمن توافرت فيهم مزايا وفضائل خاصة ليحملوا أعباء النبوة والرسالة التي اختصهم الله تعالى بها، وليكونوا مثالاً يقتدى بهم في جميع أمور الحياة.

ولذلك قال العلماء: يجب أن يتصف هؤلاءالرسل بالأمانة والصدق والفطانة والتبليغ والعصمة، قال تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين" (آل عمران/33). وقال تعالى: "وما كان لنبي أن يغلّ" (آل عمران /161). وقد بلغوا الغاية في السمو الروحي والصلة بالله تعالى، والكمال الأخلاقي "(السائح، 209-210). ولو لم يتميز الله بهذه الخصائص العقلية والروحية لما كانوا أهلاً لحمل هداية الله إلى الناس. (سابق، 126).

فالرسل سفراء بين الله تعالى وعباده، أرسلهم الله تعالى ليقوموا بأداء مهمة معينة، وهي تبليغ شريعة الله وهداية الناس الى صراط الحق، ولذلك اقتضت حكمته سبحانه أن يختص برسالته من يكون مستجمعاً للصفات التي تؤهله لحمل هذه الرسالة. قال تعالى: "الله اعلم حيث يجعل رسالته" (الأنعام/ 124) - (الحن،214).

وتنقسم صفات الأنبياء إلى صفات خلقية، وصفات خُلقية، وسنتناول كل قسم من هذه الصفات فيما يلي:

1.4 صفات الأنبياء الخَلْقيَّة

هناك صفات ضرورية للنبي ترتبط بالجانب الخَلْقي له، وهذه الصفات هي:

1.1.4 البشرية

فالنبي والرسول إنسان بشر من لحم وعظم وأعصاب ودم، قال تعالى-مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم "قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلي انما إلهكم إله واحد" (الكهف/110). وقال تعالى: "قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده" (ابراهيم/11).

ولقد رد الله تعالى على قريش لما استنكرت ان يكون الرسول بشراً وطالبت بأن يكون ملكاً بقوله: "قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً" (الإسراء /95). فالرسول لا بد أن يكون من جنس من يرسل إليهم، وما دام الله تعالى يرسلهم إلى الناس فلا بد أن يكونوا بشراً مثلهم.

وعلى هذا فهم تجري عليهم الاعراض البشرية كما تجري على غيرهم من الناس، شريطة أن لا تنقص من مراتبهم العليا؛ فهم يأكلون ويشربون، ويتزوجون وينامون ويمرضون ولا يعلمون من الغيب الا ما أطلعهم الله عليه. قال تعالى: " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق" (الفرقان/20). وقال تعالى: "قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا بما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون" (الاعراف/188).

والحكمة من كون الرسول إنساناً بشراً فيه جميع غرائز البشر ومتطلباتهم، أن يكون في دعوته وأفعاله وأخلاقه وسلوكه حجة عليهم، وأن يضرب بنفسه المثل على استطاعة البشر تطبيق ما أمرهم الله به، وابتعادهم عما نهى عنه. (الحن، 210-211).

2.1.4 الذكورة

شرط النبوة الذكورة (ابن أبي شريف، 226)، فالنبي والرسول ذكر، ولا يجوز أن يكون أنثى على هذا اجماع علماء المسلمين، ولم يحدث أن ارسل الله تعالى رسولاً او اختار نبياً امرأة. قال تعالى: "وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (الانبياء، 7-8).

واشتراط الذكورة إنما كان لأن الرسالة مهمة شاقة تتطلب الكفاح والسفر وخوض المعارك، وتحمل المشاق، والرجل أقدر على ذلك من المرأة. (الحن، 211).

أما ما ورد في القرآن الكريم من اسناد الوحي الى أم موسى في قوله تعالى "وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا اخفت عليه فألقيه في اليم" (القصص/7). وكذلك ما ورد بشأن سارة زوج ابراهيم عليه السلام فقد قال الله تعالى في شأنها: "وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحق يعقوب" (هود/71). وكذلك ما ورد بشأن مريم بنت عمران فقد قال تعالى: "وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين" (آل عمران/42-43).

وقد ذهب الجمهور الى ان الأنثى لا تكون نبيا كما أنها لا تكون رسولا، فالذكورة شرط في كل من الرسالة والنبوة، وقالوا: إننا نؤمن بأن هذا القدر من الوحي قد حصل لهؤلاء النساء اللواتي ذكرهن الله تعالى في كتابه الكريم، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكن نبيات، لأن هذا غير كاف للانتظام في سلك النبوة، فالوحي إلى سارة والى ام موسى لم يكن فيه شيء من التشريع، بل كان نوعاً من الالهام، وهو قدر مشترك للناس كلهم، بل يكون هذا الوحي للحيوان قال تعالى "واوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً" (النحل/68). وأما مريم وإن كان ما أوحي اليها فيه شيء من التشريع، الا ان الله سبحانه حينما امتدحها، امتدحها بأنها صدِّيقة، ولو كانت نبية لكان الامتداح بأنها نبية أولى لما فيه من معنى التكريم والتشريف. قال تعالى: "ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام" (المائدة/75) (البوطي، 192-19، والخن،212-213).

3.1.4 الحرية

ذهب جمهور العلماء إلى أنه يشترط في النبوة الحرية، وذهبوا إلى أن لقمان كان حكيماً ولم يكن نبياً كما قال الشعبي وعكرمة من التابعين، وقد نقل القرطبي في تفسيره عن سعيد بن المسيب انه كان لقمان أسود من سودان مصر أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة، وعلى هذا جمهور أهل التأويل إنه كان وليا ولم يكن نبياً: (القرطبي، المجلد السابع، ج14، 59)

وقد نقل القرطبي عن ابن عطية في ذلك ما نصه "روى من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين، أحب الله

تعالى فاحبه، فمن عليه بالحكمة، وخبره أن تجعله خليقة يحكم بالحق، فقال: رب إن خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء، وإن عزمت عليّ فسمعاً وطاعة فإنك ستعصمني (القرطبي، المجلد السابع، جـ14، 59-60).

فاشتراط الحرية في النبي والرسول امر تتطلبه النبوة والرسالة لأن العبودية تعيق حركة الرسل او النبي ولا تتناسب معها، لأنه لو كان عبداً لكانت إرادته تابعة لإرادة سيده، فلا يتحرك الا بأمره.

4.1.4 السلامة من العيوب المنفرة

إن طبيعة مهمة الرسول تتطلب منه ان يخالط الناس ويجتمع معهم ليهديهم سبيل الرشاد وليقودهم الى ما فيه الخير والسداد. ولذلك فقد حمى الله تعالى رسله من أن يصابوا بأحد الأمراض المنفرة كالجذام والبرص، وما يذكره ارباب القصص من أن أيوب ابتلي في جسده حتى اصبحت له رائحة كريهة تشم من مكان بعيد، فهذا باطل لا أصل له. وكما يستحيل عليهم الأمراض المنفرة يستحيل عليهم الجنون والاغماء الطويل لأن ذلك يخل بما وجب عليهم من اعمال الرسالة. (الخن، 22).

أما السهو فإنه يمتنع عليهم فيا يكون من التبليغ، وأما في غير التبليغ فجائز ذلك في حقهم، فقدسها رسول الله عليه وسلم في صلاة الظهر أو العصر،فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر أو العصرفسلم، فقال له ذو اليدين: الصلاة يا رسول الله انقصت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أحق ما يقول؟ قالوا: نعم، فصلى ركعتين آخريين ثم سجد سجدتين" (البخاري،جـ3،75)

2.4 صفات الانبياء الخُلقية

اتصف الانبياء بصفات الكمال الانساني، ومن أهم هذه الصفات: الامانة، والصدق، والرحمة، والعدالة والضبط، والدقة في التبليغ، والفطنة والذكاء، ويمكن بيان هذه الصفات فيما يلي:

1.2.4 الأمانة: كما أوضحها الشيخ الباجوري؛ فقد حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهية، أو خلاف الأولى، فهم محظوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر، ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن.

والدليل على وجوب اتصافهم بالامانة عليهم بالصلاة والسلام انهم لو خانوا بفعل محرّم او مكروه او خلاف الأولى لكنا مأمورين باتباعهم فيه، لأن الله قد أمرنا باتباعهم في أقوالهم وافعالهم من غير تفصيل، وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الاولى، فلا تكون افعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى. (الخن، 219).

والواضح من الكلام السابق أن المراد بالامانة هو الحرص على التقيد بشرع الله تعالى في كل أمر من الامور، وبهذا تدخل في وصف الامانة صفة العصمة الذي سنفرد له بنداً خاصاً.

2.2.4 الصدق: ويشمل الصدق النية والارادة، وصدق القول والعمل، بحيث يستحيل ان يتصف المؤهل للنبوة بضد الصدق وهو الكذب، والنفاق او الاهمال واللامبالاة، والمتتبع لسير الانبياء يعرف هذه الحقيقة ويؤمن بها. (الجزائري، 220)

والرسل كلهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، وهم صادقون في أقوالهم وفي عهودهم وفي كل تصرفاتهم مع جميع الناس، وقد وصفهم الله تعالى بهذه الصفة في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: "وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين. حقيق علي أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني إسرائيل" (الاعراف/104-105).

وقال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم "وما ينطق عن الهوى. إن هو الا وحي يوحى (النجم/2-3). وقال تعالى: "ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا فيه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين" (الحاقه/44).

وتتعلق صفتي الصدق والأمانة - بتبليغ الوحي الإلهي وعدم كتمان شيء منه، لأن مهمة الرسول إبلاغ الناس ما أنزل اليهم من عند الله تعالى. فإذا لم يتصف الرسول بهذه الصفة بطل ان يكون رسولاً. قال تعالى: "فهل على الرسل الا البلاغ المبين" (النحل/35). وقال تعالى: "يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين" (المائدة/67).

هذا وفي الواقع أن الرسل قد قاموا بالتبليغ خير قيام، ولم يكتموا شيئاً مما أمرهم الله بتبليغه وقد شهد القرآن الكريم لهم بذلك. قال تعالى: "ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله وكفى بالله حسيباً" (الاحزاب/ 38-39).

والرسل تحت عين الله تعالى يرصد اعمالهم وخطاهم وهم يبلغون الوحي الألهي بكل صدق وأمانة. قال تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً. إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً. ليعلم انه قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً" (الجن/26-28). (الخن/217 - 218).

3.2.4 الفطنة والذكاء: إن الفطنة والذكاء ليست مجرد الفهم فحسب، بل يكون معها رقة الشعور، وصفاء الذهن، ورهافة الحس وصدقه، وسرعة البداهة على حد قول حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم: لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر.

إن الفطنة والذكاء من المؤهلات الضرورية لتلقي الوحي والأمانة عليه، والغباء وبلادة الحس وبطء الادراك تتنافى مع مقام النبوة، وشرف التلقي عن الله تعالى: (الجزائري، 221).

فالنبي في حاجة ماسة إلى هذه الصفة ليكون قادراً على الرد على الخصوم ونقض دعاويهم الباطلة، وقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل على أن الرسل كانوا على أعلى مستوى من الفطنة، والذكاء وقوة الحجة، من ذلك ما ورد في ابراهيم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى بعد أن ساق من الادلة التي استدل بها ابراهيم على قومه: "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه. نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" (الانعام/83).

وذكر القرآن الكريم حوار ابراهيم عليه السلام مع قومه بعد ان كسر الأصنام وإقامته البرهان على ضلالتهم وانحرافهم وضعف عقولهم فيما كانوا يعبدون. قال تعالى: "ولقد آتينا إبراهيم رشده من

قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون" (الأنبياء/51-52).

وقال الله تعالى في شأن نوح عليه السلام: قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين" (هود/32) لقد قالوا له ذلك بعد أن أقام عليهم الحجة وأسكتهم بالبرهان.

وقد أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يجادل الكافرين ويقيم عليهم الحجة والبرهان. قال تعالى: "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين"(النحل/125).

فمن كان مأموراً بأن يجادل ويقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، لا بد ان يكون متصفا بالفطانة، ليتمكن من القيام بذلك. (الحن/215-216).

4.2.4 العدالة والضبط: بالإضافة إلى الفطنة والذكاء وكمال العقل، فإن من مستلزمات النبوة أن يكون عدلاً، "والعدالة هي صفة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة فتحصل ثقة النفس بصدقه" (الخطيب، 231):

وأما الضبط فهو التيقظ التام وتبليغ الرسالة وفهمها حفظها. وهذه صفة ملازمة للأنبياء، فهم يبلغون رسالات ربهم دون زيادة او نقصان وهذا امر يتم بعصمة الله تعالى لهم من الزلل ، في هذا الأمر. قال تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن، لم تفعل ما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين" (المائدة/67).

5.2.4 شرف النسب: فشرط النبوة السلامة من دناءة الآباء ومن غمز الأمهات أي من الطعن بذكرهن بما لا يليق من أمر الفروج. (ابن ابي شريف، 226)، وروى مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل: فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم" (مسلم، جـ14 ، كتاب الفضائل، رقم الحديث 2276).

6.2.4 الرحمة بالناس: شرط النبوة السلامة من القسوة، لأن قسوة القلوب موجبة للبعد عن جناب الرب، إذ هي منبع المعاصي، لأن القلب هو المضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الحديث الصحيح. (ابن ابي شريف، 226). وقال تعالى: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر" (آل عمران/159)

تدريب (3)

من الصفات الخَلقية للأنبياء: الذكورة، وضح في ضوء ذلك الإيحاء لأم موسى، ولمريم بنت عمران كما ورد في القرآن الكريم.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. النبي بشر. بين الحكمة من ذلك.
2. بين رأي جمهور العلماء في شرط الحرية للنبوة.
3. السلامة من العيوب المنفرة صفة من صفات النبوة. وضح ذلك.
4. صفتا الصدق والأمانة متعلقتان بالتبليغ. بين ذلك.
5. بين مدى حاجة الرسل للفطنة والذكاء في دعواتهم.
6. هات مثالاً من القرآن الكريم على اهمية الفطنة والذكاء للنبي.
7. ما معنى العدالة والضبط بالنسبة للنبوة.
8. ما أهمية شرف النسب بالنسبة لكل نبي من الأنبياء؟
9. كيف تكون القسوة منبع المعاصي؟ وضح ذلك مع ذكر شاهد على ذلك من القرآن الكريم.

2.3.7 العصمة

لقد اختار الله تعالى الانبياء والرسل عليهم السلام واصطفاهم على جميع العالمين، قال تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين"(آل عمران/33). ونزههم عن السيئات، وعصمهم من المعاصي، وهذه صفة ملازمة للنبوة، ونريد ان نوضح لك في هذا المجال، معنى العصمة، والامور التي عصم الله تعالى الانبياء منها قبل النبوة، وبعد النبوة.

أ. معنى العصمة: هي لطف من الله تعالى يحمل النبي والرسول على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء. (ابن ابي شريف، 229).

ب. عصمة الأنبياء قبل النبوة: النبي قبل البعثة ذمته تكون خالية من التكليف، فالعصمة في حقه غير ذات موضوع، ولكن علو فطرة الرسول وصفاء نفسه وسمو روحه وصحة عقله، تقتضي أن يكون نموذجاً رفيعاً بين قومه في اخلاقه ومعاملاته وأمانته. وفي بعده عن ارتكاب القبائح التي تنفر منها العقول السليمة والطبائع المستقيمة (حبنكة، 384).

لقد اجتمعت الأمة على أن الانبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها، وأما غير الكفر فهي إما كبائر او صغائر، فالكبائر ممنوعين منها كما افاد الجمهور من المحققين والأئمة على امتناعها، وأما الصغائر فقد قالوا بجواز صدورها عنهم سهواً الا ما كان منها خسيساً للحق فاعلها بالأرذل ويدعو الى الحكم عليه بالخسة ودناءة الهمة. وقد ذهب فريق الى انهم لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة لا عمداً ولا سهواً ولا خطأ في التاويل، بل هم مبرؤون عن ذلك قبل البعثة وبعدها. (ابن ابي شريف، 228-229).

ولئن وقع منهم شيء من ذلك فهفوات نادرة لا تطعن بعلو فطرتهم وصفاء نفوسهم وسمو ارواحهم والمهمة التي سيكلفونها فيما بعد، وإنما تقع منهم هذه الهفوات إثباتاً لبشريتهم أمام الخلائق، لئلا يرفعوهم فوق المستوى البشري. (حبنكة، 384).

ومن الأمثلة على ما وقع مع بعض الانبياء قبل النبوة وتوهم بعض الناس انها من المعاصي ما يلي:

- ما ورد بشأن آدم عليه السلام في قوله تعالى:" وعصى آدم ربه فغوى" (طه/121)، وذلك بأكله من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها، لقد وقع ذلك قبل النبوة (عياض، جـ2، 162 وحبنكة، 385).

ولكن إذا امعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم نسياناً منه لعهد الله، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد، والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان، قال تعالى "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم" (الاحزاب/5).

والدليل على ان ما وقع من آدم كان نسياناً وعن غير عمد، قوله تعالى: "ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً. (طه/115). أي أن آدم نسي عهد الله الذي وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة، ولم يوجد به عزم على فعل ما نهى عنه.

وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذة، وإنما خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وعلمه الأسماء كلها، والذي شأنه هكذا يجب ان يكون يقظاً كاقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصاية الله له وعهده إليه، فهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، (سابق، 184-185).

وأما قتل موسى للمصري لينقذ اسرائيلياً من قومه، فلم يكن يقصد قتله، وإنما قصد أن يمنع عدوانه عن أخيه، فحدث القتل الخطأ الذي لا مؤاخذة عليه إلا من حيث عدم التحرس والوعي الكامل، ولا سيما لمن هم في اعلى مراتب المستوى البشري كموسى عليه السلام ونحوه من أولي العزم، ولذلك رجع الي ربه ذاكراً خطاه طالب من الله العفو والغفران، قال تعالى: "قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم" (القصص/15)،(سابق،189).

ولذلك يمكن القول أن الانبياء قبل النبوة يعصمهم الله تعالى من الكبائر ويبعدهم عن الصغائر المخلة بالمروءة، وإذا وقع منهم ما يعد من المعاصي يقع نسياناً وخطأ ولا يتصور أن يتعمدوا مثل ذلك، لأن الله تعالى يعدهم لمهمة الرسالة والنبوة التي تقتضي ان يكون على منزلة رفيعة في أقوامهم.

جـ. عصمة الانبياء بعد النبوة

إن الله تعالى اصطفى الرسل والأنبياء واختارهم ونزههم عن المعاصي والآثام قال تعالى: "وما كان لنبي ان يَغُل" (آل عمران/162) ونجد النصوص الكثيرة في القرآن الكريم وردت بشأن الأنبياء والرسل تضفي عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعل منهم النموذج الحي والصورة المثلى للكمال الانساني، ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين من التورط في الإثم، منزهين عن الوقوع في المعاصي، فلا يتركون واجباً ولا يفعلون محرماً، ولا يتصفون إلا بالاخلاق العظيمة التي تجعل منهم القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يتجه إليه الناس وهم يحاولون الوصول إلى كمالهم المقدر لهم. (سابق، 182).

قال إمام الحرمين: "تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون، اما الفواحش المؤذية بالسقوط وقلة الديانة، فيجب عصمة الانبياء عنها إجماعاً" (الجويني، 356).

اما ما ورد مع بعضهم مما يوهم وقوعهم في المعاصي فيمكن تناول امثلة منه لبيان هذه الوقائع:

ما نذكر أن ابراهيم كان شاكا في أول أمره ثم اهتدى عن طريق التأمل والتفكير، فهذا امر ليس بصحيح، بل إنه نشأ مؤمنا بالله منذ طفولته، وما كان منه من قوله لكوكب هذا ربي وللقمر كذلك وللشمس، كذلك فإنما هو من قبيل التسليم الجدلي لإقامة الحجة على الخصم. قال تعالى: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي..." وانتهت الآيات بقوله تعالى: "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" (الأنعام/75-83)، ففي قوله تعالى: "وتلك حجتنا" إشارة إلى أن هذا الأسلوب كان من أجل إقامة البرهان على قومه.(الخن، 224).

وكذلك ما ورد في شأن داود من أنه رأى زوجة قائد له، فعشقها ورغب في زواجها، فأخذ يرسل زوجها في البعوث ليقتل كي يتزوج زوجته من بعده، فجاه ملكان في صورة رجلين ينهيانه عن عظيم ذنبه وذلك ما ورد في قوله تعالى" وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب..." (ص/21) فقد رد الامام الفخر الرازي في تفسيرهذه القصة من عدة وجوه وبين ان النص القرآني نزل في رجلين نزلا على داود وهما بقتله، ثم اعرضوا عن ذلك عندما رأوا عنده جماعة، واختلقوا هذا السؤال ستراً لفعلتهم، فاستغفر لسوء ظنه بهم أو إنه نزل في رجلين سألاه هذا السؤال، وكانت مؤاخذة الله إياه من حيث إنه سارع الى الاجابة قبل السماع من الطرف الآخر. (الخن، 224)، وأما قصة زوجة القائد فهي قصة مختلقة من الاسرائيليات.

وأما ما ورد مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قصة أسرى بدر عندما استشار أصحابه وأخذ بالرأي الذي قال بمفاداتهم، ثم جاء القرآن الكريم بالعتاب للنبي على مفاداتهم وإخباره بأن الأولى والأفضل قتلهم لأنهم كبار الكفار وقادة الشرك ولم تتمكن كلمة الاسلام في الأرض، ولذلك جاء العتاب في قوله تعالى: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض" (الأنفال /67). وكذلك قصة إذن الرسول لبعض المتظاهرين بالاسلام من أهل النفاق بأن لا يخرجوا معه الى القتال في غزوة تبوك وهي المشار اليها في قوله تعالى" عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين" (التوبة/43). فهذان الموقفان منه صلى الله عليه وسلم فإنهما من قبيل ترك الأولى، وأخذه بالحسن وتركه ما هو أحسن منه ، اعتبر ذنباً بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا القبيل ايضا انشغال النبي صلى الله عليه وسلم مع زعماء قريش طمعا في اقناعهم للدخول في الاسلام وتأخر في الرد عن سؤال عبدالله بن أم مكتوم. وقد ورد العتاب بها في قوله تعالى: "عبس وتولى آن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى.أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى. واما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى" (عبس/1-10).

نشاط (3)

عد الى كتاب عصمة الانبياء للامام فخر الدين الرازي الصفحات (3-7) ولخص من خلالها الحجج التي ساقها ليدلل على وجوب عصمة الأنبياء.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1. وضح معنى المعجزة.
2. بين رأي الجمهور في عصمة الأنبياء قبل النبوة.
3. كيف توضح قوله تعالى: "وعصى آدم ربه فغوى" في ضوء عصمة الأنبياء على المعاصي.
4. كيف توضح قتل موسى عليه السلام للمصري مع أن القتل من الكبائر؟
5. الأنبياء معصومون عن الكفر. فكيف توضح موقف ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى! "فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً فقال هذا ربي".؟
6. بين موقف فخر الدين الرازي من القصة الاسرائيلية المتعلقة بزوجة أحد قادة داود عليه السلام.

5. أدلة إثبات النبوة

ليس كل إنسان يدعي النبوة أو الرسالة نسلم له دعواه فيها، بل لا بد أن تتوافر فيه شروط صدقه، ويمكن الاستدلال على الرسول وإثبات نبوته بأدلة عقلية وأخرى نقلية. وسنتناول هذه الأدلة بالبيان فيما يلي:

1.5 الأدلة العقلية على إثبات النبوة

هنالك عدة أدلة عقلية تشهد على صدق الرسول في دعواه منها :

1.1.5 الاستدلال بجوهر الرسالة على صدق الرسول

نادى الله تعالى الناس ان يؤمنوا بالرسول معتمدين على الحق الذي جاء به من ربه، قال تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً (النساء /170).

وإن اي انسان ينظر بإمعان العاقل المنصف فيما جاء به مثلاً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من دعوة التوحيد، ومن بيان لأصول العبادات، ونظم المعاملات ومناهج الأخلاق، ومبادىء السياسة، ثم يراقب موافقتها لصالح الناس وسعادتهم في شتى مطالب حياتهم، يرى ان كل مرتبة فيها موافقة للحق بلا مرية، فلا تهافت في نصوص دعوته، ولا ضعف في اصول شريعته ولا فروعها، علماً بأن ما يأتي به اي انسان - بالغاً ما بلغت منه العبقرية - او أية جماعة في مؤتمر تشريعي - بالغاً ما بلغ بهم التجرد

والانصاف - لا يخلو من شيء من الضعف والنقص، والجهل والباطل والتهافت. (حبنكة\ 319).

إلى جانب ذلك فقد وجه الله تعالى الناس الى تدبر القرآن الكريم، لأن تدبره يهدي الى انه حق في كل جزئية من جزئياته، وهذا يدل على انه من عند الله، لأنه لو كان من كلام إنسان لاشتمل على اختلاف كثير، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو المبلغ لهذا القرآن كان ذلك دليلاً على انه رسول الله يبلغ عنه كلامه. قال تعالى: "افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً" (النساء/82).

2.1.5 الاستدلال بشخصية الرسول وأخلاقه وسيرته على صدقه

لدى دراسة شخصية اي رسول من رسل الله تعالى عليهم الصلاة، نلاحظ شخصية فذة غير عادية، لا نجد لها نظيراً الا في زمرة الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى بوحيه ورسالاته، ذلك أن شخصية الرسول مصونة بالعصمة الربانية من جميع جوانبها، ومتصف بصفات الكمال الإنساني في خلقه وسلوكه وعصمته عن الخطأ في بيان حدود الصراط المستقيم لعقائد الناس وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم.

ولدى دراسة شخصية أي إنسان آخر ليس من أنبياء الله ورسله مهما كان هذا الانسان عبقرياً أو فيلسوفاً أو ذا خلق كريم او صاحب سلوك حسن، فإنه لا بد أن يظهر لنا سقوطه من ناحية من نواحي خلقه وسلوكه، أو في جانب من جوانب عبقريته أو فلسفته. (حبنكة، 231).

ومن الأمثلة على ذلك ما قالته السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه الوحي في غار حراء، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة واخبرها الخبر، قال: لقد خشيت على نفسي، قالت خديجة: كلا أبشرْ فوالله لا يخزيك الله أبداً والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق..." (مسلم، جـ2، باب بدء الوحي، رقم الحديث 160).

فقد استدلت السيدة خديجة رضي الله عنها من خلال كمال صفاته التي تعرفها منه على أن الله لا يخزيه أبداً، وما هذه الحادثة إلا مظهراً من مظاهر كرامة الله له واصطفائه ومقدمة لرسالته. ولذلك لما أمر الله تعالى بالتبليغ كانت أول مصدق به وآمنت به.

ومن الأمثلة أيضا فعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية "وانذر عشيرتك الأقربين" ورهطك فهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه، فقالوا من هذا الذي يهتف؟ قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بين فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه،، فقال: اريتكم لو اخبرتكم ان خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" (مسلم، جـ2، باب بدء الوحي، رقم الحديث 208). فآمن فريق به، وكان دليل ايمانهم صفات الرسول السامية بعد أن نبههم الرسول صلى الله عليه وسلم في مقدمة حديثه معهم إلى صدقه الذي هو بعض أخلاقه العظيمة والتي يعرفونها فيه وبعد أن أخذ إقرارهم على ذلك.

ومن الأمثلة أيضا موقف هرقل عندما وصلته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال أبو سفيان، فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه فقال أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلف، ثم دعا لترجمانه فقال له قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم انه نبي فإن كذبني فكذبوه، فقال أبو سفيان: وأيم الله لولا مخافة أن مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم، قال قلت: هو فينا ذو حسب، قال فهل كان من آبائه مَلِك، قلت لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال قلت لا، قال: ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال قلت: بل ضعفاؤهم ..... فقال: فهل يقدر؟ قلت لا، قال فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال قلت لا، قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فزعمت إنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه مَلِك فزعمت أن لا، فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم اشرافهم، فقلت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله .... وسألتك هل يغدر؟ فزعمت إنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال هذا القول لحد قبله؟ فزعمت أن لا فقلت لو قال هذا القول أحد قبله، قلت رجل ائتمَّ بقول قيل قبله، قال ثم قال: بم يأمركم؟ قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلاة والعفاف، قال: إن يكن ما تقول فيه حقا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني اخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي" (مسلم، جـ 12، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 1773).

فهذا موقف أبي سفيان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم، وقد قال لأصحابه: والله لولا الحياء من أن يأثروا عني الكذب لحدثته عنه حين سألني، ولكني استحييت أن يأثروا عني الكذب فصدقت عنه. (الهمذاني، 514).

1.5\3 الاستدلال بالمعجزة

المعجزة دليل على صدق الرسول في دعواه، ونريد هنا أن نتناول معك: تعريف المعجزة، وشروطها، وطرق ثبوتها، والحكمة منها وأنواعها، الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر.

أ. تعريف المعجزة: المعجزة امر ممكن عقلاً، خارق للعادة، يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته (حبنكة، 338).

وعرفها البوطي: هي أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين له، على وجه يبين صدق دعواه. (البوطي، 204) ويمكن شرح هذا التعريف فيما يلي:

- أمر خارق للعادة: يوضح ان المعجزة إنما تخالف العادة والمألوف، ولا تخالف العقل والامكان، وهذا معنى ممكن عقلا كما ورد في التعريف الأول.
- يظهر على يد مدعي النبيوة: اخراج للخوارق التي تكون لبعض المقربين والصالحين مما يسمى الكرامة التي سنعرف بها مع نهاية هذا الموضوع.

- عند تحدي المنكرين: احترازاً عما قد يقع من ذلك صدفة لا على وجه التحدي وإظهار النبوة. غير أنه لا يشترط التصريح بالتحدي، بلك تكفي قرائن الأحوال.
- على وجه يظهر صدق دعواه: اخراج للخارقة التي تاتي تكذيبا لدعوة النبوة، كما إذا أنطق الجماد فنطق بتكذيبه. (البوطي، 204).

كما حصل مع مسيلمة الكذاب لما قيل له: إن محمداً تفل في عين أرمد فشفيت، فأرنا مثل ذلك، فتفل في عين أرمد فعميت. (حبنكة، 339)

ولقد علمنا من تاريخ الأمم أن كل أمة جاء فيها رسول يدعي النبوة كانت تطلب منه برهاناً على صدقه، ومن حقها أن تطلب هذا البرهان إن لم يحصل لها العلم بنبوته من طريق آخر، وذلك للتثبت من صحة نبوته، ولكن دون تعنت أو شطط، فيأتي البرهان على صورة معجزة ما، سواء كان ذلك نفس ما طلبوه، أو شيئاً آخر غير الذي طلبوه. ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحي إليّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" (البخاري، فضائل القرآن ومسلم، باب الايمان واللفظ له).

وإذا استجاب الله تعالى لطلب المعجزة، أو أظهرها من غير طلب ترتب على ذلك ما يلي:

الأمر الأول: ان يجري الله على يد رسوله أمراً خارقاً للعادة، لا يتمكن هذا الرسول بصفته البشرية، بالغاً ما بلغت به القوة الجسمية أو الروحانية، من فعله أو القيام بمثله بحسب المعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته لولا أن الخالق العظيم أجراه على يديه، تأييداً له في أنه رسول صادق فيما ينقل عن ربه.

الأمر الثاني: أن يتحدى الرسول قومه بأن يأتوا بمثل ما جاء به، إن كانوا في شك من صدق هذه الشهادة الربانية له. فإن ظهر لهم عجزهم عن المعارضة، علموا بأن ذلك من فعل الله يشهد بلسان حال المعجزة أن هذا الإنسان الذي ظهرت على يديه هذه المعجزة رسول الله حقا، وهو صادق فيما يبلغ عن ربه. (حبنكة، 338-339).

ب. شروط المعجزة: يشترط في الأمر حتى يكون معجزة الشروط التالية.

1. ان يتحقق كونها من الأمور الخارقة للمعتاد والمألوف في قوانين الكون وأنظمته (الخن، 245)، وأن لا يكون الأمر الخارق للعادة متضمنا تكذيب مدعي النبوة الذي يجري هذا الأمر الخارق على يديه كما حصل مع مسيلمة الكذاب، كما مر سابقا (حبنكة، 339)
2. أن يتحدى بها الرسول من تناولتهم دعوته، وشملتهم رسالته، فإن جرى الأمر الخارق للعادة على يد غير مدعي الرسالة المتحدي بالإتيان بمثلها فإنها لا تكون معجزة وقد تكون كرامة (حبنكة، 339). ولذلك لان أن تتعلق بتصديق دعوى من ظهرت على يديه، وأن يتحدى بها، وتظهر على وفق دعواه (الجويني، 313).
3. أن تكون على يد من يدعي النبوة أو الرسالة، وأما إذا اظهرت على يد عبد صالح من غير دعوة النبوة فهي الكرامة. (الخن، 215).

4) أن تكون مقرونة بدعوى النبوة والرسالة حقيقة أو حكماً بأن يتأخر بزمن يسير، وأما إذا وقعت قبل النبوة أو الرسالة تأسيساً لها "الارهاص" كما وقع من تظليل الغمام للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. (الحن، 245-246).

أما إذا كان طلب المعجزات من القوم طلباً فيه تعنت أو شنط أو رغبة في الاستهزاء، فإن الله تعالى لا يستجيب لطلبهم ولا يلتفت إليهم، وهو الحكيم القدير، ذلك لأنهم وطنوا أنفسهم على العناد والجحود مهما رأوا من آيات بينات وبراهين واضحة. ومن الأمثلة على ذلك موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تاتي بالله والملائكة قبيلاً. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن، لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً" (الاسراء/90-93).

جـ- طرق ثبوت المعجزة: تثبت المعجزة إما بالمشاهدة أو الخبر الصادق، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

1) ثبوتها بالمشاهدة: وهو خاص بمن عاصر المعجزة وحدثت أمامه، كمن شاهد عصاة موسى عليه السلام حين تحولت إلى حية تسعى، أو شاهد عيسى عليه السلام وهو يحي الموتى بإذن الله تعالى، فإن المعجزة تثبت إليه عن طريق المشاهدة.

وكذلك الحال شاهد انشقاق القمر بأم عينه وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، علم علماً لا شك فيه أن هذا قد وقع فعلاً.

2) الخبر الصادق: المعجزات التي أتى بها الأنبياء عليهم السلام والتي أتى بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما عدا القرآن الكريم فإن طريق ثبوتها الخبر الصادق لأنها كانت معجزات آنية حدثت وانقضت ولا سبيل لإثباتها إلا عن طريق الخبر الصادق. والخبر الصادق قسمان:

أ) الخبر المتواتر: وهذا يكون في الخبر الوارد في القرآن الكريم والحديث المتواتر الذي ثبت نقله عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد تحدث القرآن الكريم عن معجزات: كانفلاق البحر عندما ضربه موسى عليه السلام بعصاه، وانقلاب العصا حية، وخروج ناقة صالح من الصخرة، وكذلك تحدثت السنة المطهرة المتواترة عن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام كتكثير الطعام ونبع الماء من بين اصابعه عليه الصلاة والسلام.

ب) الخبر الصادق الآتي عن طريق لم يصل إلى حد التواتر وهو ما يسمى خبر الآحاد، وذلك كحنين الجذع، وهذا النوع من المعجزات لا يصل التصديق بها إلى حد اليقين. (الخن، 243 - 244)

د. الحكمة من المعجزة: أجرى الله تعالى المعجزات على أيدي الأنبياء عليهم السلام لعدة حكم منها:

1) إثبات صدق مدعي النبوة: وذلك انه تعالى حينما يجري هذه المعجزات على أيدي رسله، إنما يجريها باعتبار أن الشواهد المادية والمعنوية الخارقة للمعتاد والمالوف في قوانين الكون وأنظمته، تضع الباحث عن الحق أمام البرهان الواضح الدال على صدق الرسول في دعواه

الرسالة، وذلك لأن الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة لا يستطيعون الإتيان بمثلها منفردين أو مجتمعين، في حدود قدراتهم الممنوحة لهم بحسب مستواهم.

2. تكريم الرسول: فهي إلى جانب ما تحمله من كونها دليلاً على صدقه فيما يدعيه من الرسالة، فقد تكون تكريماً له كما هي الحال في معجزة الإسراء والمعراج، فإنها قد وقعت بعد أن اشتد أذى قومه له، ومات عمه أبو طالب وكان يدافع عنه، وماتت زوجته خديجة، وكانت تشد من أزره، وتساعده بما تستطيع، ورده من أهل الطائف أشنع رد، بعد كل ذلك أكرمه الله تعالى بمعجزة الإسراء والمعراج.

3. تنبيه الغافلين من الكافرين: فتكون المعجزة أشبه شيء بالهمزة الضيقة التي توقظ النائم من سباته، ليفتح عينيه ويعي ما حوله. ومن الأمثلة عن ذلك قصة الأراشي عندما رفض أبو جهل رد حقه إليه، فدله كبراء قريش على محمد صلى الله عليه وسلم ليستنقذ له حقه وذلك على سبيل الاستهزاء بمحمد عليه الصلاة والسلام فرافقه رسول الله إلى دار أبي جهل فضرب عليه بابه، فقال من هذا، فقال: محمد فاخرج إليّ، قال: فخرج إليه وما في وجهه رائحة قد انتقع لونه، فقال له: أعط هذا الرجل حقه، قال أبو جهل: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له. فدخل فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه. فلما جاء أبو جهل لكبراء مكه، وكانوا قد علموا من الإبراشي ما حصل معه، قالوا لأبي جهل: ويلك، مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت، فقال: ويحكم والله إن هو الاضرب الباب، وسمعت صوته فملئت رعباً، فخرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني" (الحن، 226 - 227).

هـ. أنواع المعجزات: المعجزات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه نوعان هما: المعجزة المادية، والمعجزة غير المادية ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

1. المعجزة المادية المؤقتة: وهي التي تقع وتنقضي، فيراها من يشاهدها، ثم ينقل خبرها للآخرين نقلاً كما ورد في القرآن الكريم عن معجزات الانبياء السابقين كطوفان نوح، قال تعالى: "وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون... حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل" (هود/36 - 49).

ومنها عدم إحراق النار إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: "قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وسلاما على ابراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين" (الأنبياء /68-70)

ومنها ناقة صالح، قال تعالى: "فعقروا الناقة وعتو عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين" (الأعراف/ 77-78).

ومنها عصا موسى عليه السلام، قال تعالى: "قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى.

قال بل القوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم إنها تسعى. فأوجس في نفسه خيفة موسى. قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى" (طه/ 65-69)

ومنها تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد. وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا، ويشفي الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله. قال تعالى: "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني واذ تخرج الموتى بإذني" (المائدة /110).

ومنها نبع الماء بين أصابع محمد صلى الله عليه وسلم، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بماء فأوتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضؤون فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين، قال فجعلت انظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه. (مسلم، المجلد الخامس، جـ 15، 38، رقم الحديث 2279).

2. المعجزة غير المادية (الخالدة): وهي التي لا تنقضي مظاهر إعجازها على مر الأيام والعصور وتنحصر في القرآن الكريم الذي هو معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان لها الخلود دون غيره من المعجزات.

وإنما كانت معجزات الرسل السابقين آنية مؤقتة، لأن رسالاتهم آنية تنتهي بمجيء الرسول الذي يأتي من بعدهم إلى أولئك القوم، جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خاتمة الرسالات وأتمها وأكملها، محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده. قال تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" (المائدة/3) "وكان قوم نبينا صلى الله عليه وسلم الذين أرسل اليهم قد بلغوا في الفصاحة والبلاغة ما لم يبلغه غيرهم، فكانوا أئمة القول وفرسان الفصاحة والبلاغة فكانت معجزة الرسول العظمى هي القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم وتحداهم أن يأتوا بما يماثله فصاحة وبلاغة، فعجزوا عن ذلك، وأقروا بعجزهم عن مجاراته ولو في أقصر سورة من سوره" (الحن/225).

أما وجوه إعجاز القرآن الكريم فكثيرة، غير أنها تنقسم في مجموعها إلى جانبين، جانب يعم الناس كلهم، وجانب يخص العرب ومن أتقن العربية من غيرهم.

أما الجانب الذي يعم الناس كلهم، فيتمثل في إخباره عن المغيبات التي لم تكن قد وقعت بعد، ثم وقعت كما أخبر، ثم ما أخبر عن الامم الماضية وقصصها ولم تكن أخبارهم معروفة عن قريش وغيرها من القبائل العربية، كما يتمثل في تشريعه الشامل الدقيق الصالح لكل زمان ومكان مع ما عرف من كونه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه، فضلاً عن انه لم يدرس قانوناً ولا تشريعاً، ولا عني بشيء من أمر النظم الاجتماعية المعروفة إذ ذاك عند الفرس او الروم، وفيما ينطوي عليه من القواعد والإشارات العلمية التي لا يزال الباحثون اليوم في طور اكتشافها والوقوف عليها. فهذه الوجوه من اعجاز القرآن الكريم يستوي في فهمها العرب وغيرهم من كل من كانت لديه ملكة عقلية سليمة. (البوطي، 206).

وأما الجانب الآخر الذي يخص العرب وغيرهم من النابغين في العربية، فهو ما ينطوي عليه القرآن من النظم البديع الذي لا تجده منسجماً مع النثر المعهود من أساليبه وطرائقه، ولا متفقاً مع الشعر، والمعروف من بحوره وأعاريضه مع بلاغة سامية عجيبة، ومع أسلوب غريب يستوي في الافادة منه كل فئات الناس من عامة ومثقفين وأرباب اختصاص، حتى عجز عامة ارباب البلاغة والبيان منذ عصر النبوة إلى اليوم عن الإتيان بمثله على الرغم فيه من التحدي والاستنهاض بأساليب متكررة مختلفة إلى القيام بمحاولة ذلك.

وقد تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بسورة من مثله "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين" (البقرة/23-24).

وقال لهم مرة أخرى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً" (الاسراء /88).

وكان مقتضى بلاغتهم المعروفة وقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا، وما كان يعتلج في صدورهم من الحق والكراهية لهذا الذي جاءهم به النبي صلى الله عليه وسلم، وما كانوا يظلون في بحث دائب عنه من الوقوف على وسيلة ما لإفساد أمره عليه، ومنع دعوته من السير في طريق النجاح، كان مقتضى كل ذلك أن ينهضوا لمعارضته ومجاراته من كلامهم البليغ، على نحو ما كانوا يفعلونه في اسواقهم الأدبية من المساجلة والمقارضة في فنون الكلام، ليقطعوا بذلك خطره عنهم.

ولكنهم على الرغم من هذا كله، لم يفعلوا شيئاً ولم يستجيبوا لتحدي القرآن الكريم في محاولة ما، بل إنهم تحولوا عن قولهم السابق: لو نشاء لقلنا مثل هذا، إلى زعمهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما يأتيهم بسحر أو كهانه، أو شعر، كما قال الله عنهم "ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون" (الزخرف/30) (البوطي، 208/207).

ولقد سجل التاريخ العجز على أهل اللغة أنفسهم في عصر نزول القرآن الكريم، أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي، وهل بلغت المجامع اللغوية في أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بلغتها، حتى أدركت هذه اللغة أشدها، وتم لهم بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها .... حتى جاء القرآن الكريم، فلم يسد عليهم باب المعارضة، بل فتحه على مصراعيه، بل دعاهم إليه أفراداً او جماعات. بل تحداهم وكرر عليهم ذلك التحدي في صور شتى متهكماً بهم متنزلاً معهم الى الأخف فالأخف. فدعاهم أول مرة أن يجيئو بمثله، ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله، ثم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، ثم بسورة واحدة من مثله بما يكون مثلاً على التقريب لا التحديد، وهذا أقصى ما يمكن من التنزل، ولذا كان هو آخر صيغ التحدي نزولاً، وأباح لهم في كل مرة ان يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم والعالم كله بالعجز في غير مواربة فقال: قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (الإسراء/88). وقال: "فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا الناس النار التي وقودها الناس والحجارة" (النبوة/24) وقد أجهز عليهم القرآن الكريم بالحكم البات المؤيد في قوله تعالى "ولن تفعلوا ثم هددهم

بالنار، ثم سواهم بالحجارة ... وقد أصاب منهم موضع عزتهم وفخارهم، ولكنهم لم يجدوا ثغرة فينفذون منها الى معارضته. (دراز، 83-84).

و. حكم الاعتقاد بالمعجزة:

يجب على المسلم أن يعتقد بأن الله عز وجل قد جهز أنبياءه ورسله الذين أرسلهم إلى الناس بمعجزات تبين صدق دعوتهم، وتوضح للناس ارتباطهم بالله جل جلاله وأنهم مؤيدون به، وما من نبي إلا وقد أكرمه الله عز وجل بمعجزة نبهت الناس الى ضرورة الإيمان به، والتمسك بهديه، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي الا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً اوحي إليّ، فانا أرجو أن اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة" (البخاري، فضائل القرآن، ومسلم، باب الإيمان واللفظ له).

فالإيمان بثبوت المعجزات من حيث هي واجب، ومنكر المعجزات كافر، لأن المعجزة من حيث هي ثابتة بالادلة القطعية، وحسبك أن القرآن الكريم تحدث عن ذلك. وأما الايمان بمعجزة بعينها، إن كانت ثابتة بدليل قطعي كالقرآن الكريم والسنة المتواترة فهو واجب، وحكم منكرها كحكم منكر المعجزة من حيث هي، إن كانت ثابتة بدليل ظني، كاحاديث الآحاد، فالإيمان بها واجب أيضاً، الا انه لا يكفرها بل يفسق إن كان الحديث مشهوراً، ويعزر إن كان الحديث صحيحاً. (الخن، 42).

نشاط (4)

عد الى كتاب العقيدة الاسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الصفحات (362 - 369)، واستخلص منها على شكل نقاط وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ز. المعجزة والكرامة والسحر:

بعد أن تناولنا معك المعجزة كدليل لاثبات النبوة، وعرفت أنها أمر خارق للعادة يظهره الله على مدعي النبوة عند تحدي المنكر له على وجه يبين صدق دعواه. وعرفت شروطها وطرق ثبوتها، وأنواعها وحكم الاعتقاد بها، سنتناول معك الفرق بينها وبين كل من الكرامة والسحر.

1. الكرامة: هي ما يكرم الله به أولياءه بما يظهره على أيديهم، وليس شرطها ان تكون خارقة للعادة ولا خارجة عن مألوف الناس، فمن الكرامة الاستقامة والتوفيق الى طاعة الله تعالى، والزيادة في العلم والعمل وهداية الخلق الى الحق. (سابق، 214).

ولكن هناك أمور من خوارق العادات غير مقرونة بالتحدي ولا بدعوة النبوة، يجريها الله على يد بعض الصالحين من أتباع الرسل الملتزمين لأحكام شريعة الله، إكراماً لهم وذلك كشاهد مستمر على إمكان معجزات الأنبياء التي جرت في أزمانهم، كما أنها تأكيد وتأييد لرسالة الرسول، باعتبار أن الله تعالى أجراها على يد صالح من صلحاء أمته وتابع من اتباعه، وتسمى هذا النوع من خوارق العادات بالكرامات. (حبنكة، 395).

وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة، فإن المعجزة لا تدل لعينها، وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبوة والرسالة ... وهما لا تفترقان في جواز العقل، الا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة ... فإن أصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات لا سبيل الى جحده، وما كانوا انبياء إجماعاً، وكذلك خصت مريم عليها السلام بضروب من الآيات، فكان زكريا عليه السلام يصادف عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء ويقول متعجباً: أنى لك هذا، وكذلك أم موسى ألهمت في أمره بما لاخفاء فيه، وجرى من الآيات في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا ينكره منتم الى الاسلام، وكان ذلك قبل النبوة والانبعاث، والمعجزة لا تسبق دعوى النبوة. (الجويني، 319-320).

وبملاحظة واقع هذه الكرامات، نرى أنها في الغالب، تكون بمستويات أقل من مستويات المعجزات، أنها تكون بصورة ليس لها صفة الظهور للجماهير الكثيرة، او الانتشار العام بين الناس.

وبهذا التوضيح لا تلتبس الكرامات بالمعجزات، ولا تشتبه بها، لأن ليست كل أمر خارق للعادة يثبت نبوة أو رسالة من أجراه الله على يديه، الا أن يكون هذا الخارق للعادة مرافقاً لدعوى النبوة ومقروناً بالتحدي. (حبنكة، 395).

وقد أثبت القرآن الكريم عدداً من الكرامات لبعض الصالحين، فجاء بشأن اصحاب الكهف قوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً. إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً" (الكهف/9-12)

وفي الآية جرى تسمية إنامتهم هذه السنين العديدة آية، ومعنى ذلك انها امر خارق للعادة، وهو ليس امراً يستدعي التعجب او الاستغراب من ان يجري الله تعالى مثل هذا الامر الممكن في مقاييس العقل، فهو مضاف الى قدرة الله تعالى القادرة التي خلقت السموات والأرض، ومن المعروف ان نومهم استمر ثلاثمائة وتسع سنوات كما جاء في قوله تعالى: "ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً" (الكهف/25).

ومن الكرامات التي ذكرها القرآن الكريم أيضا، كرامة السيدة مريم رضي الله عنها بحملها بعيسى عليه السلام دون أن يمسها بشر، وهذا أمر خارق للعادة في التناسل، ويلاحظ في هذا الخارق انه كرامة بالنسبة إلى مريم، وإرهاص بالنسبة الى عيسى عليه السلام، وقد أثبت القرآن الكريم هذه الكرامة في قوله تعالى: "قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضيا" (مريم/20-21) ولقد سمى القرآن الكريم هذا الحمل آية.

ومن كرامات الصحابة رضي الله عنهم، ما رواه ابن عمر: ان عمر بعث جيشاً وأمر عليه رجلاً يدعى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح: يا سارية الجبل، فقدم رسول من الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح يصيح: يا سارية الجبل، فاسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله تعالى" (رواه البيهقي في دلائل النبوة، وابن عاك وغيره بإسناد من مشكاة المصابيح: الحديث رقم 5954).

فالكرامات حوادث خاصة يكرم الله بها بعض المتقين، فلا يصح أن تتخذ ذريعة لإثبات أحكام شرعية أو نفيها، فالأحكام الشرعية لها مصادرها كما لا يصح أن تتخذ ذريعة للتفاخر أو تحصيل الأموال، وإلا كانت استدراجاً ووبالاً على صاحبها، (حبنكة، 410).

2. السحر: قال الأزهري: السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وقال أيضاً: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وحيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه. (ابن منظور، 348/4)

وقال في المعجم الوسيط: السحر ما لطف ماخذه ودق (أنيس وآخرون، 419/1).

أما في الاصطلاح: قال فخر الدين الرازي: السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع" (المصباح المنير، 268)

وقال ابن قدامه المتدسي: "هو عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه، او يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور او قلبه او عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل، وما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين وزوجه، وما يبغض أحدهما الى الآخر او يحبب بين اثنين" (ابن قدامة، 104/10).

ومن الأدلة على وجود السحر قوله تعالى: "فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون" (يونس/81-82)

وقال تعالى: "فاوجس في نفسه خيفة موسى. قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى، فالقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى" (طه/67-70)

قال القرطبي: ذهب أهل السنة إلى ان السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة وأبو اسحق الاسترابادي من أصحاب الشافعي الى ان السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخيل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به. وأنه ضرب من الخفة والشعوذة كما قال تعالى: "فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى" (طه/66) وقال تعالى، "قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم" (الأعراف/116)، (القرطبي، 46/2).

إن هذه الآيات الكريمة تبين بوضوح أن السحرة لا يغيرون حقائق الأشياء، وإنما يقومون بأعمال تؤثر على اعين الناس وتوهمهم ان الأمور قد تغيرت حقيقتها كما حصل مع حبال السحرة فقد تخيل المشاهدون بأنها أصبحت حيات تسعى مع أنها بقيت حبال. وهذا ما يناسب المعنى الاصطلاحي للسحر من أنه مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع. فالنصوص الشرعية تشهد لهذا المعنى للسحر.

ويمكن تلخيص الفروق بين المعجزة والسحر في النقاط التالية:

أ- اختلاف احوال كل من النبي والساحر، فصاحب المعجزة تتلألأ أنوار التقوى في وجهه، وتلوح آثار الصلاح في الحياة، تعرفهم بسيماهم، شيمهم الحلم والصبر، وخلقهم الصفح

والعفو والاستغفار، والجود والسخاء والإيثار، والحنو والحدب على الضعفاء والمساكين، والإعراض عن زخرف الدنيا وعن اتباع شهواتها.

أما أصحاب الحيل والشعوذة من السحرة فرذائل التزوير لائحة في وجوههم، ومخايل الغدر واضحة في جباههم، غايّة أمنيتهم نيل الجاه والعز في الدنيا والظفر بما يقضي وطر النفس (ابن المرتضى اليماني، 67-68).

ب. الانبياء اختط الله تعالى منهجهم، فسلكوا سبيل الحق، فلا يتاتى منهم الا الصدق، ولا يأمرون أو يتصرفون إلا بالبر والتقوى والعدل والخير والإحسان يبتغون الأخرة.

بينما السحرة فإنهم يخبرون كذباً ويأمرون بالفحشاء والمنكر ويقترفون المحرمات والمظالم ويتقولون على الله بغير علم.

جـ. يؤيد الله الرسل عليهم السلام بملائكته فيجعلهم سببا في حصول المعجزات حسب مشيئته سبحانه، فإنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أما أصحاب السحر فيستعينون بالجن في تحصيل الأخبار وإظهار العجائب. قال تعالى: "هل انبئكم على من تنزل الشياطين. تنزل على كل أفاك أثيم. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (الشعراء /221-223) حيث توسوس لهم الشياطين وتلقي في نفوسهم بعض المعلومات يصح بعضها وأكثرها غير صحيح وبخاصة ما يتعلق بها بأمور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى.. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم: "وإن الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم" (الانعام/121 ويقول: "وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً" (الأنعام/112).

د. آيات الأنبياء لا يقدر عليها إنس ولا جان، إنما تحصل بأمر الله تعالى، فهي خارجة عن اعتياد الناس والجان ومقدورهم. قال تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً" (الاسراء/88):

أما عجائب السحرة فهي مقدورة لغيرهم من الإنس والجن، فكثيراً ما يرى الناس مناسبات بين أصحاب تلك المهنة، فيعارض بعضهم بعضاً أو يبطل له عجائبه. فعجائب السحرة فنون أشبه ما تكون من ناحية تلقيها عن الاخرين بالعلوم والصناعات المعروفة، فمن اراد اتقانها سلك مسالك أهلها واجتمع بمعلميها فيحقق مثل نتائجهم او يتفوق عليهم. فأين نتائج السحرة من خلق الناقة من قلب الصخرة للنبي صالح عليه السلام، ومن نبع الماء من بين أصابع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

هـ- معجزات الأنبياء لا تنال بالكسب وبذل الجهد، فأمرها عائد الى الله وحده، لا اختيار لأحد منهم في جلبها او دفعها، بل الله يأتي بها حسب علمه وحكمته قال تعالى: "قل إنما الآيات عند الله" (الانعام/109)

أما عجائب السحرة فإنها تنال بالكسب والتعلم وبذل الجهد المُفْتن في الغواية، فالسحر فن معروف، له معلمون يعرفونه ويلقنون تلامذتهم، وفيه مصنفات، فمن تولع به وطالع كتبه، وتتلمذ على مشاهدة تعلمه وأتقنه، بل قد ينبغ فيه فيتفوق على أقرانه ومعلميه. مع العلم أن تعلمه وتعليمه أمر حرمه الشرع لما فيه من غوايات وضلالات.

و. الأنبياء يفتحون الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف، ويزيلون عنها غشاوات التقليد الأعمى والضلالات الموروثة والتبعية الصماء، فإذا بها منطلقة في آفاق الكون، تدرك الحقائق، وتحلل الحوادث، وتصل المسببات بأسبابها، وتتعرف على موجدها العظيم تبارك وتعالى. قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق او لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد" (فصلت /53).

لكن السحرة يفسدون السمع والبصر والعقل والادراك. إذ يخيلون للإنسان الأشياء على خلاف حقيقتها فيتغير حسه وعقله للأمور. (ابن كثير، 487 - 489، عنز، 70 - 81)

تدريب (4)

بعد دراستك لموضوع المعجزة والكرامة والسحر، يرجى إعداد جدول يبين نقاط الاختلاف بين كل من صاحب المعجزة وصاحب الكرامة وصاحب السحر.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. وضح كيف تستدل بجوهر الرسالة عن صدق الرسول في دعواه.
2. سيرة الرسول وأخلاقه تدل على صدقه في ادعاء النبوة. وضح ذلك من خلال مثال.
3. بين معنى المعجزة لغة واصطلاحاً.
4. إذا استجاب الله تعالى لطلب المعجزة او أظهرها من غير طلب وضح الأمرين اللذين يترتبان ذلك.
5. اذكر الشروط الاربعة للمعجزة.
6. يظهر الله تعالى المعجزة على يد الرسول لعدة حكم. وضح إحدى هذه الحكم.
7. هات ثلاثة أمثلة على المعجزات المادية لثلاثة من الانبياء.
8. بين ثلاثة من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.
9. وضح حكم الاعتقاد بالمعجزة وحكم إنكارها.
10. وضح مفهوم كل من المعجزة والكرامة والسحر.

2.5 الأدلة النقلية لإثبات النبوة

إلى جانب الأدلة العقلية لإثبات النبوة التي تناولناها معك في البند السابق، سنتناول الأدلة النقلية من الكتاب والسنة لإثبات النبوة وبشارات الكتب الإلهية السابقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

1.2.5 الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية

يجب ان يعلم المؤمن ان الله سبحانه أرسل الرسل الى جميع الامم في بقاع الارض، وكل رسول أرسل بلسان قومه. قال تعالى: "تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك" (النحل/63) وقال سبحانه وتعالى: "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" (فاطر/24).

ولقد ثبت نبوة خمسة وعشرين نبياً الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم، وأخبرنا بطرف من قصة كل واحد منهم مع قومه، ودلنا على معجزات عدد منهم، ومواقف أقوامهم منهم، والعذاب الذي انزله الله تعالى عليهم بسبب تكذيبهم أنبيائهم وتعذيبهم لهم والتآمر عليهم وعلى أتباعهم. قال تعالى: "وتلك حجتنا آتينا ها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم. ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحي وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين" (الأنعام/ 83-86)

وقال تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين"(آل عمران/33).

وقال تعالى: وإلى عاد أخاهم هوداً" (الأعراف/65).

وقال تعالى: "والى ثمود أخاهم صالحاً" (الأعراف/73).

وقال تعالى: "وإلى مدين آخاهم شعيباً" (الأعراف /85).

وقال تعالى: "وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين" (الأنبياء/85).

وقال تعالى: "ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" (الأحزاب/40)

إن هذه الآيات الكريمة قطعية الثبوت، وقد دلت بصورة قاطعة على نبوة هؤلاء الأنبياء الذين بلغ عددهم خمساً وعشرين رسولاً ونبياً.

2.5.2 بشارات الرسل والكتب الإلهية السابقة

هذا دليل خاص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بشر برسالته كل من موسى وعيسى عليهما السلام ليحثا اتباعهما على اتباع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم متى بعثه الله تعالى، وليجعل في كتبهم حجة عليهم إذا هم أخذتهم العصبية، أو حجبهم حسدهم للأمة التي سيجعل منها هذا النبي. وكا ن اليهود في الجزيرة العربية يدعون الله ان يفتح عليهم بالنبي المنتظر، حتى يتبعوه ويقاتلوا العرب الوثنيين معه، لأنهم كانوا يعلمون ان الله يكتب له النصر والفتح.

ولما لم يات هذا النبي الموعود من اليهود بل جاء من العرب، حسدوهم فكفر كثير منهم بغياً من عند انفسهم، وهم يعلمون صدق رسالته بشهادة صفاته المنوه عنها في كتبهم. وقد بين القرآن الكريم حقيقتهم هذه في قوله تعالى: "ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما فيهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين" (البقرة/89).

وقد صرح القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام بشر رسول يأتي من بعده اسمه أحمد في قوله تعالى: "واذا قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين". (الصف/6).

ونرى القرآن الكريم يكشف حقيقة العلماء من أهل الكتاب، بأنهم يعرفون أن محمداً رسول الله معرفة تامة، من خلال صفاته المكتوبة عندهم في بشائر النبي المنتظر. قال تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون" (البقرة/146). (حبنكة، 326-327)

وقد آمن بسبب هذه البشارات عدد من اليهود والنصارى منهم:

- الجارود بن العلاء كان من علماء النصارى مع وفد من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال للرسول صلى الله عليه وسلم "والله لقد جئت بالحق، ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحق نبيا، لقد وجدت وصفك في الانجيل، وبشر بك ابن البتول" (أخرجه البيهقي عن ابن عباس) وقد أعلن إسلامه بناء على هذه البشارات التي يعرفها.

- عبد الله بن سلام كان من أحبار اليهود، وأعلمهم بالتوراة، فلما سمع بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، جاء إليه وسأله عن مسائل ثلاث: وقال له: لا يعلمهن الا نبي، فأجابه الرسول عنها.

فقال عبدالله بن سلام؛ أشهد انك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبدالله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي رجل فيكم عبدالله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرأيتم إن أسلم عبدالله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله إليهم فقال: أشهد أن لا إله الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا ... ووقعوا فيه، فقال عبدالله بن سلام: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله"

(البخاري، كتاب الانبياء، مشكاة المصابيح رقم الحديث 5870).

أسئلة التقويم الذاتي (6)

1. أذكر عدد الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم.
2. هات شاهداً من القرآن الكريم على نبوة عدد من الانبياء.
3. الاستدلال بإخبار الرسل السابقين بصفات محمد صلى الله عليه وسلم يدل على نبوته. وضح ذلك.
4. هات مثالاً من القرآن الكريم يدل على ان عيسى عليه السلام بشر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
5. آمن عدد من اليهود والنصارى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق البشارات به التي وردتهم في كتبهم الإلهية. هات مثالين على ذلك أحدهما من النصارى والآخرين من اليهود.

الإيمان بالرسل في حياة المسلم

تقدم العقيدة الاسلامية بجميع اركانها تصوراً سليماً ومتكاملاً للوجود (الكون والانسان والحياة)، بدئه ونهايته، وسر وجوده، وما يترتب على هذا التصور من الايمان بالخالق العظيم الذي اوجده ونظمه، والذي يتولى تحديد مصيره. ويتمكن الانسان في ظل هذه العقيدة من تنظيم علاقته بخالقه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بغيره من الناس.

والايمان بالرسل ركن من اركان العقيدة الإسلامية، له آثار ايجابية في حياة المسلم، ومن هذه الآثار.

1. يجعل المسلم حريصاً على أخذ عقيدته عن طريق الوحي الإلهي، ويبتعد عن طرق الفلسفة التي تعتمد العقل البشري مصدراً للوصول الى العقيدة التي تقدم للانسان تصوراً لهذا الوجود مبنيا على الآراء الشخصية، والأهواء الذاتية، كما يبتعد به عن الخرافات والسحر والكهانة التي توقع الانسان في الضلال.
2. يجعل المسلم واعيا على أهمية اتباع الشريعة الاسلامية باعتبارها الشريعة الخاتمة التي ختم الله تعالى بها النبوات والرسالات، وقد جاءت شريعة متكاملة تقدم الأصول والقواعد للأحكام الشرعية التفصيلية، كما تقدم أحكاماً تفصيلية لبعض الأمور التي لا تحتمل الاجتهاد والاختلاف في الرأي كبعض شؤون الأسرة والميراث والعبادات والأخلاق.

3. يقدم للمسلم القدوة الحسنة من حياة الأنبياء حيث اصطفاهم الله تعالى من خلقه ومنحهم الكمال الخلقي وعصمهم عن المعاصي والآثام وبرأهم من كل نقص. وجعلهم مثلا طيباً في التقيد بما يدعون الناس اليه من عقيدة واحكام وسلوك. فيولد ذلك في نفس المسلم القناعة الثابته بإمكان تطبيق احكام هذا الدين في كل زمان ومكان لأنه طبق بشكل كامل ودقيق في حياة كل نبي من الأنبياء.

4. يخلص المسلم من العادات والتقاليد الجاهلية، لأن عليهم السلام يعملون جاهدين على تخليص الانسان من هذه الأمور لأنها لا تتناسب مع عقيدة التوحيد التي تدعو الى العادات الحسنة والأخلاق الكريمة المنبثقة عنها.

5. يمكن المسلم من الوقوف على حقائق الأمور دون ظواهرها فيما يتعلق بامور الغيب وما يتعلق بالدار الأخره من بعث وحساب وميزان وسراط والجنة والنار، وهذه امور لا يمكن ان يعرفها الانسان الا عن طريق الرسل الذين يوحي اليهم الله تعالى ما يتعلق بهذه الامور ليعرفوها ثم يعرفون الناس عليها. ليكونوا على علم اليقين بما ينتظرهم في الدار الأخرة.

6. يخلص المسلم من الشك وذلك ان تحصيل اليقين بالطرق العقلية في امور هذا الوجود ضرب من المحال، ولكن المعرفة التي يقدمها الانبياء والرسل معرفة يقينية في مجال امور العقيدة جميعها، لأنها تاتيهم عن طريق الوحي الالهي.

7- الخلاصة

أما وقد فرغنا، عزيزي الدارس، من عرض فقرات هذه الوحدة، فإننا نضعك امام أهم ما ورد فيها من مضامين.

بالنسبة للنبوة والرسالة، فقد تبين لدينا انهما مفهومان يمكن أن يطلق أحدهما على الآخر إذا ورد مستقلا. أما اذا اجتمعا فمن العلماء من يسوي بينهما كالتفتازاني، ومنهم من يفرق بينهما فيجعل الرسول صاحب شريعة يؤمر بتبليغها خلافاً للنبي، فهو يعمل بموجب شريعة سابقة. والنبوة أعم والرسالة أخفى، فكل نبي رسول ولا عكس.

وقد ميزنا بين النبوة وكل من الفلسفة والعبقرية، فذكرنا ان النبوة هبة إلهية، اما الفلسفة والعبقرية فكل منهما وليد العقل البشري.

وعن حاجة الناس الى الرسالة تبينا ذلك في ضرورة تنظيم حياة الناس على أسس قويمة، وتعريفهم بما قبل هذه الحياة وما بعدها. وهداية الناس الى الله ومعرفة الحق، فالعقول البشرية قاصرة عن إدراك الحق في كثير من الاحيان.

وقد تبين لدينا في القسم الثاني ان الوحي لفظ عام ينبىء عن الاشارة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وهو بالمعنى الخاص يعني الإعلام الخفي السريع. ونطلق اصطلاحاً على إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي او نحوه.

والوحي أربعة أقسام: الرؤيا الصادقة. وتكليم الله للنبي من وراء حجاب، وإرسال ملك الى النبي، والالهام بمختلف صوره وضروبه.

وعندما تحدثنا عن صفات الانبياء في القسم الثالث تبين لدينا عدد كبير من الصفات الخلقية والخُلقية، ومن هذه الصفات ان يكون من البشر، وأن يكون ذكراً حراً فطناً ذكياً صادقاً أميناً على الرسالة، معصوماً من المعاصي والخطأ في التبليغ، على تفصيل في جوانب العصمة فصلناه في حينه.

وفي مقام حديثنا عن أدلة إثبات النبوة التمسنا هذه الأدلة في الادلة العقلية والنقلية وبشارات الكتب السماوية السابقة.

ومن الأدلة العقلية حاجة البشر الى الرسول في شؤون معاشهم ومعادهم.

وظهور المعجزة على يدي النبي، سواء أكانت هذه المعجزة مادية أم معنوية وقد ميزنا هنا بين حقيقة كل من المعجزة والكرامة والسحر، وقلنا ان المعجزة تكون للأنبياء، أما الكرامة فللأولياء. بينما السحر تخييل على أعين الناس. وأضفنا إلى الادلة العقلية سيرته صلى الله عليه وسلم والرسالة نفسها.

وقد ذكرنا من الأدلة النقلية حداً أدنى منها لنشفعها بذكر بشارات الكتب السماوية السابقة بالنبي صلى الله عليه وسلم استئناساً بها دون اعتبارها أدلة في مستوى ما ورد في القرآن والسنة.

وأخيراً فقد انتهينا الى بيان اثر الايمان بالرسل في حياة المسلم، وتتجلى هذه الآثار في ضرورة اتباع ما يأتون به من شرائع، والتحلي بما يرشدون إليه من أخلاق، والعمل على توحيد الأمة في ظلال من الأخوة الدينية، وإلغاء العادات والتقاليد الجاهلية، والوقوف على حقائق الأمور دون ظواهرها والتماس طرق الهدى، إلى ما هنالك من آثار يطوى ذكرها.

لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية الثانية

يأتي حديثنا في الوحدة الثانية استكمالاً لحديثنا في هذه الوحدة، وضمن حديثنا عن الايمان بالرسل، وسنركز الحديث في الوحدة التالية حول مفهوم ختم النبوة مبينين معناه وأدلته النقلية والعقلية التي تقطع دونما شك الطريق على كل من يحاول أن تسول له نفسه ادعاء النبوة بعد خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. ولذا فإنك ستجد، عزيزي الدارس، عرضاً لا بأس به في الحديث عن البهائية (أتباع بهاء الله) والقاديانية (اتباع غلام أحمد القادياني) الذين ادعيا فتح باب النبوة، الأمر الذي استدعى التعريف بهاتين الديانتين المزعومتين من حيث نشأة كل منهما وأفكارها وموقفها من ختم النبوة وصلتها بالاستعمار والصهيونية.

تدريب (1)

- النبوة/ الوحي المنبع الأول لعامة الأخبار الغيبية وشؤون العقيدة وأحكام التشريع.
- الفلسفة/ العقل الانساني وما يتوصل اليه عن طريق الاستدلال النظري هو منبع المعرفة عن الالهيات وشؤون العقيدة والتشريع.
- العبقرية/ العقل الانساني الحاذق المتميز هو مصدر العبقرية وهو الذي يمد العبقري بما يجعله متميز على غيره في مجال من مجالات العلم والمعرفة.

- النبوة/ منحة من الله تعالى على خلقه يخص بها بعض عباده الذين يهيؤهم لحمل الرسالة.
- الفلسفة/ يصل اليها الفيلسوف عن طريق الكسب اوالتعليم وتعتمد على الجهد الشخصي.
- العبقرية/ يصل اليها العبقري عن طريق صقل مواهبه وتوظيفها للوصول إلى الامر المتميز بين الناس.

- النبوة/ نتائج علم النبوة حقائق صادقة ومعلومات دقيقة وعقائد دقيقة وأحكام شرعية بعيدة عن التناقض تلبي حاجات الانسان.
- الفلسفة/ نتائج ابحاث الفلاسفة خليط من الخطأ والصواب والخرافات والتخمين وبخاصة في مجال الغيبيات وفي الذات الالهية وصفاتها.
- العبقرية/ نتائج العبقرية تفوق العبقري وفن فنون العلم او المعرفة او الصناعات على أهل عصره او على غيره من الناس.

- النبوة/ تورث النبوة الناس طمأنينة قلبية وقناعات عقلية وسلوكاً راقيا في جميع مناحي الحياة وأخلاقاً كريمة.
- الفلسفة/ تورث الفلسفة الناس حيرة وقلقا وتناقضات في التصور وخرافات في مجال الالهيات.
- العبقرية/ تورث العبقرية صاحبها غروراً أحيانا وتعاليا على الناس أحيانا أخرى، يهتم بالجانب الذي برز فيه ويهمل جوانب الحياة الأخرى.

- النبوة/ تكسب النبي عصمة عن الوقوع في الخطأ في تبليغ ما يوحى إليه من ربه كما تعصمه من الوقوع في المعاصي والآثام.
- الفلسفة/ تقود صاحبها الى التخمينات والتناقضات في الآراء والوصول الى نتائج غير منطقية. لابتعادهم عن الوحي الالهي.
- العبقرية/ تكسب صاحبها تميزاً على غيره من الناس في الجانب الذي تفوق فيه ولكن كثيراً ما يكون تفوقه في جانب موزناً ضموراً في المجالات الأخرى.

- النبوة/ تجعل الانبياء خيرة الله من خلقه في عقيدتهم وسلوكهم وأخلاقهم فهم قدوة للناس في كل أمر.
- الفلسفة/ تجعل الفلاسفة طبقة من الناس تعيش في معرفة بشرية قاصرة آراؤهم متناقضة تجعلهم يعيشون في حيرة من امرهم.
- العبقرية/ لكل عبقري مهما سما في آفاق العبقرية سقطات لا تجعله قدوة لغيره من الناس، ولكل عبقري كبوة في فكره تجعل ما يتوصل اليه عرضة للخطأ.

تدريب (2)

1. في مجال الاعتقاد: الناس في حاجة ماسة الى الوقوف على الحقائق المتعلقة بخلق الانسان ومصيره، والمتعلقة بهذا الوجود وماله وباسرار بدء الحياة.
2. في مجال العبادة: الناس في حاجة الى من يبين لهم شعائر الدين وما يتصل بها من اركان وشروط وهيئات حتى تكون مقبولة عند رب العالمين.
3. في مجال تنظيم المجتمع: الناس في حاجة الى النظم والشرائع التي تنظم حياتهم وتعالج مشكلاتهم وتهذب نفوسهم وتجعلهم أمة قوية مؤمنة.
4. في مجال الاقتداء بالرسل: الناس في حاجة ماسة في مجال اصلاح مجتمعاتهم الى مصلح يكون اسوة حسنة لهم، تتوافر في شخصيته القدوة الحسنة.

تدريب (3)

الذكورة شرط النبوة، فالنبي والرسول ذكر ولا يجوز ان يكون انثى، أما ما ورد في القرآن الكريم من اسناد الوحي الى ام موسى وكذلك الى مريم ابنة عمران فهو نوع من الالهام الالهي ولكن هذا لا يقتضي النبوة.

تدريب (4)

الفروق بين المعجزة والكرامة والسحر

- صاحب المعجزة/ نبي يوحى اليه من الله تعالى يتحدى بها الناس وتشهد لنبوته.
- صاحب الكرامة/ لرجل او امرأة يتصف بالصلاح والتقوى لا يتحدى بها تشهد لصلاحه.
- صاحب السحر /يتصف بالرذائل من الاخلاق ، صاحب حيل يتحدى الناس بسحره.

- صاحب المعجزة/ تتلألأ أنوار التقوى في وجهه وتلوح آثار الصلاح في محياه، يتصف باكتمال الخلق، معصوم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- صاحب الكرامة/ انسان صالح يتصف بالاخلاق الفاضلة ولكنه غير معصوم وإن كان حريصا على الابتعاد عن كل ما هو معصية او اثم.

- صاحب السحر/ مشعوذ بعيد عن الصلاح ، السحرة يخبرون كذب ويأمرون بالفحشاء والمنكر ويقترفون المحرمات والمظالم ويتقولون على الله بغير علم.

- صاحب المعجزة/ يوحي اليه ربه عن طريق الملائكة.
- صاحب الكرامة يوحى اليه عن طريق الالهام.
- صاحب السحر/ يكون تحت وسوسة الشياطين وإيحائهم إليه.

- صاحب المعجزة/ معجزات الانبياء لا يقدر عليها إنس ولا جان.
- صاحب الكرامة/ الصالح ليس شرطاً ان تكون خارقة للعادة، واذا كانت خارقة لا تكون علامة على النبوة.
- صاحب سحر/ الساحر يقدر عليه غيره من السحرة.

10- شرح المصطلحات

النبـــــــــوة: وصول خبر من الله تعالى الى احد خلقه عن طريق الوحي وإعلامنا انه نبي.

الرسالـــــــــة: تكليف الله تعالى لأحد عباده بإبلاغ الآخرين بشرع أو حكم معين.

الفلسفـــــــــة: الحكمة اوحب الحكمة

العبقريـــــــــة: هي المواهب البشرية التي يصل اليها بعض الناس وتنمي عندهم بحيث يتميزوا بها على غيرهم.

الوحـــــــــــي: هو إعلام الله تعالى رسولاً من رسله او نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام او معنى بطريقة تفيد النبي او الرسول العلم اليقيني القاطع بما اعلمه الله به.

النفث في الروح: القاء الله معنى في قلب النبي يقظة يتم من غير واسطة ملك مع وجود علم ضروري عند النبي بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعاً فهو نور يندلج في القلب فلا يندفع ولا يحتمل الشك او التأويل.

الروح الأميـــــــن: ملك الوحي جبريل عليه السلام

العيوب المنفـــــرة: الأمراض المنفرة كالجذام والبرص.

الفطنـــــــــــة: الفهم مع رقة الشعور، وصفاء الذهن ورهافة الحس وصدقه وسرعة البداهة.

العدالـــــــــة: صفة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة فتحصل ثقة النفس بصدقه.

الضبـــــــــــط: التيقظ التام في تبليغ الرسالة وفهمها وحفظها.

العصمـــــــــــة: هي لطف من الله تعالى يحمل النبي والرسول على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء.

المعجـــــــــزة: امر ممكن عقلاً، خارق للعادة، يجريه الله على يد من اراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته.

المعجزة الماديـــــة: وهي التي تقع وتنقض فيراها من يشاهدها، ثم ينقل خبرها للآخرين نقلاً كما ورد في القرآن الكريم عن معجزات الأنبياء السابقين.

المعجزة غير المادية: وهي المعجزة الخالدة التي لا تنقضي مظاهر إعجازها على مر الأيام والعصور وتنحصر في القرآن الكريم.

الكرامـــــــــة: هي ما يكرم الله به اولياءه بما يظهره على أيديهم، وليس شرطها ان تكون خارقة للعادة ولا خارجة عن مألوف الناس.

السحـــــــــــر: كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع.

1. ابن أبي شريف، كمال الدين محمد بن محمد، السافرة بشرح المسايرة، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، بلا.
2. ابن تيمية، شيخ الاسلام أحمد، مجموع فتاوى شيخ الاسلام، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد، ط1، 1398هـ.
3. ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن احمد المقدسي، المغني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، 1401هـ - 1981م.
4. ابن كثير، عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، معن، عيسى البابي الحلبي، بلا.
5. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر ودار بيروت، 1388هـ - 1968م.
6. انيس، ابراهيم ورفاقه، المعجم الوسيط، القاهرة، 1392هـ - 1972م
7. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري بشرح ابن حجر (فتح الباري)، بيروت، المطبعة البهية المصرية، ط4، 1408 هـ - 1988م.
8. البخاري، محمد بن اسماعيل، مختصر صحيح البخاري، شرح لجنة من العلماء، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1987م.
9. التبريزي، الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق الالباني.
10. التميمي البغدادي، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر، كتاب أصول الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1401هـ - 1981م.
11. الجزائري، ابو بكر جابر، عقيدة المؤمن، مكتبة الكليات الأزهرية، 1980م.
12. الجويني، امام الحرمين، كتاب الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، حققه محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، 1369 هـ - 1950م.

13. حبنكة، عبد الرحمن حسن، العقيدة الاسلامية وأسسها، دمشق دار القلم، ط5،1408هـ- 1988م.
14. الخطيب، محمد عجاج، اصول الحديث علومه ومصطلحه، لبنان، دار الفكر الحديث، ط1 ، 1386هـ - 1967م.
15. الخن، مصطفى، مبادىء العقيدة الاسلامية، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ط8 1414هـ/ 1994م الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، مصر، عبد الرحمن محمد، بلا
16. الرازي، الامام فخر الدين، عصمة الانبياء، حمص، المكتبة الاسلامية، بلا
17. الزرقاني، شرح المواهب اللدنة، مصر، المطبعة الازهرية، 1325هـ.
18. السائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها، عمان، منشورات وزارة الأوقاف، ط2 ، 1404 هـ/1983م.
19. سابق، سيد، العقائد الاسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي، بلا.
20. الطحاوي، أبو جعفر محمد بن سلامة بن مسلمة بن عبد الملك، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت، الكتب الاسلامي، ط4، 1391 هـ.
21. عنز، حسن ضياء الدين، وحي اليه حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، جدة، دار الفنون للطباعة والنشر، ط2، بلا.
22. الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1965م.
23. فرغل، يحي هاشم حسن، الأسس المنهجية لبناء العقيدة، القاهرة، دار الفكر العربية مطبعة دار القرآن، 1978م.
24. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، دمشق، مكتبة الغزالي، بلا.
25. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، مؤسسة من هو العرفان. دمشق، مكتبة الغزالي، بلا.
26. الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد، تثبيت دلائل النبوة، حققه عبد الكريم عثمان، بيروت، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بلا.
27. اليماني، ابو عبدالله محمد بن المرتضى، إيثار الحق على الخلق، القاهرة مطبعة الآداب والمؤيد، 131هـ.

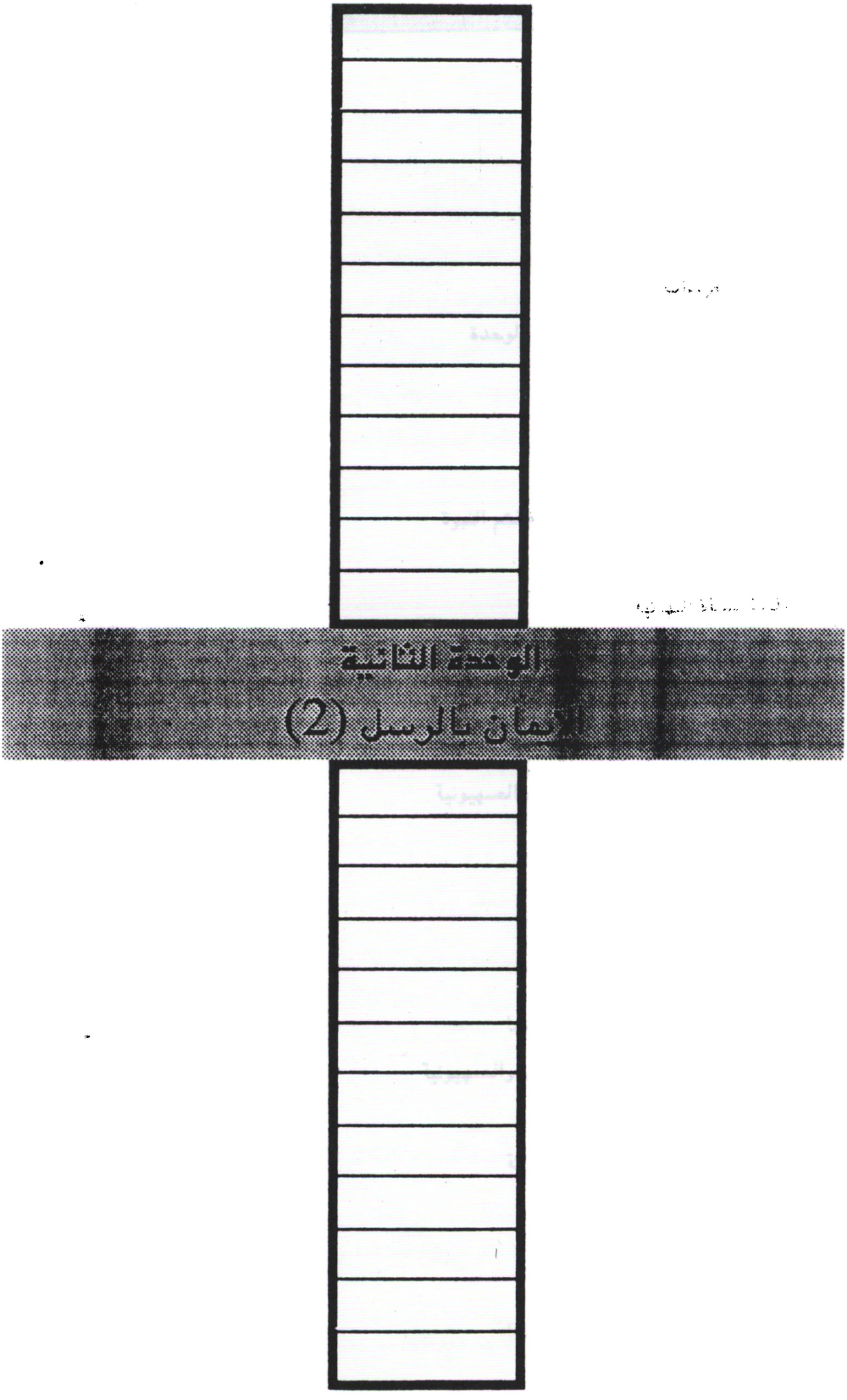
الوحدة الثانية
الإيمان بالرسل (2)

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
1- المقدمة	
1.1 تمهيد	57
2.1 أهداف الوحدة	57
3.1 أقسام الوحدة	57
4.1 القراءات المساعدة	58
5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة	58
2- ختم النبوة عند المسلمين	58
1.2 معنى ختم النبوة وأهميته	59
2.2 أدلة ختم النبوة	60
3.2 نزول عيسى عليه السلام وختم النبوة	65
3- البهائية وختم النبوة	69
1.3 نشأة البهائية	71
2.3 عقائد البهائية وموقفها من ختم النبوة.	74
3.3 من شرائع البهائية	85
4.3 مبادىء البهائية وتعاليمها	86
5.3 علاقة البهائية بالاستعمار والصهيونية	89
4- القاديانية وختم النبوة	92
1.4 نشأة القاديانية	92
2.4 القادياني ودعوى النبوة	94
3.4 فرق القاديانية	101
4.4 من عقائد القاديانية وتعاليمها	102
5.4 علاقة القاديانية بالاستعمار والصهيونية	104
5- الخلاصة	108
6- لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية الثالثة	109
7- إجابات التدريبات	109
8- مسرد المصطلحات	111
9- المراجع	112

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس ،

أرحب بك إلى الوحدة الثانية من مقرر العقيدة الإسلامية (٢) برنامج التربية/ تخصص التربية الاسلامية وهي بعنوان "الايمان بالرسل (2) ختم النبوة ومواقف الفرق الضالة منه" ، وفيها نستكمل ما بدأناه في الوحدة الأولى من حديث عن الإيمان بالرسل ، وهو الركن الرابع من أركان العقيدة الإسلامية. فقد تعرفت في الوحدة السابقة معنى النبوة والرسالة وصفات الأنبياء وأدلة إثبات النبوة ، وها نحن نستأنف المسيرة لنتناول في هذه الوحدة موضوع ختم النبوة وأدلته ، ومواقف بعض الفرق الضالة منه ، وبخاصة البهائية والقاديانية اللتين أطلتا على عالم الأديان في نهاية القرن الماضي ، فنتعرف نشأة كل منهما وأهم عقائدهما ، وردنا على مزاعمهما وصلتهما بالاستعمار.

وستجد ، عزيزي الدرس ، في ثنايا هذه الوحدة عددا من التدريبات والنشاطات التي هدفنا من خلالها إلى تمكينك من التفاعل مع فقرات هذه المادة التعليمية ، أملاً في تحقيق نتاجات تعلمية أفضل.

2.1 أهداف الوحدة

ينتظر منك بعد دراستك هذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. توضح المفاهيم والمصطلحات الأساسية الواردة في الوحدة.
2. تستدل على ختم النبوة بالأدلة الشرعية المناسبة.
3. تبين موقف كل من البهائية والقاديانية من ختم النبوة.
4. تذكر نشأة كل من البهائية والقاديانية
5. تبين أهم عقائد كل من البهائية والقاديانية
6. تبين صلة كل من البهائية والقاديانية بالاستعمار
7. تفند عقائد البهائية والقاديانية في موضوع ختم النبوة.
8. تبين ما يؤكد لك أن الإسلام خاتم الأديان.

3.1 أقسام الوحدة

نتناول مفردات هذه الوحدة ضمن الأقسام الثلاثة التالية والتي تشترك جميعها في تحقيق الهدف الأول من أهداف الوحدة.

القسم الأول - يتناول موضوع ختم النبوة عند المسلمين من حيث معناه وأدلته وأهميته ، وهو يغطي الهدفين الثاني والثامن.

القسم الثاني - وهو خاص بالبهائية وموقفها من ختم النبوة ، وفيه تتعرف نشأة البهائية وأهم عقائدها والرد عليها وصلتها بالاستعمار.

القسم الثالث - وهو يعالج موضوع القاديانية وموقفها من ختم النبوة. وتتبين فيه نشأة القاديانية وأشهر عقائدها والرد عليها ، وصلتها بالاستعمار.

ويغطي القسمان الثاني والثالث الأهداف من الثالث إلى السابع.

4.1 القراءات المساعدة

عزيزي الدارس ، من المأمول أن تفي المادة التعليمية التي بين يديك بما وضع إزاءها من أهداف، ومع ذلك ، فإننا نطمع أن نصلك ببعض المراجع المهمة ذات الصلة بالموضوع لتقرأ ما يمكنك قراءته منها لفائدتها المتميزة.

1- ظهير إحسان إلهي. البهائية - نقد وتحليل. -ط2 ، باكستان. لاهور، إدارة ترجمان السنة ،1981م.

2- السامرائي ، عبدالله السلوم. القاديانية والاستعمار الانجليزي. بغداد، دار واسط. (د.ت).

5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة

أدعوك ، عزيزي الدارس ، إلى أن تكون حاضر الذهن وأنت تطل على العقائد البدعية لدى كل من البهائية والقاديانية. لتتعرف ما فيها من خطأ وانحراف عن الجادة ، ولتعزز قناعتك بهذا الدين الحنيف ، دين الإسلام الخالد.

2- ختم النبوة عند المسلمين

تبين لك ، عزيزي الدارس ، وجه الحاجة إلى النبوة فيما درسته في الوحدة الأولى من هذا المقرر، فالأنبياء شموس الهدى التي تسطع على آفاق النفوس البشرية فتضيء جوانبها وتزيح عنها ظلمة الجهل والمرض ، وهم أنوار الحق التي تهدي إلى عالم الحقيقة. «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم». (سورة المائدة 15 ، 16).

وقد يتساءل أحدنا : هل حاجتنا إلى النبوة تستلزم الحاجة إلى استمرار وجود أنبياء بأشخاصهم وذواتهم ، أم أننا يمكننا أن نتدبر أمورنا في حياتنا على هدي من نبوة سابقة تتسم بالشمول والعالمية والاتزان ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تستدعي منا الوقوف على هذا الموضوع الخطير . ألا وهو موضوع ختم النبوة ، لنتبين جواب العقيدة الإسلامية عنه أولاً ، ثم رأي بعض الحركات المبتدعة في هذا الشأن.

وبياننا لموقف العقيدة الإسلامية يمر عبر المسائل التالية:

الأولى : معنى ختم النبوة وأهميته

الثانية: الأدلة على ختم النبوة.

الثالثة: نزول عيسى عليه السلام وختم النبوة.

1.2 معنى ختم النبوة وأهميته

تقرر لدينا فيما سبق وجه الحاجة إلى النبوة والرسالة ، وقد اقتضت رحمة الله بعباده أن بعث في كل أمة نذيرا. قال تعالى : «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير». (سورة فاطر 24). ثم إنه عقب على هذه النبوات والرسالات القومية بنبوة ورسالة ذات طابع عالمي إنساني ، وهي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى :«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». (سورة الأنبياء 107)

لقد جاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تتويجاً للنبوات والرسالات الإلهية عبر القرون المتطاولة، فكانت مسك الختام لسلسلة الهبات الإلهية للجنس البشري في هذا المجال. لقد كانت - على حد تعبير الشيخ محمد الغزالي «عوضاً كاملاً عن إرسال جيش من النبيين يتوزع على الأعصار والأمصار ، بل إنها سدت مسد إرسال ملك كريم إلى كل إنسان تدب على الأرض قدماه ، ما بقيت على الأرض حياة ، وما تطلعت عين إلى الهدى والنجاة». (الغزالي ، فقه السيرة ، 1965 ، ص 20)وبهذا فإن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت خاتمة النبوات جميعاً ، فما معنى كونها خاتمة ؟وبعبارة أخرى : ما معنى ختم النبوة؟

إن القول بختم النبوة يعني الاعتقاد الجازم أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمرسلين ، وأن الإسلام آخر الرسالات ، وأن الوحي الإلهي قد انقطع بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً غيره «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين». (سورة آل عمران 85) ، وأن القول بوجود أنبياء آخرين بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، أو رسالات أخرى بعد رسالة الإسلام خروج عن جادة الحق ، وردة صريحة ، ولا يقبل الله ممن يقول بهذا القول صرفاً ولا عدلا ، وأن من يزعم مثل هذا الزعم كافر ولو ادعى أنه يستظل بالإسلام.

إن القول بختم النبوة له من الأهمية في حياة الناس مثل ما للنبوة نفسها من أهمية في حياتهم ذاتها ، أما كيف ذلك فإليك البيان:

إن الوحي الإلهي جاء مكملاً لقصور العقل البشري عبر تاريخ النبوات ، إذ لم يكن بد من إرسال الأنبياء والرسل للأخذ بيد البشرية في طفولتها وصباها ، وفي هذه المرحلة من عمر البشرية تعددت النبوات بتعدد الأمم كما ذكرنا ، وقد اقتضت الحكمة الإلهية ذلك لأن صلاح تلك المجتمعات لم يكن ليتم دون تخصيص كل أمة بنبي أو رسول أو أكثر. وحيث إن الشرائع الإلهية تقوم على المصلحة ، فقد اقتضت الحكمة الإلهية كذلك أن يجمع البشرية جميعاً على رسالة واحدة ، هي رسالة الإسلام ، كفاء المرحلة العمرية التي بلغتها البشرية مع الإسلام وهي مرحلة البلوغ والرشد. وما يناسب مرحلة عمرية ليس بلازم أن يكون ملائماً لمرحلة عمرية أخرى ، ولذا فلاعجب أن ينقطع حبل النبوات بعد أن دخلت البشرية مرحلة الرشد ، وبلغ العقل الإنساني من القوة ما يمكنه من شق طريقه في الحياة في ضوء ما جاءت به الرسالة الخاتمة. يقول الشيخ محمد عبده: «هل بعد الرشد وصاية؟ وبعد اكتمال العقل ولاية؟ كلا قد تبين الرشد من الغيّ ولم يبق إلا اتباع الهدى والانتفاع بما ساقته أيدي الرحمة

لبلوغ الغاية من السعادتين ، لهذا ختمت النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وانتهت الرسالات برسالته». (البهي ، الفكر الإسلامي الحديث ، ص 474)

ويعبر الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال عن هذا المعنى أجمل تعبير إذ يرى أن مولد الإسلام هو مولد العقل الاستدلالي ، ثم يقول: «إن النبوة في الإسلام لتبلغ كما لها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها ، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مقود يقاد منه ، وأن الإنسان - لكي يحصل كمال معرفته لنفسه - ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو. إن إبطال الإسلام للرهبنة ووراثة الملك ومناشدة القرآن للعقل والتجربة على الدوام ، وإصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الإنسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة». (إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ، ص144).

ويقول أبو الحسن الندوي: «إن الاعتقاد بانتهاء النبوة يبعث في الإنسان روح الطموح والتقدم ويحثه على بذل مواهبه ، ويعين له الحقل الصحيح والمجال السليم لكفاحه وجهوده. لولا عقيدة ختم النبوة لفقد الإنسان ثقته بنفسه وبقي في ريب دائم ، وظل شاخصاً ببصره إلى السماء بدلاً من أن ينظر إلى الأرض ، وفقد ثقته بمستقبله ، وثارت شبهات وشكوك حوله ، ووقع فريسة المتنبئين على الدوام». (الندوي، القادياني والقاديانية ، 128).

تدريب (1)

تدبر أقوال العلماء السابقين في موضوع ختم النبوة ، ثم لخص في نقاط محددة وجه الحاجة إلى ختم النبوة.

2.2 أدلة ختم النبوة

إن مسألة ختم النبوة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، شأن الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وقد رسخت هذه العقيدة في قلوب المؤمنين وعقولهم كما رسخت في الراحتين الأصابع، وهي ليست في الميزان الإسلامي مسألة خاضعة لاجتهاد ، وقد حسمت بالنصوص الشرعية ، إذ لا مساغ للاجتهاد في مورد النص ، ومن هذه النصوص ما يستفاد منه هذا الحكم بطريق العبارة ، ومنها ما يدل عليه بطريق الإشارة ، هذا بالإضافة إلى الأدلة العقلية الأخرى.

1.2.2 الأدلة من القرآن الكريم

أ- قال تعالى:

«ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين».(سورة الأحزاب 40).

وهذه الآية الكريمة نص مباشر في موضوعنا. يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس». (تفسير ابن كثير 493/3).

ويستوقفنا في هذا المقام لفظ (وخاتم) ، فقد قرىء هذا اللفظ بوجهين ، بكسر التاء وفتحها ، والكسر هي قراءة الجمهور ، وبفتح التاء قرأ عاصم. ولكن هل من فرق في المعنى بين القراءتين ؟

وأجيبك ، عزيزي الدارس ، أن من العلماء من لم يفرق بينهما ، فالخاتم (بفتح التاء) والخاتم (بكسر التاء) لغتان ، مثل قولنا : طابَع وطابِع ، ودانَق ودانِق ، وطابَق من اللحم وطابِق. (تفسير القرطبي 196/41).

ومنهم من فرق ، فجعل الخاتِم (بكسر التاء) اسم فاعل من قولك : ختم النبيين فهو خاتهم ، ودليله قراءة عبدالله «وختم النبيين».

أما الخاتم (بفتح التاء).- وفقاً لقراءة عاصم - فهو الخاتم الملبوس لأنه جمال وفقاً لمذهب ابن خالويه في كتابه (الحجة في القراءات السبع ص 290) ، أو الخاتم والطابع الذي تختم به الرسائل ، لأنه ختمت به الرسالات (تفسير القرطبي 196/14) و (أبو زرعة ، حجة القراءات ، 1979 ، ص 578) و (الألوسي روح المعاني 341).

نخلص من هذا إلى أن المفسرين مجمعون على أن كلمة (وخاتم) تفيد ختم النبوة وانتهاءها ، «فيلزم من كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين ، والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها». (الألوسي ، 34/)

ولا يعترض على هذا بما أورده ابن خالويه من قوله (والحجة لمن فتح أنه أخذه من الخاتم الملبوس لأنه جمال) ، فإن كونه جمالاً للأنبياء وزينة لا يعارض الوصف الآخر وهو كونه آخر النبيين ، إضافة إلى ما ذكرناه من أن الخاتم يعني ما تطبع به الرسائل كما ذكرنا.

ب- قال تعالى :

«وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون». (سورة آل عمران 81 ، 82).

ووجه دلالة الأولى على المطلوب أن المقصود بكلمة (رسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد روي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والسدي.

ورب قائل يقول : أليست كلمة (رسول) نكرة مما يفسح المجال لفهم آخر للآية ، وذلك بأخذ العهد على النبي المتقدم أن يؤمن بما جاء به المتأخر؟

وجوابه أن اللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين ، كقوله تعالى : «ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون» ، (سورة النحل 112 ، 113) فلفظ (رسول) هنا وإن كان نكرة إلا أنه يشير إلى معين. وهكذا فإن الله تعالى أخذ ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام وينصروه إن أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم. (تفسير القرطبي 125/4) وقد تستدرك ، عزيزي الدارس ، على ما قدمنا بقولك : نحن لسنا

في مقام إثبات دلالة الآية الكريمة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنا بصدد الحديث عن ختم محمد صلى الله عليه وسلم للنبوة.

والجواب أن من لوازم أخذ العهد على الأنبياء أجمعين بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أن يكون خاتمهم كذلك. وإلا فما معنى أخذ العهد على الأنبياء أجمعين ، والعهد على الأنبياء عهد على أممهم كما ذكرنا ؟ . ولهذا رأينا ابن كثير يعقب في تفسيره لهذه الآية الكريمة بقوله:» فالرسول محمد خاتم الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم. ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده». (تفسير ابن كثير 378/1).

ومع أن الإمام الفخر الرازي لم يرجح ما اخترناه من دلالة الآية الكريمة على ختم النبوة إلا أنه استنبط هذا المعنى من الآية اللاحقة للآية السابقة ، وهي قوله تعالى:» أففير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون». (آل عمران 83 ، 84) ، فقال :

«في الآية الأولى ذكر أنه أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا بكل من أتى بعدهم من الرسل ، وههنا أخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بأن يؤمن بكل من أتى قبله من الرسل ، ولم يأخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده من الرسل ، فكانت هذه الآية دالة من هذا الوجه على أنه لا نبي بعده البتة». (الفخر الرازي ، التفسير الكبير 124/8).

ويعزز ما ذكرنا ما ورد في قوله تعالى بعد ذلك مباشرة «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين». (سورة آل عمران 85). وسواء نزلت هذه الآية الكريمة في أهل الكتاب أم في قوم مرتدين عن الإسلام فإن المقصود بالإسلام هنا دين محمد صلى الله عليه وسلم. (الفخر الرازي ، التفسير الكبير 127/8).

جـ- قال تعالى:

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». (سورة المائدة 3).

فقوله تعالى: «ورضيت لكم الإسلام دينا» في معنى قوله تعالى:«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه».

وفي معنى إكمال الدين هنا أقوال منها: إكمال فرائضه وحدوده ، ورفع النسخ عنه ، وزواله الخوف من الأعداء والظهور عليهم ، وأمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها كما نسخ بها ماتقدمها. (ابن الجوزي، زاد المسير 287/2 ، 288) يقول ابن كثير في تفسير الآية الكريمة :«وقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا». (ابن كثير ، 12/2).

ويقول القرطبي :«رضيت لكم إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً بكماله إلى آخر الأبد لا أنسخ منه شيئا». (تفسير القرطبي 63/6).

2.2.2 الأدلة من الحديث الشريف

كثيرة هي الأحاديث الشريفة التي تتناول مسألة ختم النبوة ، منها:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين». (رواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين).

وقد روى مسلم في صحيحه هذا الحديث أيضاً عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء».

وقد روى البخاري هذا الحديث برواية قريبة كذلك. (صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء باب خاتم النبيين).

ولما كانت السنة بياناً للقرآن الكريم ، إذن فلم يبق ثمة مجال للاختلاف حول تأويل قوله تعالى «وخاتم النبيين» ، فقد حسم الحديث الشريف الخلاف في هذه المسألة من وجهين:

أولهما هذه الصورة الحية البديعة التي شبه الرسول صلى الله عليه وسلم عالم النبوة بالصرح البديع الذي كاد يكتمل إلا موضع لبنة، فاكتمل البناء بنبوته صلى الله عليه وسلم.

وثانيهما ما ورد في رواية جابر من قوله صلى الله عليه وسلم «جئت فختمت الأنبياء».

ب- وروى الشيخان في صحيحيهما كذلك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي». (أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ذكر بني إسرائيل. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول)

ج- وروى الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال: يا رسول الله ، تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي». (أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة تبوك ، ورواه مسلم في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب من فضائل علي بن أبي طالب).

د- وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب». وفي حديث عقيل للزهري قال: قلت للزهري: وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي.

(رواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب أسماؤه صلى الله عليه وسلم. ورواه البخاري بلفظ قريب في كتاب الأنبياء باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم).

- وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :«فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون». (صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة).

- وقد أورد الإمام أحمد في مسنده طائفة من الأحاديث الشريفة منها:

- عن عبدالرحمن بن جبير قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال:«أنا محمد النبي الأمي - ثلاثاً - ولا نبي بعدي ، .(مسند أحمد. حـ٢ رقم الحديث 6617) .

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي». (مسند أحمد ، ج4 رقم الحديث 13825) وهكذا رواه الترمذي وقال :صحيح غريب.

- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته». (مسند أحمد ، حـ 6 ، ورقم الحديث 17150).

وفي دفع الإشكال عن فهم هذا الحديث الشريف يقول تقي الدين السبكي :«فإن قلت النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً ، وإنما يكون بعد أربعين سنة ، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ قلت: جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ، فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبياً إلى روحه الشريفة أو حقيقته ، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها ، وإنما يعرفها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي». (العجلوني ، كشف الخفاء 130/2) والذي أراه أن فهم الحديث منوط بفهمنا لعقيدة القدر، فالله تعالى يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيكون آخر الأنبياء ، وبهذا مضت إرادته حتى من قبل خلق آدم عليه السلام.

هذه طائفة مختارة من الأحاديث الشريفة نكتفي بها للدلالة على المطلوب ، ولا شك أن هناك أدلة أخرى يستأنس بها في هذا المقام.

2.2.3 الأدلة العقلية

إن نظرة منصفة إلى رسالة الإسلام توصلنا إلى قناعة مؤداها أنها الرسالة الخاتمة التي ما بعدها رسالة ، وذلك من وجوه أهمها :

- إنها الرسالة العالمية الوحيدة بعد سلسلة من الرسالات القومية.

- إن الله تكفل بحفظها ممثلة في مصدرها الأول وهو القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». (سورة الحجر 9).

وبهذا نزهها الله سبحانه وتعالى عن التحريف والتغيير الذي اعترى الرسالات السابقة.

- إنها الرسالة الكاملة في شتى مجالاتها الاعتقادية والتشريعية. (سلطان ، العقيدة والفكر الإسلامي ، 1987، ص 177 - 123).

- إنها بوأت العقل الإنساني مركزاً عز أن نجده في الشرائع الأخرى ، وقد جعلت الاجتهاد مصدراً من مصادر التشريع ، الأمر الذي حفظ لهذه الرسالة حيويتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

هذا عن الرسالة ، أما عن الرسول فقد تجمع له من الكمالات والمواقف والأوصاف ما يؤهله ليكون النبي الخاتم:

- فما معنى أن يؤم الأنبياء جميعاً في بيت المقدس في ليلة الإسراء؟

- وما معنى أن يخصه الله سبحانه وتعالى بالشفاعة العظمى يوم القيامة ؟

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر». (أخرجه الترمذي في المناقب باب رقم 3 ، وقال هذا حديث حسن صحيح).

نشاط (1)

عزيزي الدارس ،

(ارجع إلى كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) لابن الأثير الجزري، الجزء الثامن ، واستخرج من كتاب الفضائل / باب في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ، خمسة أحاديث شريفة فيها بيان لختم النبوة).

عزيزي الدارس ، هذا ما وسعنا تقديمه لك من الأدلة في هذه الوحدة ، وأراني بحاجة إلى أن أذكرك أن ميدان النبوة قد تقحمه في العصور المختلفة متنبئون دجالون ، منهم من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم مثل مسيلمة والأسود العنسي وسجاح ، وما زال يطل علينا عبر العصور المختلفة من أمثال هؤلاء كثير. فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يبعث كذابون دجالون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله». (رواه الترمذي في الفتن، باب ماجاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون).

وسنجد في تتمة هذا البحث كيف اجترأ أناس مختلفون تسموا باسم الإسلام على مقام النبوه والرسالة تسندهم قوى خارجية همها تدمير الإسلام والمسلمين من أمثال القادياني والباب وبهاء الله ، فزعموا أنهم رسل الله إلى الخلق مما سنتناوله تفصيلاً في القسمين اللاحقين.

3.2 نزول عيسى عليه السلام وختم النبوة

ليست عقيدة نزول المسيح عليه السلام بدعاً من العقائد الإسلامية، فقد تقررت في محكم التنزيل وتناولتها الأحاديث الشريفة بالبيان والتفصيل ، فما أدلة نزوله؟ وما الحكمة منها؟ وكيف نوفق بين نزوله وختم النبوة؟ وهل ظهر المسيح عليه السلام فعلاً؟

1.3.2 أدلة نزول عيسى عليه السلام

مما ورد في شأن نزوله عليه السلام قوله تعالى: «وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها». (سورة الزخرف 61) فقد ذهب ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي إلى أن الهاء في قوله تعالى (وإنه) تعود للمسيح ، وهذا هو الراجح. أما عند الحسن البصري وسعيد بن جبير فتعود إلى القرآن الكريم. (ابن الجوزي ، زاد المسير 325/7).

وكذلك قوله تعالى «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً». (سورة النساء 159). فعند المفسرين في المراد بالهاء في قوله تعالى (به) قولان:

أحدهما أنها ترجع إلى عيسى عليه السلام ، وهو قول جمهور المفسرين. وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسيره (380/9). والثاني أنها ترجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم. قاله عكرمة. (ابن الجوزي ، زاد المسير 247/2).

وأما أدلته من الأحاديث فكثيرة تبلغ حد التواتر . يقول الشيخ الكوثري :

«والتواتر في حديث نزول عيسى عليه السلام تواتر معنوي حيث تشاركت أحاديث كثيرة جداً ، بينها الصحاح والحسان بكثرة ، في التصريح بنزول عيسى ، مع اشتمال كل حديث منها على معاني أخرى ، وهذا ما لا يستطيع إنكاره أحد ممن شم رائحة علم الحديث». (الكشميري، التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، حاشية ص 58).

وممن نقل عنه تواتر نزول المسيح عليه السلام : الإمام المفسر ابن عطية في تفسيره ، والإمام الفقيه ابن رشد فيما نقل عنه الأبي في شرحه على صحيح مسلم ، والعلامة الشوكاني في كتابه (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) ، والعلامة المحدث سيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر). (الكشميري ، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، حاشية ص 63 ، 64).

ومن هذه الأحاديث الشريفة ما أخرجه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». زاد في رواية «وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: «اقرأوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته).

وفي رواية أخرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟». وفي رواية «فأمّكم» وفي رواية «فأمّكم منكم» ؟ قال ابن أبي ذئب : تدري (ما أمكم منكم)؟ قلت : تخبرني. قال : فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم». (رواه البخاري في البيوع ، باب قتل الخنزير ، وفي المظالم باب كسر الصليب ، وفي الأنبياء باب نزول عيسى بن مريم. ورواه مسلم في الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم).

وفي حديث طويل يرويه مسلم عن ظهور الدجال وما يتأتى على يديه من خوارق ، يقول صلى الله عليه وسلم: «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرْفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ فيقتله». (رواه مسلم في الفتن باب ذكر الدجال). وللحديث بقية. والمقصود بالمهرودتين ثوبان مصبوغان بالهرد وهو صبغ أصفر. وهنالك أحاديث أخرى رواها أبو داود والترمذي وأصحاب السنن.

2.3.2 الحكمة من نزول عيسى عليه السلام

ذكر العلماء في مسألة نزوله عليه السلام حكماً كثيرة منها :

1- الرد على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوا المسيح عليه السلام ، فبين الله كذبهم وأنه هو الذي يقتلهم.

2- تكذيب النصارى وإظهار زيفهم في دعواهم الأباطيل وزعمهم أنه قتل وصلب.

3- إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أخص الناس بعيسى عليه السلام لقوله: «أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي» (رواه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى: «واذكر في الكتاب مريم ....». ورواه مسلم في الفضائل ، باب فضل عيسى صلى الله عليه وسلم).

وقد بشر عيسى عليه السلام بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من بعده ، ودعا الخلق إلى تصديقه واتباعه. ويأتي نزوله معززاً لهذه البشارة والدعوة. (الكشميري ، المرجع السابق ، ص 94).

3.3.2 التوفيق بين ختم النبوة ونزول عيسى عليه السلام

إننا إذا تأملنا الأحاديث الشريفة المتقدمة بشأن نزول عيسى عليه السلام فإنه لا يصعب علينا عزيزي الدارس ، الاهتداء إلى أوجه التوفيق التي ذكرها العلماء بهذا الصدد ، ومنها:

1- إن نبوة عيسى عليه السلام سابقة لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وما ورد في الأحاديث الشريفة هو نفي لحدوث النبوات بعده.

2- إن عيسى عليه السلام سيعمل عند نزوله على إقامة شريعة الإسلام ، فيحيي ما أحياه القرآن الكريم ويميت ما أماته. وهكذا فإنه ينزل مبكتاً لأتباعه فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحاكماً من حكام ملته.

(الزمخشري ، الكشاف 265/3 ، والآلوسي، روح المعاني /34 ، والبغدادي ، أصول الدين ، 162).

4.3.2 ظهور عيسى عليه السلام

تخبرنا النصوص الشرعية أن ظهور عيسى عليه السلام أمارة من أمارات قيام الساعة. كما قال تعالى: «وإنه لعلم للساعة» وقال صلى الله عليه وسلم «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ؛ فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم». (رواه مسلم في الفتن ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال).

ومع ذلك فقد ظهر على مسرح التاريخ من ادعى أنه المسيح بن مريم ، أو أنه يمثل المسيح بنفسه ، وكان أكثر هؤلاء الدجالين من اليهود، ومن هؤلاء الدجالين :

- في أصفهان خرج يهودي اسمه اسحاق بن يعقوب ، في القرن الثاني للهجرة أيام الخليفة المنصور ، فادعى أنه المسيح الموعود ، وخرج على الدولة فقتل.
- وبعد إسحاق ببضع سنوات خرج يهودي آخر في همدان اسمه (يودكان) ولكن أمره لم يطل.
- وفي مصر ادعى يهودي اسمه (يحيى شاباطي) أنه المسيح الموعود وأخذ يستعد للذهاب إلى فلسطين.
- وفي غرب إيران ، ظهر يهودي اسمه (داود الرائي) ادعى أنه المسيح ، وهو أول من ادعى أن قبائل إسرائيل الضالة اتجهت بعد السبي نحو الشرق ، وأن كثيراً من سكان إيران والهند هم من أولاد أولئك الضالين.
- وفي سنة 1481 م أثناء الحروب الصليبية ادعى اليهودي (ابراهام بن صموئيل) أنه المسيح الموعود وكتب إلى البابا يدعوه إلى محاربة المسلمين وطردهم من فلسطين.
- وفي سنة 1287 م قام يهودي آخر في إشبيلية اسمه (بولانه) وأخذ يعمل على تنظيم اليهود في إسبانيا.
- وهذه الدعوات ظهرت في القرون اللاحقة من اليهود ، فهذا موسى بوتاري في القرن الرابع عشر ، ويعقوب كارس في القرن الخامس عشر، وداود ربي في القرن السادس عشر.
- وفي أواسط القرن السابع عشر ظهر في استانبول يهودي اسمه (شباطي زيفي) ، وادعى أنه المسيح الموعود وأن الله أرسله لتحرير اليهود ، وأخذ يتجول في أنحاء الدولة العثمانية حتى استقر في القدس.

وقد آزره في دعواه هذه يهودي آخر اسمه (ناتان). وعندما شاع أمر شباطي أودعته الحكومة في السجن ، وبعد مدة طلب مقابلة السلطان وتظاهر بالتوبة وأعلن إسلامه ، فأطلق السلطان سراحه ، وبقيت دعوته بعد وفاته ، وكان من المؤمنين به فرقة تسمي (الدونمة) ، وأتباع هذه الفرقة هم الذين أسهموا في القضاء على الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية. (زاهدي ، القاديانية ، ص 19-15).

وستجد ، عزيزي الدارس ، أن الاستعمار والصهيونية لم ينفكا عن استخدام عقيدة (المسيح المنتظر) للنفاذ إلى معاقل الإسلام لتدميرها من داخلها ، كما فعلت في البهائية والقاديانية كما سنرى لاحقاً.

أسئلة التقويم الذاتي (١)

1- وضح المقصود بختم النبوة.

2- يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : «لولا عقيدة ختم النبوة لفقد الإنسان ثقته بنفسه». وضح مدلول هذه العبارة.

3- اذكر ثلاثة أمور توضح أهمية ختم النبوة.

4- وصف الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بانه «رسول الله وخاتم النبيين».

بين مذاهب العلماء في قراءة كلمة (وخاتم) وما يترتب على اختلاف القراءة من معانٍ.

5- قال صلى الله عليه وسلم : «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنىَ بنياناً فأحسنه ... »

بين وجه دلالة هذا الحديث الشريف على ختم النبوة.

6- وصف الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه بأنه «العاقب». بين معنى ذلك.

7- اذكر ثلاثة من الأدلة العقلية على ختم النبوة.

8- عدد ثلاثاً من الحكم المتعلقة بنزول عيسى عليه السلام.

3- البهائية وختم النبوة

انقسمت الأمة الإسلامية في أعقاب استشهاد الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما إلى جماعات وفرق ، خرج بعضها على الإمام علي وهم الخوارج ، ووقف بعضها إلى جانبه وهم الشيعة التي وجدت في بلاد فارس (إيران) مرتعاً خصباً لها ، وقد دخل في هذه الفرقة عدد كبير من الحاقدين على العروبة والإسلام (الشعوبيين) ، تحت ستار المطالبة بحق آل البيت في الإمامة ، وما لبثت هذه الفرقة أن وقعت تحت مطارق السلطة لدى كل من الأمويين والعباسيين الذين يعدهم الشيعة مغتصبين للسلطة الشرعية ، والعنف يخلق التطرف ، فنادت الشيعة الإمامية بأن أساس ثبوت الإمامة لمستحقها هو النص من الوحي وليس البيعة والاختيار ، فالإمامة أصل عظيم من أصول الدين لا يجوز إغفاله ، ويلزم من ذلك أن يكون الإمام معصوماً ، وألا يخلو زمان من إمام ، أما وقد اختفى إمامهم الثاني عشر (محمد بن الحسن) عند دخوله السرداب في (سر من رأى) إذن فلا بد لهذا الإمام الغائب أن يعود ، وهو المهدي المنصوص عليه في عدد من الأحاديث الشريفة فيما يرون.

وعقيدة المهدي هذه - وإن كانت أصلاً عقدياً لدى الشيعة - فهي مسألة جدلية عند أهل السنة يثبتها بعضهم وينكرها آخرون.

وقد أورد أبو داود والترمذي وأحمد طائفة من الأحاديث التي تتحدث عن المهدي ، ولم يرد للمهدي ذكر في صحيحي البخاري ومسلم.

وذكر ابن تيمية أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي صحيحة. (ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية 211/4) ، في حين أن ابن خلدون استقصى هذه الأحاديث في مقدمته في الفصل الثاني والخمسين وحكم بضعف هذه الأحاديث (ابن خلدون ، المقدمة 330-311).

من هذه الأحاديث ما رواه أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «المهدي من عترتي من ولد فاطمة». (أخرجه أبو داود في المهدي رقم 4284).

وأخرج أبو داود عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المهدي مني ، أجلى الجبهة ، الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، ويملك سبع سنين». (رواه أبو داود في المهدي رقم 4285 وإسناده حسن). والمراد بأجلى الجبهة أنه ذهب شعر رأسه إلى نصفه.

وروى أبو داود كذلك عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي- يواطىء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». (رواه أبو داود في المهدي رقم 4282 ، وهو حديث حسن).

ويؤخذ من مجمل الأحاديث الواردة في المهدي ما يلي :

1- أنه من سلالة فاطمة من آل البيت.

2- أن اسمه محمد بن عبدالله.

3- إنه خليفة من الخلفاء (يملك) سبع سنين في رواية ، أو (يلي) أمر الأمة كما ورد في رواية أخرى ، فهو من الخلفاء الراشدين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

وأنى كان من أمر هذه الأحاديث الواردة في كتب السنن فإنه لا يثبت بها اعتقاد ، ولا يترتب على منكرها طعن في الدين.

وقد تتساءل ، عزيزي الدارس ، مالنا والحديث عن المهدي ما دام أن موضوعنا هو البهائية وموقفها من ختم النبوة ؟

وأجيبك بأن الحديث عن المهدي ، كما الحديث عن نزول عيسى عليه السلام ، مقدمة ضرورية للحديث عن البهائية والقاديانية ، فقد اتخذت عقيدة المهدية تكأة للطاعنين في هذا الدين ، ووجد فيها أصحاب الأهواء والدجل ضالتهم لتحقيق مآربهم الخبيثة ، وقد عرف التاريخ الإسلامي عدداً كبيراً من مدعي المهدية منهم:

1- مهدي القرامطة الباطنية الذي أقام دعوتهم في بلاد المغرب

2- ابن تومرت الذي خرج في المغرب أيضاً وسمى أصحابه الموحدين ، وكان يقال له في خطبهم الإمام المعصوم والمهدي المعلوم. (ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية 211/4).

3- رجل يعرف بالعباسي ، ادعى أنه الفاطمي ، وقد ظهر في المغرب أيضاً ، وقد قتل بعد ذلك. (ابن خلدون . المقدمة ، ص 328).

وسنجد في بحثنا هذا أن جذور البهائية تمتد إلى معين عقيدة المهدية ، ذلك أن البهائية امتداد للبابية التي تقوم على عقيدة المهدي المنتظر ، فلننظر في أمر هذه الدعوة الغريبة من حيث نشأتها وموقفها من ختم النبوة ، وعقائدها ، وصلتها بالاستعمار والصهيونية.

1.3 نشأة البهائية

تنسب البهائية إلى مؤسسها حسين علي المازندراني. وقد ذكرنا قبل قليل أن البهائية ليست إلا امتداداً لحركة البابية. وهكذا فإنه يلزمنا التعريف بالبابية أولاً قبل الشروع في الحديث عن البهائية.

1.3.1 البابية

نتناول في حديثنا عن البابية نشأتها وأهم عقائدها

أولا : نشأة البابية:

تنسب هذه الحركة إلى مؤسسها علي محمد الشيرازي . ولد في شيراز بإيران عام (1235هـ/ 1819م). ويزعم اتباعه أنه من ذرية الحسين عليه السلام. وقد فقد أباه صغيراً فكفله خاله ، وأرسله ليتعلم مبادىء العربية والفارسية. وقد تتلمذ على يد أحد مشايخ الصوفية ، وهي الفرقة الشيخية ، واسم شيخه هذا هو كاظم الرشتي. وكان الرشتي هذا يرى أن المهدي المنتظر سابح في عالم الروح ويوشك أن يظهر بجسده ، وذلك خلافاً لاعتقاد الإمامية أنه محتجب بجسده إلى أن يحين يوم الفرج الموعود. (العقاد ، الإسلام في القرن العشرين ، 154).

يقول جون أسلمنت أحد دعاة البهائية البارزين : إن الاعتقاد بقرب ظهور الموعود الإلهي كان سائداً في تلك الأيام خصوصاً بين الطائفة الشيخية. وما إن بلغ الشيرازي من عمره خمساً وعشرين حتى أعلن أن الله قد اختاره لمقام الباب ، وكان ذلك في سنة 1265 هـ ، 1844 م فآمن به أغلب الشيخية وعرفوا باسم البابيين. وكان أول من آمن به (18) شخصاً لقبهم بحروف «الحي» وذلك بحساب الجمل (ح = 8) و (ي = 10) والمجموع = 18 . (صفحة النور ص 50).

وقد اضطربت التفسيرات حول هذا اللقب (الباب) حتى من الباب نفسه ، فكان يراد به أولاً أنه باب المهدي ، ومع ذلك فقد فسره الباب مرة بأن المراد به باب العلم الإلهي ، وثانية بأنه باب الصدق ، وثالثة بأنه باب الله لمن في ملكوت السموات والأرض ورابعة أنه باب لمن يظهره الله ، وتعبير (من يظهره الله) كما يرى البهائيون عبارة عن رسول سيأتي بعد الباب. ويعنون به بهاء الله نفسه. (ظهير ، البابية ، 161 ، وأسلمنت ، بها الله والعصر الجديد ، 17).

ومن الجدير بالذكر أن لقب (الباب) كان معروفاً ومتداولاً لدى أوساط الفرق الباطنية ، فقد استعمله الإسماعيلية عنواناً على الشيخ الذي يعلم الناس أسرار الدين ، وكنى به النصيرية عن سلمان الفارسي بزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم عهد إليه بأمور الدعوة بعد موته - ويطلقه الدروز على الوزير الروحاني الأول الذي يشمل العقل الكلي - (عبدالحميد ، حقيقة البابية والبهائية ، 52).

وأنى كان من أمر فقد كانت نفوس القوم مهيأة لاستقبال هذا المهدي ، وانتشر أمر الباب ، فتجرد له من علماء الشيعة من رد عليه فريته ، ولما سدر في غيه ولم ينثن عن دعوته فحكم عليه بالإعدام، فأعدم عام 1850م ، وله من العمر (31) سنة - وقد طرح بعد ذلك في خندق بعيد ، وقد استطاع أتباعه أن يتسللوا إليه فنبشوه واحتفظوا بجثته حتى آل به الأمر بعد ذلك إلى أن يدفن على سفح جبل الكرمل في حيفا ، وقد صنع له البهائيون هناك مقاماً نفيساً في صنعه وإتقانه.

وقد خلف الباب آثاراً كثيرة أهمها: كتاب (البيان) الذي أكمله من بعده تلميذه (بهاء الله). وكتاب (قيوم الأسماء) و(صحيفة بين الحرمين) وكتاب (الروح) و(الخصائل السبعة) و(الدلائل السبعة) و (تفسير سورة الكوثر) ، و(تفسير سورة العصر) وغيرها من الرسائل والألواح.

ثانيا: دعاوى البابية وعقائدها

ابتدأ الباب دعوته متواضعاً فادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر ، ولكن شياطين الإنس والجن يوحون إلى أوليائهم زخرف القول غروراً ، فادعى أنه المهدي نفسه ، وأن جسم المهدي قد حل فيه. وعلى طريق المجد الصاعد ، فإن الشيرازي وقد لاحظ أن أتباعه قد أشربوا في قلوبهم العجل (عجل ذات الباب) ، قد خطا خطوة أخرى أكثر جرأة إذ ادعى النبوة وأن الله قد أنزل عليه كتاباً اسمه (البيان) ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: «خلق الإنسان علمه البيان»، والمقصود بالإنسان هنا الشيرازي نفسه. وأن روح الأنبياء قد حلت فيه ، فهو يقول : «كنت في يوم نوح نوحاً ، وفي يوم إبراهيم إبراهيم ، وفي يوم موسى موسى، وفي يوم عيسى عيسى ، وفي يوم محمد محمداً». (ظهير ، البابين ، 175). ومن الطبيعي ، وقد وصلت الأمور بالدعوة إلى هذا الحد ، أن يصار إلى القول بتحديد موقفهم من الإسلام ، من هنا فقد عقد البابيون مؤتمراً في (بد شت) أثناء اعتقال الباب ، وذلك عام 1264هـ ، 1848م ، وقرروا نسخ الشريعة الإسلامية وإنشاء دين جديد باسم البابية.

ولكن هل أفرغ الحاوي جميع ما في السلة ؟ لا ، لم يكن الأمر كذلك، فقد ارتقى السلم حتى منتهاه ، ولم يبق في القوس منزع ، فادعى الألوهية. فها هو يقول: «أنا قيوم الأسماء ، مضى من ظهوري ما مضى، وصبرت حتى يمحص الكل ولا يبقى إلا وجهي، واعلم بأنه لست أنا ، بل أنا مرآة ، فإنه لا يرى فيّ إلا الله».

وكان البابيون يسمونه «حضرة الرب الأعلى» ، وكان بهاء الله يسميه الرب والإله ومالك الغيب والشهود. وفي هذا يقول داعية البهائيين أبو الفضل الجلبائيجاني في مقدمة كتابه (الفرائد): «نحن لا نعتقد في الميرزا علي محمد الباب إلا أنه رب وإله». (ظهير ، البابية ، 182 - 184). هكذا إذن !! ولله في خلقه شؤون !!

هذه عقيدتهم على صعيد النبوة والألوهية ، فماذا عن عقيدة البابيين في اليوم الآخر ؟

إن الجواب عن ذلك نجده في تفسيرات الباب الباطنية لهذه الحقائق المقررة في القرآن الكريم حول اليوم الآخر ، فالقيامة تعني قيام القائم أو الرسول أو المظهر حسب مصطلحهم. ومعنى قيام الأموات هو اليقظة الروحانية لمن هم نيام في قبور الجهالة. والبرزخ هو الواقفة بين الظهورين (الفترة ما بين الرسالتين) ، والجنة هي السرور بمعرفة الله ، والنار هي الحرمان من هذه المعرفة مما يؤدي إلى عدم الوصول إلى الكمال الإلهي وضياع السعادة الأبدية. (أسلمت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 24 ، 25 . وظهير ، البابية ، 197).

أما عن علاقة البابية بالمسلمين ، فقد أمر الباب أتباعه باجتناب المسلمين كلياً والحكم بفسقهم وكفرهم ، وأفتى بوجوب قتلهم وهدم بقاعهم وحرق كتبهم. (ظهير ، البهائية ، 57 ، 58).

وأما عن العبادات لدى البابية ، فنترك لك عزيزي الدارس ، فرصة إعداد تقرير عنها من خلال النشاط التالي.

نشاط (2)

ارجع إلى كتاب (ظهير ، البابية) ولخص الصفحات 205 - 235 المتعلقة بعبادة البابيين ، وذلك في ثلاث صفحات.

2.1.3 مولد البهاء ونشأة البهائية

ولد الميرزا حسن علي الملقب (بهاء الله) في طهران عاصمة إيران سنة (1233 هـ ، 1817م) وكان أبوه عباس النوري(*) وزيراً للدولة. ولما أعلن الباب بعثته سنة 1844 م اعتنق البهاء هذه الديانة الجديدة ، وبلغ من حماسه لها أنه سجن مرتين في سبيلها وجلد من أجلها.

وبعد محاولة البابيين اغتيال ناصر الدين شاه انتقاماً لإعدام الباب ، ألقي القبض على مجموعات كبيرة منهم ، وكان من جملة المعتقلين بهاء الله ، وما لبث أن أفرج عنه.ونفي وأسرته إلى بغداد سنة 1853م وتوافد إليه البابيون من إيران.

وفي عام 1854 م غادر بغداد إلى فيافي السليمانية في عزلة استمرت سنتين ، عاد بعدها إلى بغداد ، وقد انتشر أمر البابيين مما أهاج أهل السنة والشيعة عليهم في العراق ، فصدر أمر بترحيلهم إلى استانبول (القسطنطينية) سنة 1893م. وقد احتجز البهاء مع أسرته في حديقة نجيب باشا مدة اثني عشر يوماً إلى حين استكمال استعداداتهم للرحيل. وفي هذه المدة بشر حسين علي أتباعه أنه هو الموعود الذي أخبر عنه الباب. وسميت تلك الحديقة حديقة الرضوان ويحتفل البهائيون بهذه الأيام الاثني عشر ويتخذونها عيداً ، وهم يحجون إلى تلك الحديقة.

وصل البهاء وجماعته إلى استانبول سنة 1864 م ، ثم نقل منها إلى أدرنة حيث بقي فيها حتى عام 1868 م . وفي خلال هذه المدة أعلن الباب أنه المظهر الأول للإرادة الإلهية التي بشر بها الباب بعبارة «من يظهره الله» و «بقية الله» ، وهذا يعني أنه أصبح رسولاً وصاحب شريعة ناسخة لشريعة من سبقه.

لقد أثار تصرف البهاء هذا حفيظة أخيه الميرزا يحيى الذي خلع عليه الباب لقب صبح أزل) وعهد إليه بخلافة البابيين من بعده. ووقعت بين الأخوين خصومة كبيرة ، حتى حاول كل منهما اغتيال الآخر، مما حدا بالحكومة العثمانية إلى نفيهما ، فنفي البهاء إلى فلسطين واستقر في عكا ، ونفي أزل إلى عكا، ونفي صبح أزل إلى قبرص واستقر في فاماجوستا حيث قضى هناك مقهوراً عام 1912م. أما البهاء فقد عاش في فلسطين بين عكا وحيفا مدة (24) سنة تقريباً ومات هناك سنة 1892 م عن (75) عاماً ، وقد عهد من بعده لابنه عباس الذي لقب نفسه (عبدالبهاء). وعلى يدي عباس هذا تم نشر البهائية في أقطار شتى وبخاصة أمريكا وأوروبا.

توفي عبدالبهاء سنة 1921 وأوصى من بعده لحفيده الأكبر (شوقي أفندي) الذي قام بتعيين مجلس الشورى العالمي للمحافل البهائية في العالم ، وبنى مؤسسات الدين البهائي الإدارية. وقد مات سنة 1957 .

وفي الفترة من 1957 - 1963 كانت هيئة تسمى (أيادي أمر الله) عينها شوقي أفندي تقوم بإدارة أمور البهائيين. وفي عام 1965 تم انتخاب (أول بيت عدل أعظم) للبهائية في العالم. وأصبح بيت العدل هذا هو المسؤول عن شؤون البهائيين في العالم. (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد 281 - 284 ، وأردكاني ، نبذة عن الدين البهائي ، ص 22 ، 23).

هذا وهنالك في كل مدينة (بيت عدل) خاص ، عدد أفراده من تسعة كعدد حروف البهاء بحساب الجمل. أما مقر بيت العدل العمومي فهو في حيفا بفلسطين التي تعد المركز الروحاني العالمي للبهائية. (الحياني ، البهائية ، 101 ، 102).

2.3 عقائد البهائية وموقفها من ختم النبوة

لم يكن البهاء أقل من أستاذه الباب في ميدان الدعاوى ، فقد سوّلت له نفسه أن يسلك الدرب نفسه الذي سلكه أستاذه ، فإذا كان الباب قد ادعى أولاً أنه الباب إلى المهدي المنتظر ، فما على البهاء إلا المسارعة بإعلان أنه المهدي إذن ، وإذا كان الباب قد ادعى أنه رسول فإن الباب قد أعلن أنه الرسول الأعظم حتى لو أن الباب بعث من جديد لكان أول العابدين ، وإذا كان الباب قد ادعى اعتلاء عرش الربوبية ، فإن البهاء قد أعلن من جانبه ما يصدق فيه قول المعري

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

فها هو يدعي الألوهية ، ولم لا فهو بهاء الله الأسنى. وقد مضى فحدد موقفه من القيامة والبعث. ووسيلته في ذلك تأويل القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى التي بشرت به جميعها فيما يقول.

ومن بعد هذا الإجمال ، دعنا نخلص - عزيزي الدارس - إلى تفصيل ما ذكرناه بدءاً بالمسألة الأهم في موضوعنا ، وهي ختم النبوة.

2.3.1 ختم النبوة عند البهائية

ذكرنا فيما سبق أن أجواء الطائفة الشيخية كانت مفعمة بالحديث عن المهدي واقتراب خروجه ، فما إن خرج الشيرازي وأعلن أنه الباب حتى استقبلته الجموع الظمأى لرؤية المهدي الموعود استقبالاً حسناً ، فأعلنت إيمانها به. وما إن أعلن الباب أنه سيأتي «من يظهره الله» حتى تنافس الأتباع بعد وفاته للإعلان عن أنفسهم في ادعاء هذه النبوة ، ومن هؤلاء الميرزا أسد الله التبريزي الملقب بالديان ، والميرزا عبدالله الغوغاء ، وحسين الميلاني وسيد حسين الهندياني ، والميرزا محمد الزرندي ، حتى قال الشيخ أحمد الكرماني إنه قد «وصل الأمر إلى حد أن كل من كان يقوم من النوم صباحاً كان يزين جسده بلباس هذا الادعاء، أي أنه (من يظهره الله) ، وكان صاحبنا حسين علي المازندراني منهم أيضاً، فادعى بإيعاز من الميرزا آقاجان الكاشي بأنه هو «من يظهره الله». بل إنه في 1966م خرج شاب

إيراني بهائي اسمه (جمشيد ماني) ادعى أن الله اختاره نبياً ورسولاً لهذا العصر ولقب من قبل حضرة الباري بـ (سماء الله) وعرف أتباعه بالسماوية. (ظهير ، البهائي، 290 ، 291 ، 348 ، 349).

إذن لم يكن البهاء المازندراني فارس الحلبة الأوحد ، بل إن فرسانها كثر ، وليس كل من دخل السباق أحرز قصب السبق. لقد هوى الكثير وبقي البهاء لاعتبارات يذكر البهائيون منها أنه لا يصح في آخر الأمر غير الصحيح ، وأن حزب الله هم الغالبون ، ونرى أن نجاحه لا يعود لأسباب موضوعية ، وإنما لأمور تجري من وراء الكواليس لا تلبث أن تعبر عن ذاتها على خشبة المسرح ، إنها الدعم الأجنبي والرعاية الاستعمارية كما سيتبين معنا عما قريب.

إن من المدهش حقاً أن يقوم البهاء - ولم يمض على رسالة معلمه الباب غير ثلاثة عشر عاماً - بإعلان رسالة جديدة ناسخة لها ، هذا مع علمه أن الباب كان قد صحح في كتابه (البيان) أن (من يظهره الله) لن يكون قبل مرور ما يطابق حروف كلمة (غياث) أو (أغيث) من السنوات، وعلى هذا لن يظهر قبل (1511) عاماً ، أو ما يطابق حروف كلمة (مستغاث) وهذه يوافقها مرور (2001) عام هو مجموع عدد حروفها وفقاً لمذهبهم في حساب الجمل. (ظهير. البهائية ، 51) هذا في حين يعلن البهاء أن رسالته ستعمر ألف سنة ، إذ يقول في كتابه (الأقدس): «من يدعي أمراً قبل إتمام ألف سنة كاملة إنه كذاب مفتر». ويقول كذلك : «وإن أتى أحد وادعى الظهور قبل تمام ألف سنة فهو كذاب وباطل مهما أتى من الدلائل والمعجزات لأنه سبب للفساد واضطراب العالم». (ظهير ، البهائية ، 54 ، 55).

إذن فلن تكون هنالك رسالة تعقب رسالة الباب قبل ألف وخمسمائة سنة على أقل تقدير ، فما معنى أن تتقاصر المدة إلى ثلاثة عشر عاماً ؟ هل يحمل هذا التصرف من البهاء على الجهل أم التجاهل؟

يقول الدكتور جون أسلمنت - وهو واحد من أيادي أمر الله ، تلك الهيئة التي تعنى بشؤون الدعوة البهائية - إن البهاء قد صرح في «لوح ابن الذئب» أنه لم يقرأ كتاب (البيان). في حين يظهر من آثاره أنه كان على اطلاع تام ومعرفة كاملة بجميع آثار الباب. وقد قرر الباب أن كتاب (البيان) قد ألهمه إياه (من يظهره الله). (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 54).

ومنطوق هذا الكلام أن البهاء قد أوحى إلى الباب كتاب (البيان). أي تناقض هذا وأي تحريف يدع الحليم حيران ؟ ألم يقولوا إن كتاب البيان منزل كما الحال في كتاباته العديدة التي أنزلت في فترة دعوته التي امتدت ست سنوات وبضعة أشهر ؟ (أردكاني ، نبذة عن الدين البهائي ، 11) ؟ وكيف يجتمع القول بأنه منزل من عند الله مع قولهم بأنه إلهام من البهاء ؟ ألم يكن الباب سابقاً في إعلان دعوته لنبهاء نفسه بسنوات؟ ألم يكن الباب معلماً للبهاء ؟ فكيف يقوم التلميذ بإلهام معلمه كتاباً وهو لم يتبوأ بعد كرسي الأستاذية ؟ ولماذا لم يعلن البهاء هذا إلا في فترة متأخرة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!!

ونسأل تارة أخرى: لماذا تقاصرت المدة بين الرسالتين إلى هذه الفترة الزمنية الضيقة ؟

والجواب نجده فيما يذكره الدكتور أسلمنت من تفسير لهذا اللغز من عبارات البهاء نفسه ، فهو ينقل إلينا من قول البهاء ما ترجمته : «أما وقد اقتضى أن تفصل هذا الظهور الأعظم البديع عن

ظهوري السابق فترة قصيرة جداً كهذه ، فإن ذلك السر لا يستطيع أحد كشفه ، وغيب لا يستطيع عقل أن يسبر غوره ، وقد سبقت التقديرات الإلهية فعينت مدة امتداد تلك الفترة ، ولن يستطيع أحد أبداً أن يكتشف سببها إلا بعد أن يطلع على ما في كتابي المكنون». (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 24).

إذن فالجواب سر يستعصي كشفه على أصحاب العقول الكليلة من أمثالنا !! فلنصمت !

تدريب (2)

اقرأ عبارات البهاء السابقة ، وبين مراده من الظهور الأعظم وظهوره السابق.

إن حرص البهائيين على إفراد البهاء بالرسالة جعلهم يتعقبون ما يكتبه بقية البابيين عنهم وعن زيف دعاواهم ، وبخاصة كتابات أتباع أخيه (صبح أزل) المعروفين باسم «الأزليين».

يقول المستشرق براون في مقدمة كتاب (نقطة الكاف) لمؤلفه الميرزاجاني الكاشاني البابي :«إن البهائيين يسعون بكل قواهم إلى أن يتلفوا جميع كتب البابية ويمحوها ، إذ تدل على بطلان دعواهم عن الميرزا حسين بهاء الله ، واستطاعوا أن يخفوا الكتاب التاريخي البابي للميرزا جاني الكاشاني الذي يبين كذب دعاويهم». (بنت الشاطىء ، قراءة في وثائق البهائية ، 75 ، 76) .

لقد صادر حسين البهاء رسالة معلمه الباب بادعائه الرسالة ، ونسب إلى الباب أن وجود الباب لم يكن إلا توطئة لظهور البهاء الأعظم وهو حسين علي المازندراني ، وأغلق الطريق على أخيه (صبح أزل) وحال دون ولايته لعهد أستاذهما الباب ، ولكنه في الوقت نفسه يجود ببركاته الإلهية على ابنه عباس (عبدالبهاء) فيجعله ولي عهده من بعده ، فهو يقول : «إذا غيض بحر الوصال وقضي كتاب المبدأ في المآل ، توجهوا إلى من أراده الله الذي انشعب من هذا الأصل القديم». (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 75).

فإذا كان هذا هو قرار الأب ، فلم لا يمضي الابن مع أبيه إلى ما يريده ، بل أبعد مما يريد ، والولد سر أبيه - كما يقولون - ؟ يقول المستشرق براون الذي كان معاصراً لهما: «إن العباس ادعى بعد وفاة المازندراني بأن الوحي وسلسلته والإلهام لم ينقطع بعد أبيه ، وأنه هو مورد ذلك الوحي والإلهام بعد أبيه». ونقل عن الميرزا جاويد القزويني أن عباس ادعى بعد أبيه في أمريكا بأنه هو المسيح الذي وعد بمجيئه وابن الله ، وادعى في إحدى خطاباته في الهند أنه هو البهرام الذي وعد بمجيئه للزراد شتيين». (ظهير ، البهائية ، 334 ، 335).

ويرى أسلمنت أن ذلك ليس إلا غلواً في النظر إلى شخص عبدالبهاء. فهو يقول: «وقد أدت العبودية الخالصة التي روج بها عبدالبهاء دين بهاء الله في الشرق والغرب ، إلى اضطراب آراء المؤمنين حول مقامه. فالبعض وقد أدركوا طهارة الروح التي تتجلى في أقواله وأفعاله صاروا يشعرون - تحت تأثير عقائدهم السالفة المنهارة- أنهم سوف يجلّونه إذا شبهوه بـ «المسيح» أو سموه بـ «رجعة المسيح». ولم يحزن عبدالبهاء شيء أكثر من عدم انتباههم إلى أن قابليه عبدالبهاء وقدرته على خدمة بهاء الله نشأت عن صفاء المرآة التي توجهها لشحن الحقيقة، ولم تنشأ عن كونه الشمس بذاتها». (أسلمنت، بهاء الله والعصر الجديد ، 75).

تدريب (3)

عزيزي الدارس ، وضح بلغتك الخاصة مقصود جون أسلمنت بقوله: «إن قابلية عبدالبهاء وقدرته على خدمة بهاء الله ... بذاتها».

عزيزي الدارس ، لعلنا بلغنا فيما قدمنا هدفنا الذي أمّلنا من تقرير زيف ادعاء البهاء أنه رسول جديد ، ولسنا نقنع بذلك حتى نعرض أدلته على نبوته ثم نرد عليها ، وهي في مجملها أدلة البابيين من قبلهم كذلك ، وهم ينطلقون في ذلك كله من فرضية استمرار النبوة لاختمها.

أولاً- استدلالهم بالقرآن الكريم :

للبهائية من الاستدلال ما هو قريب المنال ، ومنه ما هو مغرق في التأويل الباطني ونحن نعرض لك من الأدلة القرآنية ما يفي بالغرض:

1- قوله تعالى: «يا بني آدم إما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون». (سورة الأعراف 35).

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة أن لفظ «ياتينكم» يدل على الحال والاستقبال ، وهو يفيد الديمومة والاستمرار. ثم إن الآية ذكرت لفظ (رسل) بالجمع ولم تقل (رسول) بالإفراد مما يعني أن ليس المراد بها محمداً صلى الله عليه وسلم. (آل محمد ، التبيان والبرهان. 56/1).

ثم نضيف أنه لا يمتنع أن يكون المقصود بلفظ (رسل) الرسل مطلقاً بدءاً من آدم عليه السلام ، ويكون لفظ (ياتينكم) مفيداً للاستقبال فعلاً من أول ابتداء الرسالات ، ولكن هذا الإطلاق مقيد بآية ختم النبوة (ولكن رسول الله وخاتم النبيين).

ويقوي هذا المعنى أن الآيات السابقة كانت تتحدث عن قصة آدم وإغواء إبليس له وهبوطه بعد ذلك إلى الأرض (سورة الاعراف ، الآيات 11-25) ثم جاء الخطاب بقوله تعالى : «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشا ...» (الاعراف 26) ثم قوله تعالى : «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة... » (الأعراف 27) ، ثم قوله تعالى : «يا بني آدم إما ياتينكم رسل منكم ...». إذن فالسياق المتصل للآيات الكريمة خطاب متصل للبشرية من لدن آدم عليه السلام وتذكير لها باتباع المنهج الحق ، ثم جاء الحديث عن الرسل بصورة إفرادية في الآيات اللاحقة من بعد بدءاً بنوح عليه السلام ، مروراً بهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام. (الأعراف 59 - السورة).

2- قوله تعالى: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البنية. رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة. فيها كتب قيمة. وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة». (سورة البينة 1-4).

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الكريمة - أن لفظ (رسول) جاء بالتنكير ، ولو كان المقصود محمداً لجاء معرّفاً. ثم إن لفظ (تاتيهم) يفيد الاستقبال ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتى. ولفظ (البينة) يفيد الحجة والبرهان ، وبهاء الله كان حجة وبرهاناً لمحمد صلى الله عليه وسلم أما

قوله (يتلو صحفاً مطهرة) فينطبق على بهاء الله لأنه كان يقرأ ويكتب ، أما محمد فكان أمياً. وبهاء الله نزلت عليه صحف وكتب فهو يتلوها ، أما محمد فلم ينزل عليه إلا كتاب واحد. (آل محمد، التبيان والبرهان 1/112-114).

أما ردنا على ذلك فيبدأ بالرجوع إلى سبب النزول ، فإن معرفة السبب تورث العلم بالمسبب كما يقول العلماء. ويذكر المفسرون هنا أن الكفار من أهل الكتاب وعبدة الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم: لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل ، وهو محمد صلى الله عله وسلم ، ولكن ما إن جاءهم الرسول حتى تفرقوا عن الحق الذي جاء به وازدادوا بذلك كفراً. ومن خلال سبب النزول يمكننا الإجابة عن أوجه استدلال البهاء وقومه بهذه الأيات الكريمة على استمرار الرسالة.

أ- إن تنكير لفظ (رسول) بعد تعريف (البينة) لا يدل على التعميم لتشمل أي رسول. فقد أعربت كلمة (رسول) على أنها بدل من (البينة) ، وهذا يعني أن الرسول هنا هو البينة. وأن تعريف (البينة) ورد للتفخيم ، فكأنه هوالبينة التي لا مزيد عليها ، فاجتمع التعريف والتنكير هنا في حق الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فبدأ بالتعريف وهو لفظ البينة ، ثم ثنى بالتنكير فقال (رسول من الله) أي هو رسول وأي رسول. ونظيره قوله تعالى في الثناء على نفسه فقال: «ذو العرش المجيد) ثم قال (فعال لما يريد) فنكر بعد التعريف. (الرازي ، التفسير الكبير41/32).

ب- أما قولهم إن كلمة (تاتيهم) تفيد الاستقبال ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد أتى ، فجوابه ما ورد في الآية الأخيرة (جاءتهم البينة) فقد ازدادوا كفراً بمحمد بعد مجيئه.

جـ- أما أن البنية بمعنى الحجة والبرهان ، والبهاء كان حجة وبرهاناً لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو من المضحك المبكي ، فما أعجب ما يفعله هذا الحجة بالقرآن الذي هو برهان محمد صلى الله عليه وسلم حقاً وحقيقة ، مما لا يحتاج معه إلى حجج واهية من أمثال البهاء. ومقالة البهاء هذه تذكرنا بمقالة أبي عبيد عندما قال: قتل علمي على يد كيسان، فقد كان يسمع غير ما أقول ، ويكتب غير ما يسمع. وهذا البهاء يحرف الكلم عن مواضعه ويتأول النصوص على غير ما تنزلت لبيانه.

وبالإضافة فإن محمداً صلى الله عليه وسلم لم ينتفع بشهادة هذا الحجة والبرهان ، وإنما الذي يسعى إلى الأنتفاع بمحمد هو البهاء نفسه ، إذ يوظف النصوص الشرعية غصباً ويطوعها لأهوائه وهل كان محمد أكرم عليه من الباب الذي كان البهاء من أتباعه ، فإذا به يصيره باباً أو بواباً له ؟!

د- أما تعلقه بقوله تعالى (يتلو صحفاً مطهرة) ومحمد لم يكن يقرأ خلافاً للبهاء ، فجوابه ما ذكره ابن كثير من قوله إن تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لا قراءة تعلم واستذكار (تفسير ابن كثير 4/536).

وأضيف : هل كانت أمية الرسول صلى الله عليه وسلم مانعة له من التلاوة والترتيل ؟ إذن فكيف كان يعلّم الأميين الكتاب والحكمة ؟ ولم خوطب بقوله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا» ؟

هـ- وأما التارجح على صيغة الجمع في (صحف) و (كتب) والنفاذ من خلالها إلى القول بأن محمداً صاحب كتاب واحد ، إذن فهو ليس المقصود بالآية. فجوابه ما ذكره العلماء من أن معنى (يتلو صحفا) أي ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن . وقال مقاتل: وإنما قيل لها كتب لما جمعت من أمور شتى. وقيل إن المراد بالصحف هنا هو الكتب ، والمراد بالكتب هنا الأحكام الشرعية. وقيل إن الكتب القيمة هي القرآن فجعله كتباً لأنه يشتمل على أنواع من البيان. (تفسير القرطبي 143/30) .

3- أما تاويل البهائية لقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» واستدلالهم بها على استمرار الرسالة فكما يلي :

(أ) إن قوله تعالى (وخاتم) جاء بفتح التاء ، فهو بهذا المعنى الحلية والزينة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو بين الأنبياء حليتهم وزينتهم التي يتزينون بها.

أما إذا قرأناها بكسر التاء فليس فيها دلالة على ختم الرسالات ، وإنما غاية ما تدل عليه الآية الكريمة ختم النبوة وليس ختم الرسالة ، وفرق بين الرسول والنبي بدلالة العطف في الأية ، والعطف يقتضي التغاير. ثم إنه ليس صحيحاً أن كل رسول نبي كما هو الرأي الشائع عند علماء المسلمين ، ذلك أن هذا القول الأخير يوجب ختم الرسالة وهوحياج للإسلام وحافظ له من الاعتقاد بمجيء رسول جديد. وعليه فقد تجتمع في الشخص الرسالة والنبوة معاً ، وقد ينفرد بإحداهما دون الأخرى. (آل محمد ، التبيان والبرهان 61/1 - 68).

وللجواب على هذا الاستدلال أحيلك عزيزي الدارس إلى ما سبق أن قررناه تحت عنوان (أدلة ختم النبوة) ، وأضيف إلى ذلك ما ذكره الشيخ محمد الكاظمي القزويني في قوله: «إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زينة الأنبياء عليهم السلام ، وأنهم يتزينون به كما يقول ، لزم أن يكون أفضلهم قطعاً ، والأفضل لا يصح أن تختم نبوته بمن هو دونه ، كما لا يصح التقدم عليه. يقبح ذلك في أوائل العقول. وعليه يجب أن يكون خاتمهم لأن به كما لهم وتمامهم». (عبدالحميد ، حقيقة البابية والبهائية، 87).

وإما المغايرة بين الرسول والنبي ، فالرأي الصحيح أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فهاهم وقد انتهوا إلى تقرير أن البهاء رسول قاموا بإسناد مجموعة كبيرة من النبوءات إليه، فقد أصبح رسولهم نبياً على هذا الأساس ، وقلنا من قبل إنهم منحوا هذه الدرجة (درجة النبوة) لولي عهد البهاء «عبدالبهاء». وعلى هذا فإن قوله تعالى (وخاتم النبيين) يستلزم ختم الرسالة بالضرورة.

4- وإن تعجب عزيزي الدارس فاعجب لتلاعب البابيين والبهائيين بالقرآن الكريم عن طريق تاويل الحروف المقطعة من فواتح السور جرياً على منهج اليهود في حساب الجمل ، فهاهم يجمعون ما يقابل هذه الحروف ويطرحون ثم يخرجون باستنتاجات ما أنزل الله بها من سلطان. فهاهم يقررون زمن انتهاء الرسالة المحمدية بظهور رسالة الباب من خلال جمع ما يطابق فواتح السور التالية من أرقام:

الم (البقرة) = 71 ، الم (آل عمران) = 71 ، المص (الأعراف) = 161

الر (يونس) = 231 ، الر (هود) = 231 ، الر (يوسف) = 231

المر (الرعد) = 271

ومجموع هذه الأرقام = 1267 . وإذا علمنا أن الله تعالى أمر محمداً بإعلان دعوته بقوله تعالى «فاصدع بما تؤمر) وكان ذلك قبل الهجرة بسبع سنوات ، فبإسقاط السبع السنين من الرقم المتقدم يبقى (1260) وهي سنة ظهور الباب ، ،انتهاء مدة الدورة المحمدية.

أما (طس) الواردة في سورة النمل ، فيشير حرف السين = (60) إلى زمن ظهور الباب وانتهاء الدورة المحمدية ، أما الطاء = (9) فيشير إلى مدة الدورة البابية ، حيث تبتدىء من سنة 1260 هـ وتنتهي في سنة 1269 هـ.

أما (طسم) في سورة القصص فتشهير الميم = (40) إلى السنين التي عاشها البهاء بعد بعثته. (آل محمد ، التبيان والبرهان 1/49 - 52).

أما لماذا جمعنا هناك وطرحنا هنا ، ولماذا كان الحرف الفلاني يشير إلى انتهاء رسالة محمد ، والثاني يشير إلى انتهاء حياة البهاء وليس انتهاء رسالته فذلك ما لا يعرفه إلا الراسخون في العلم من أمثال أيادي البهاء ومشعوذيه ، وهذا الحساب يعرفه اليهود والنصارى ، ولم يثبت به قرآن كريم ولا حديث صحيح.

وأراني ، عزيزي الدارس ، بعد عرض هذه الأدلة ، بحاجة إلى أن أنكرك بخدعة روج لها البابيون والبهائيون في العالم العربي والإسلامي ، ذلك ما يتعلق بسر العدد (19) في القرآن الكريم.

إن العدد (19) مقدس لدى البابيين والبهائيين:

فالباب اختار أعوانه (18) عضواً يكوّنون معه (19) شخصاً. ورتب كتاب البيان على (19) واحداً ، وكل واحد من (19) باباً. وقد قسم السنة إلى (19) شهراً. وفي الصلاة على الميت يقول (إنا كنا لله عابدون) 19 مرة. وعلى من زاد حرفاً أو غير حرفاً على الباب أو البهاء (19) مثقالاً من ذهب. ومهر القروية (19) مثقالاً وهكذا. ومضى البهاء من بعد الباب لتقديس العدد (19). فالصوم عنده (19) يوماً. وحكم الزاني دية مسلمة إلى بيت العدل (19) مثقالاً من ذهب. ومن ملك مائة مثقال من الذهب زكاها (19) مثقالاً. وغير ذلك كثير. (بنت الشاطىء ، قراءات في وثائق البهائية ، 195 - 209).

وقد رجع البابيون والبهائيون بعد أن قرروا قدسية هذا العدد إلى القرآن الكريم ليثبتوا أن القرآن الكريم قد هندس بناؤه على العدد (19). فهاهو الدكتور محمد رشاد خليفة البهائي يقول: «ولقد اكتشفت أن كل كلمة في آية البسملة تتكرر في القرآن الكريم كله عدداً من المرات هو دائماً من مكررات الرقم (19). فكلمة (اسم) تتكرر في القرآن تسعة عشر (كذا) بالضبط. ولفظ الجلالة (الله) يتكرر في القرآن (2698) مرة، وهذا العدد يساوي 142x19. وكلمة (الرحمن) تتكرر في المصحف كلـه (57) مرة = 3x19 أيضاً ، وكلمة (الرحيم) تتكرر في القرآن كله 114 مرة = 6x19 ». (بنت الشاطىء ، قراءات في وثائق البهائية ، 220) وتقول الدكتورة بنت الشاطىء إن الناس تلقوا هذا الاكتشاف

المذهل، وقد خفي عليهم ما في حسابه العددي تزوير واحتيال. فمثلاً تكرر لفظ الجلالة (2697) مرة كما ورد في المعجم المفهرس وليس (2698) كما ذكر الدكتور خليفة ليقسم المجموع على العدد (19).

وكلمة (الرحيم) تكررت في القرآن الكريم بهذه الصيغة (134) مرة في حالات الرفع والنصب والجر ، ولكن الدكتور خليفة اقتصر على حالات الرفع والجسر دون النصب (20) مرة.

وتنقل الدكتورة بنت الشاطىء عنه أن أول ما تنزل من القرآن الكريم في سورة المعلق (19) كلمة بالضبط. وهي قوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم». وحقيقة الأمر أن عدد الكلمات عشرون كلمة وليس (19) كلمة.

وهكذا لا يكاد يسلم من نظرية هذا البهائي في الإعجاز العددي في القرآن الكريم غير ما يلغي نظريته. ومع ذلك فقد خدع به من المسلمين كثير ، وألف بعضهم كتباً في هذا المقام منها:

- الإعجاز العددي في القرآن / عبدالرزاق نوفل
- المعجزة العددية / صدقي بك
- من أسرار القرآن / د.مصطفى محمود.

ثانيا- استدلالهم من السنة:

أ- إن أول ما استدل به البهائيون من الأحاديث على امتداد الرسالة ورسالة البهاء أحاديث نزول عيسى عليه السلام سابقة الذكر : وقد تتساءل ، عزيزي الدارس ، وما علاقة هذه الأحاديث بالبهاء ورسالته؟ والجواب على ذلك سهل حاضر ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

- ليس المقصود بعيسى هنا ابن مريم نفسه ، وإنما كني الرسول صلى الله عليه وسلم به عن بهاء الله لمناسبة بينهما ، لأن كلاً منهما انتشر دينه من الديار المقدسة (فلسطين) ، وكلاً منهما انتشر دينه بمجرد الدعوة دون حمايتها بالقوة ، وكلاً منهما رسول من الله جاء بتشريع جديد. (آل محمد ، التبيان والبرهان 8/1).
- أما ما نسب للسيد المسيح من كسر للصليب ووضع للحرب الخ... فتأويله أن كسر الصليب كناية عن إيمان النصارى به ، فمن آمن منهم فقد كسر بهاء الله صليبه.

وأما وضع الحرب فإن بهاء الله قد جاء بالدعوة إلى السلام العام للعام.

وأما وضعه الجزية فإن بهاء الله لا يفرض الجزية على من لا يؤمن به.

وأما دعوته للإسلام فإن بهاء الله يدعو للإسلام بمعناه العام الذي هو دين جميع المرسلين.

وأما مكثه أربعين سنة فكذلك بهاء الله مكث أربعين سنة بعد بعثته. وأما هلاك المسيح الدجال في زمانه، فالمقصود منها هلاكه في زمن دورته أي رسالته وليس في زمن وجوده بشخصه حياً.

وأما نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فهذا النزول هو نزوله في بغداد لأن بغداد واقعة شرقي دمشق ، وبدء الدعوة كان في بغداد ، والمنارة البيضاء موجودة بالقرب من جامع القمرية في الكرخ. (آل محمد ، التبيان والبرهان 26 - 36).

ونحن نرد على هذه الدعاوى بما يلي :

1- إن اسم البهاء لا صلة له إطلاقاً باسم المسيح عليه السلام ، فما الذي جعل حسين علي المازندراني هو عيسى بن مريم ؟

2- إنه من غير المقبول عقلاً ولا نقلاً صرف اللفظ عن معناه بهذه الطريقة التعسفية ، فالأحاديث صريحة في أن الذي سينزل هو عيسى بن مريم نفسه.

3- إن المقصود بتطبيقه الإسلام قيامه بشريعة القرآن ، أي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في تفسير ابن أبي ذئب للحديث الشريف «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فأمكم منكم؟ .. قال ابن أبي ذئب: تدري (وما أمكم منكم ؟ قلت: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسم ».

4- وأما أن تكون المنارة التي هي في شرقي دمشق موجودة في بغداد ، فما يمنع أن تكون في قطر آخر من الأقطار الشرقية مثل إيران أو أفغانستان ؟

وبالاختصار ، فإن اختيار فكرة المسيح في تلك الأحاديث لم تات عفـــو الخاطر ، وإنما اختارها المستعمرون لهذا الدجال بذكاء ودراسة عميقة لجذور الفكر في البلاد الشرقية المسلمة.

تدريب (4)

اقرأ الحديث الشريف الوارد في نزول المسيح عليه السلام بتمعن ، وبين سر اختيار المستعمر لعقيدة نزول المسيح وإقناع البهاء بتقمصها.

ب- أما قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» فقال البهائية إن المراد بذلك إلا أنه لا نبي بعده مباشرة ، ثم إنه لا شأن لنا بختم النبوة كما سبق لنا ذكره. (بنت الشاطيء ، قراءات في وثائق البهائية ، 272 ، 273).

ونقول إن (لا) هنا نافية للجنس ، فهي تنفي وجود أنبياء بعده صلى الله عليه وسلم سواء جاءوا بعده مباشرة أو على التراخي.

وأما التفريق بين ختم النبوة وختم الرسالة فقد رددنا عليه فيما سبق، فلا داعي لتكرار الرد.

ثالثاً - استدلالهم بالأدلة العقلية

يقول الحجة البهائي أبو الفضائل الجرفادقاني :«إن الاعتقاد بأبدية الشرائع والأديان إحدى المصائب الكبيرة التي ابتليت بها الأمم الماضية». (بنت الشاطىء ، قراءات في وثائق البهائية ، 268).

ويقول النقابة البهائي أحمد حمدي آل محمد : «إن الله لم يجعل الخلد لشريعة في الأرض. ولو كانت شريعة خالدة لكانت شريعة آدم أو شريعة نوح ، ولما تبدلت الشرائع وتوالى تبدلها من لدى آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. فما الذي إوجب تبدل تلك وخلود هذه ؟ ان سنن الله لا تتبدل ولا تتغير «فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا» (سورة فاطر 23). والإنسان لا زال في تطور ورقي فكذلك الشرائع في تطور وتبدل على مقتضى الأزمان والأدوار ، والشريعة التي تصلح لزمان قد لا

تصلح لزمان آخر ، فهذه الأمة المحمدية كانت مستظلة بسماء شريعة القرآن أكثر من اثني عشر قرناً قد تركتها واستعاضت عنها بالقوانين الوضعية». (آل محمد ، التبيان والبرهان 11/1 ، 12).

وأذكرك - عزيزي الدراس - بما سبق أن قلناه ونحن نعرض الأدلة العقلية على ختم الرسالة ، إذ تبين لنا أن عالمية رسالة الإسلام ، وكمالها وحفظ كتابها (القرآن) هي ركائز أساسية للحكم بأنها الرسالة الخاتمة ، إضافة إلى توقيت نزولها في مرحلة النضج البشري ، وجعل الاجتهاد مصدراً تشريعياً من مصادرها ، وفي الاجتهاد تحقيق لدور العقل الإنساني في فهم النصوص الشرعية وتوليد الأحكام الشرعية في ضوء هذه النصوص.

وإذا كان هنالك من اختلال في المصداقية فعند البهائيين الذين يجعلون كتاب (البيان) قسمة بين الباب والبهاء ، ابتداه الباب وأكمله البهاء ، وأما كتاب (الإيقان) فقد تنازعه الأخوان بهاء الله المازندراني ، وأخوه يحيى الملقب (صبح أزل). (الخطيب ، دراسات عن البهائية والبابية ، 23 ، 24).

2.2.3 العقائد الأخرى للبهائية

إن القول باستمرار الرسالات ليس العقيدة الوحيدة التي تعبر عن هوية الديانة البهائية بل إن لها موقفاً من قضية الإيمان بالله واليوم الآخر نوضحه فيما يلي :

أولاً البهائية والإيمان بالله

يقر البهائيون بوحدانية الله. ولكنها عقيدة غير مستقرة بالصورة التي عرضها القرآن الكريم ، بل هي أشبه بعقيدة النصارى في المسيح عليه السلام حين ادعوا أنه إله أو أنه ابن الله اتحد فيه اللاهوت بالناسوت (أي الصفة الإلهية بالصفة الإنسية) ، وعقيدتهم هذه تذكرنا كذلك بعقيدة الحلول والاتحاد الموروثة عن الهندوس والبوذيين ، تلك العقيدة القائمة على أن ذات الله حلت في الشيخص حتى أصبحا وحدة واحدة. وقد تسللت هذه العقيدة إلى غلاة الصوفية من أمثال ابن العربي والحلاج.

فها هو الحلاج يقول :

سبحان من أظهر ناسوته سرسنا لاهوته الثاقـــب
ثم بدا لخلقه ظاهـــــراً في صورة الآكل والشارب

ومن المعلوم أن بهاء الله تلقى عن أستاذه الباب، وهم من أتباع الشيخية، تلك الفرقة الصوفية الباطنية.

والآن لنسمع ما يقوله البهاء والبهائيون بهذا الخصوص.

يقول البهاء : «لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله ، ولا في جمالي إلا جماله ، ولا في كينونتي إلا كينونته ولا في ذاتي ولا في حركتي إلا حركته ، ولا في سكوني إلا سكونه ، ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود، قل لم يكن في نفسي إلا الحق ولا يرى في ذاتي إلا الله». ومن هنا يقول الدكتور جون أسلمنت إنه «لا يمكن وضع حدود فاصلة بين الوجهتين البشرية والإلهية ، سواء في حياته أو في تعاليمه». (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 51).

وقال أبو الفضائل الجرفادقاني : «نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ومطالع شموس آياته وبيناته». (الخطيب ، دراسات عن البهائية والبابية ، 29).

ويقول الجلبائيجاني :«إن الشيرازي رب وأن المازندراني إله ، فيوم ظهور الأول يوم الرب ، ويوم ظهور الثاني يوم الله». (ظهير ، البهائية ، 345).

وهذا يفسر لنا سبب تلقيبه البهاء ، وهو لقب خلعته عليه قرة العين ، تلك المرأة الفانية التي انضمت إلى البابية ، وكان لها أكبر الأثر في توجيههم بعد إعدام الباب إلى المناداة بنسخ شريعة الإسلام وإعلان رسالة حسين المازندراني (البهاء) . كما يفسر لنا سبب تلقيب عباس أفندي نفسه (عبدالبهاء) ، مع أن إضافة لفظ (عبد) إلى الأشخاص شائع عند الشيعة ، كقولهم عبدالرسول وعبدالحسن . وقد ورد في كتاب (صفحة النور) الذي أصدره المحفل البهائي في الذكرى المئوية لاستشهاد الباب المبشر ببهاء الله : «وهذا الموعود لا يظهر باسم نبي ، بل بالأسماء المباركة التي جاء ذكرها في كتب الله ، أي باسم الرب والله والروح والبينة ، والرسول والمنادي والداعي والنبأ العظيم». (صفحة النور 33 ، 34).

إن عقدة العقيدة البهائية موضوع النبوة وختمها ، فهم إذ ينفون النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم يثبتون الرسالة والألوهية والربوبية لغيره من الأدعياء من أمثال بابهم وبهائهم.

ثانياً - البهائية والإيمان باليوم الاخر)

يقرر البهائيون أن المقصود بالقيامة هو قيام رسول بالدعوة ، وأن النفخ في الصور دعوة الرسول الناس إلى اتباعه ، وأن المقصود بالنفخة التي يصعق لها من في السموات ومن في الأرض هو موت الأمة السابقة ونسخ دينه. وأن الموت والحياة أمران معنويان فالإيمان برسول الوقت حياة ، وعدمه موت. (آل محمد ، التبيان والبرهان 19/1). وأن البرزخ هو المدة بين رسولين ، ويكون في هذا العالم وليس في عالم ما بعد الموت. (آل محمد ، المرجع السابق ، 39) ، وهكذا عذاب القبروفتنته. (المرجع السابق ، 61).

أما العذاب والثواب فكلاهما أمر روحاني ، وقد ورد الحديث عنهما بصورة حسية تقريباً للمجرد في قالب محسوس. (آل محمد ، المرجع السابق ، 53 ، واردكاني ، نبذة عن الدين البهائي ، 35).

ومضوا في تأويل حقائق اليوم الآخر تأويلاً مجانياً لنصوص الدين جرياً على عادة الفلاسفة ، من مثل ما ذكره ابن سينا في كتابه المعروف (رسالة أضحوية في أمر المعاد). ونعرض لك ، عزيزي الدارس ، نموذجاً لتأويلهم علامات يوم القيامة الواردة في سورة التكوير. فقد قالوا إن المقصود بقوله تعالى:

- «إذ الشمس كورت». أي ذهب ضوؤها ، أي أن الشريعة الإسلامية ذهب زمانها واستعيض عنها بشريعة البهاء.
- «وإذا الجبال سيرت» : أي أن الدساتير الحديثة قد ظهرت.
- «وإذا العشار عطلت» : أي استعيض عن الجمال بالقاطرات.
- «وإذا الوحوش حشرت» : أي أنشئت حدائق للحيوانات.
- «وإذا البحار سجرت» : أي أنشئت فيها البواخر.
- «وإذا النفوس زوجت» : أي اجتمع اليهود والنصارى والمجوس على دين واحد هو دين البهاء.

وهكذا إلى آخر هذه الأمارات ، تأويل إثر تأويل في محاولة اغتيال منظمة لمعاني الآيات الكريمة، عن طريق العدول عن المعنى الظاهر إلى الباطن ، وكل هذا يجري تحت زعم أن البهاء جاء حجة وبرهاناً لمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل !!

3.3 من شرائع البهائية

للبهائية شرائعها المستقلة ، أليست ديانة جديدة كما يقولون ؟ فلم لا تكون لهم شريعتهم كذلك؟ وفيما يلي بيان ببعض جوانب هذه الشريعة:

1- الصلاة: الصلاة فرض من غير جماعة ، ولا تؤدى الصلاة جماعة إلا في صلاة الجنازة ، ولا يجوز الاصطفاف خلف الإمام في الصلاة لأن في هذا ضرباً من الكهنوت. والقبلة كانت شخص البهاء حيث كان أيام حياته ، أما بعد وفاته فأصبحت القبلة قبره. ولهم في اليوم ثلاث صلوات بتسع ركعات. وتسقط عن المريض والهرم والحائض والنفساء.

2- الصوم: وهو فرض على الرجال والنساء ما بين (11-42) سنة. وشهر الصوم يسمى شهر العلاء ومدته(19) يوماً ، ويكون الصوم بالامتناع عن الطعام والشراب من الشروق إلى الغروب. ويعفى منه الأطفال والمرضى والمسافرون والشيوخ والعجزة والحوامل.

3- الحج: ويكون بالتوجه إلى البيت الأعظم في بغداد ، وهو البيت الذي أعلن فيه بهاء الله أنه رسول ، وتمت في ساحة ذلك البيت بيعة الرضوان. ويكون كذلك إلى الدار التي كان يسكنها الباب في شيراز. وأيهما أقرب إلى الحاج يحج إليه.

4- الزكاة: أحال البهائيون أحكام الزكاة إلى ما ورد منها في القرآن الكريم. وتؤدى الزكاة إلى» بيت العدل».

5- الزواج: يحرم تعدد الزوجات كما تحرم الرهبنة. وعقد الزواج يتم بالتراضي بين الطرفين بحضور شاهدين ، ويقول العروسان : «إنا كل لله راضون» ، «إنا كل لله راضيات». ويجوز زواج البهائي من غير البهائية ، والبهائية من غير البهائي.

6- الطلاق: الأصل في الطلاق الحظر ويباح إذا حدثت حوادث سببت البرودة بين الجنسين على أن يتم ذلك باطلاع المحفل الروحاني.

7- الجهاد منسوخ ويحرم حمل آلات الحرب ، وطاعة الحكام فرض مهما كان انتماؤهم.

8- التقويم البهائي: تتألف السنة من (19) شهراً ، وكل شهر من (19) يوماً ، والمجموع على هذا الأساس(361) يوماً ، ويضاف لها أربعة أيام أو خمسة أيام في السنة الكبيسة بين الشهر الثامن عشر والشهر التاسع عشر.

أما أسماء الأشهر فهي على الترتيب: البهاء ، الجلال ، الجمال، العظمة ، النور ، الرحمة. الكلمات ، الكمال ، الأسماء ، العزة ، المشيئة ، العلم ، القدرة ، القول ، المسائل ، الشرف ، السلطان، الملك.

ويبتدىء العصر البهائي بسنة إعلان الباب دعوته سنة 1844م.

9- الأعياد : وهي ترتبط في أغلبها بسيرة رجالاتهم. ومن هذه الأعياد: عيد الرضوان (ويرتبط بإعلان دعوة البهاء) ، وعيد النوروز (ويحتفل به بعد الصيام مباشرة) ، وعيد بعثة الباب ، وعيد مولد البهاء ، وعيد مولد الباب ، وعيد صعود بهاء الله ، وعيد صعود عبدالبهاء ...

10- حل استعمال أواني الذهب والفضة ولبس الحرير.

(أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد 194 - 204 . وظهير ، البهائية 197 - 209 ، والحياني ، البهائية، 106 - 114).

4.3 مبادىء البهائية وتعاليمها

تقوم الدعوة البهائية على المبادىء الخمسة التالية

1.4.3 وحدة الأديان: يرى البهائيون أن الإطار الذي ينتظم الديانات جميعاً هو الإسلام بمعناه الشامل الذي يعني الخضوع لله تعالى. وعليه ينبغي أن يتم التعايش بين هذه الديانات ، وهم يسلكون في عداد هذه الديانات الزرادشتية والبوذية ، ويعدون زرادشت وبوذا رسلاً.

يقول البهاء في وصيته المعروفة بـ (كتاب عهدي) : «يا أهل الأرض ، إن مذهب الله هو من أجل المحبة والاتحاد ، فلا تجعلوه سبب العداوة والاختلاف. أرجو أن يتمسك أهل البهاء بهذه الكلمة المباركة «قل كل من عند الله» ، فإن هذه الكملة العليا بمثابة الماء لإطفاء نار الضغينة والبغضاء».

ويقول ابنه عبدالبهاء : «إن ترك التعصبات محتوم على الجميع ، وعليهم جميعاً أن يذهبوا إلى كنائس ومعابد ومساجد بعضهم بعضاً ، لأن ذكر الله يكون في جميع هذه المعابد». (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 130 ، 131).

وقد ترجم عبدالبهاء دعوته هذه فعلاً ، فقد حضر أثناء إقامته في لندن صلاة في الكنيسة ، ووقع على نسخة من الكتاب المقدس ، كما شهد أثناء زيارته لفرانسيسكو عام 1912 حفلاً أقامه له المجمع اليهودي ، وخطب فيهم خطاباً بليغاً مجد فيه اليهود ونوه بعظمتهم (بنت الشاطىء ، قراءة في وثائق البهائية ، 122 - 124).

إن البهائيين إذ دعوا إلى وحدة الأديان لم يبينوا ما إذا كان المقصود الاجتماع على دين واحد، أو إبقاء الأديان على حالها مع ترك التعصب بينهما.

أما إذا كان مرادهم الاجتماع على دين واحد مع مباركة الجميع ، فذا شيء غير منسجم . فكيف تكون بهائياً ومسلماً ، أو مسيحياً في الوقت نفسه مثلاً ؟؟

وأما الدعوة إلى ترك التعصب فهي دعوة سبق لنا أن رأينا مثلها عند كبار المتصوفة من أمثال ابن العربي إذ قال :

عقد الخلائق في الإله عقائـــدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وقال كذلك :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائـــف وألواح توراة ومصحف قـرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيمانـــي

(ظهرت ، البهائية 103 - 107).

وهذه الدعوة تتبناها الماسونية كذلك في معرض التخطيط للقضاء على الأديان تحت ستار الدعوة إلى وحدة الأديان ، من أجل قيام الامبراطورية الصهيونية في العالم.

4.3.2 وحدة الأوطان

المقصود بهذا المبدأ «هو جمع سكان العالم تحت ظل خيمة واحدة ، لأن جميع أفراد البشر هم بمنزلة قطرات بحر واحد وأوراق شجرة واحدة ، وحروف كتاب واحد ، لقد خلقهم الله جميعاً وهو رازقهم ويعطف عليهم جميعاً ، فيجدر بالبشر أيضاً أن يرفقوا ببعضهم البعض ، وأن يتمنوا الخير لبعضهم البعض». (أردكاني ، نبذة عن الدين البهائي ، 40).

ويقول بهاء الله بهذا الصدد: قد قيل في السابق (حب الوطن من الإيمان)، وأما في هذا اليوم فلسان العظمة ينطق ويقول: ليس الفخر لمن يحب الوطن، بل لمن يحب العالم». (الحياتي، البهائية، 120).

ويعلل إحسان إلهي ظهير هذه الدعوة بأنها كانت «خدمة للاستعمار الصليبي الروسي آنذاك ، حيث كان يطمع في إيران المسلمة والقضاء عليها. وفي مثل هذا الوقت كان هذا العميل الخبيث يمهد لهم الطريق للتوغل والتدخل في تلك الدولة بنزع الحمية الوطنية عن قلب الشعب الإيراني المسلم وقلع الغيرة للدفاع عن وطنهم العزيز ، وهذا مع تحريم حمل السلاح». (ظهير ، البهائية ، 115).

4.3.3 - وحدة اللغة

يقول البهاء : «يا أهل المجالس في البلاد ، اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض ، وكذلك من الخطوط ، إن الله يبين لكم ما ينفعكم ويغنيكم عن دونكم ، إنه لهو الفضال العليم الخبير. هذا هو سبب الاتحاد لو أنتم تعلمون». (ظهير ، البهائية ، 119)

في ضوء هذه الدعوة الحالمة ، يفترض في المرحلة الأولى أن يتكلم كل فرد لغتين ، إحداهما لغته الوطنية ، والأخرى اللغة العالمية ، وبهذا يتم التفاهم ويحصل الاتحاد. أما في مرحلة لاحقة فيجب السعي إلى اعتماد لغة واحدة كي تتحقق وحدة اللغة بمعناها الشامل والكامل. (أردكاني ، نبذة عن الدين البهائي ، 45).

والذي يبدو أن البهاء وعصابته كانوا يخططون لإقصاء العربية عن دورها العالمي كونها لغة القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين إلى الناس أجمعين. فها هو البهاء يقول في لوح (هو الناظر من

افقه الأعلى) من (مجموعة الألواح المباركة) ما نصه: «يا قلمي الأعلى ، بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء». ومقصوده من اللغة النوراء اللغة الفارسية. هذا مع أن أبا الريحان البيروني كان يحب أن يهجى بالعربية على أن يمدح بالفارسية. (الخطيب ، دراسات عن البهائية والبابية ، 29).

4.3\4 - السلام العالمي وترك الحروب

تحرص البهائية على تصفية معالم الإسلام بإنكار ختم الرسالة ، واستبدال اللغة العربية لغة القرآن وهذا هو هم المستعمرين الأول ، والهجوم على ذروة سنام الإسلام ، ألا وهو الجهاد ، وذلك بإعلان نسخه تمكيناً للمستعمر من رقاب المسلمين. فها هو البهاء يزف البشرى إلى أسياده المستعمرين :«البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب». (ظهير ، البهائية ، 115).

وقد كتب عبدالبهاء ما ترجمته :«حينما ظهر بهاء الله أعلن بأن نشر الحقيقة لا يجوز أبداً بهذه الوسائل حتى ولو كان استخدامها لغرض الدفاع عن النفس فنسخ آية السيف ... وتفضل» أن تقتلوا خير لكم من أن تقتلوا».

ومع ذلك فهم يقررون واجب الهيئة الاجتماعية الدولية ، إذا ما رأت أمة تجاوزت على أمة أخرى . أن تتحد على منع هذا الظلم ، وفي ذلك يقول عبد البهاء : «قد تكون الحرب أحياناً أساساً للصلح الأعظم ، كما قد يكون التدمير سبباً للتعمير». (أسلمنت ، بهاء الله والعصر الجديد ، 187 - 190).

ومع هذه الدعوة للوفاق الدولي لم يحسن البهاء تأسيس علاقات تقوم على الثقة ونزع فتيل الخصومة مع ذوي القربى من البابيين والأزليين ، فضلاً عن المسلمين.

4.3\5 المساواة بين الرجل والمرأة

يقول الدكتور جون أسلمنت : «إن أحد المبادىء الاجتماعية التي ينيط بهاء الله بها أهمية عظمى هو أن النساء يجب أن يعتبرن مساويات للرجال ، فيتمتعن بحقوق وامتيازات مساوية لما يتمتع به الرجال ، كما ينلن تعليماً مساوياً لتعليم الرجال ، وتتاح لهن ذات الفرص التي تتاح للرجال». (أسلمنت بهاء الله والعصر الجديد ، 163).

ويشيد الدكتور أسلمنت بـ (قرة العين) وشجاعتها في نزع الحجاب والبروز إلى الرجال . واحتمالها الأذى في سبيل ذلك قائلة : «إنكم تستطيعون بكل سهولة ، ومتى شئتم ، قتلي ، لكنكم يجب أن تعلموا أنكم لن تستطيعوا الوقوف أمام تحرر المرأة».

ويقول عبدالبهاء : «كان العالم في العهود السالفة أسير سطوة الرجال، تحكمه قسوتهم وتسلطهم على النساء بصلابة أجسامهم وقوة عقولهم وسيطرة شدتهم. أما اليوم فقد اضطربت تلك الموازين». (أسلمنت ، المرجع السابق ، 165 ، 166).

ومد ذلك ، فقد وجدنا البهاء يعفي النساء من الصوم والصلاة عند الحيض ، ويسقط عنهن وجوب الحج رحمة بهن ، وجعل أمناء (بيت العدل) من الرجال. (ظهير ، البهائية ، 143 - 145 والحياني ، البهائية ، 122 ، 123).

5.3 علاقة البهائية بالاستعمار والصهيونية

لابد ، ونحن بصدد الحديث عن هذا الموضوع ، أن نتذكر أن البهائية امتداد للبابية كما ذكرنا ، وكان المحضن الطبيعي لنشأة هاتين الديانتين تلك الفرقة الصوفية الباطنية ، ألا وهي طائفة الشيخية.

كما لابد لنا أن نتذكر الظروف التي نشأت فيها هاتان الديانتان ، فقد ظهرتا في فترة كانت تشهد فيها الدولة العثمانية تداعياً ذريعاً فيما يطلق عليه عهد «الرجل المريض». وكانت أعين المستعمرين ترقب الموقف بدقة من أجل تقسيم الأمة والأمة ، ونخص بالذكر هنا روسيا القيصرية وإنجلترا ، تدعمهما في ذلك الحركة الصهيونية العالمية. وهكذا فلنتبين دور هذه القوى في إظهار هذه الديانات إلى حيز الوجود وحضانتها لها.

ونعود إلى البداية الأولى لنشأة البابية ، إذ تكشف لنا مذكرات (كنياز دالكوركي) الجاسوس الروسي قصة هذه النشأة. وقد صدر كتاب بعنوان (مذكرات دالكوركي) معرباً من الفارسية من قبل السيد أحمد الفالي.

كان دالكوركي يعمل مترجماً بالسفارة الروسية عام 1834 م ، ثم أصبح سفيراً من بعد. ويقول إنه كان يبحث عن الزائغين في عقيدتهم لضرب المسلمين من داخلهم ، فاهتدى إلى الطائفة الشيخية ، ودخل في حلقة الشيخ كاظم الرشتي متنكراً باسم الشيخ عيسى« النكراني ، ولما كان الحديث عن المهدي طاغياً لدى هذه الفرقة ، فقد وجد في هذه العقيدة منفذاً يحقق منه أهدافه. فها هو يقول : سألت الرشي يوماً عن المهدي أين هو ؟ فقال: أأنا أدري ؟ يكون هنا في المجلس. وكان في المجلس الميرزا علي محمد الشيرازي ، فرأى فيه دالكوركي ضالته ، فألقى في روعه أنه هو الذي سيكون المعني بالأمر. وصار يخاطبه بقوله : يا صاحب الأمر ، ويا صاحب الزمان. وكان استقبال الميرزا علي فاتراً لهذا الخطاب أول الأمر ، ولكن ما لبث أن لان جانبه ، فما أن انتقل الميرزا علي من كربلاء إلى بوشهر حتى فاجأ دالكوركي سنة 1844 بخطاب يدعوه فيه إلى بابيته، فأظهر دالكوركي موافقته واعتقاده به.

ثم يذكر دالكوركي أنه اجتمع بعد ذلك مع الميرزا حسين علي (بهاء الله). ولم تكن أسرة بهاء الله بعيدة عن التعامل مع السفارة الروسية ، فقد كان أخوه (بزرك النوري) كاتباً في السفارة ، وكان صهره (الميرزا مجيد) سكرتيراً للوزير المفوض الروسي بطهران. (ظهير ، البهائية ، 8).

وبعد إعدام الباب ، واعتقال البهاء إثر محاولة اغتيال ناصر الدين شاه، عمل دالكوركي على إخراج البهاء من السجن ، وشهد وعمال السفارة وموظفوها أن البهاء ومن معه من أتباع الباب ليسوا من البابيين ، ثم عندما نفي البهاء إلى بغداد رافقه مجموعة من رجال الحكومة الروس. والبهاء نفسه يقول في ذلك مخاطباً ملك روسيا بقوله : «إن الله قدر لك مقاماً منيعاً عالياً لا يعرفه أحد سواه ، لأن سفيركم أنقذني من سجن طهران حينما كنت أسيراً في السلاسل والأغلال».

ويقول : «لما خرجت من السجن غادرت البلاد إلى العراق بأمر حضرة الملك ومعي رجالٌ الحكومة البهية الروسية». (الحياني ، البهائية ، 159 - 162 ، وعبدالحميد ، حقيقة البابية والبهائية ، 209 ، وظهير ، البهائية ، 116).

ولم تقتصر حماية البهاء على رجال السفارة الروسية وحكومتها ، بل إن الانجليز تدخلوا لصالحه أيضاً. تقول الداعية البهائية (حشمت علي): لو ما كان سفير الروس والانجليز ولم يشفعا لبهاء الله أمام الحكومة الإيرانية لخلى التاريخ عن ذكر ذلك الشخص العظيم».

وبعد نفيه إلى بغداد عرضت عليه السفارة الانجليزية جنسية إنجليزية أو السفر إلى الهند ليستأنف نشاطه التخريبي هناك.

وعندما استقر البهائيون في فلسطين ، أعربوا عن سرورهم وسعادتهم الغامرة بانتصار القوات البريطانية واحتلالهم لحيفا سنة 1918 .

وكان عبدالبهاء يدعو لملك الانجليز قائلاً : «اللهم أيد الامبراطور الأعظم جورج الخامس عاهل انكلترا بتوفيقاتك الرحمانية ، وأدمْ ظلها الظليل على هذا الإقليم بعونك وصونك وحمايتك ، إنت أنت المقتدر المتعالي العزيز الكريم. (ظهير ، البهائية 23 - 25).

ويقول شوقي أفندي سبط عبدالبهاء وخليفته : «لقد صممت الحكومة البريطانية بعد انطفاء نيران الحرب على أن تكافيء حضرة عبدالبهاء على الخدمات التي أداها لهم ، فمنحته لقب فارس مع وسام خاص قدم لحضرته في حفل مشهود بمقر الحاكم الإنجليزي لحيفا حضرته شخصيات فذة من مختلف الشعوب والأمم ، ومن بينهم الجنرال أللنبي قائد قوات الاحتلال ، والسير هربرت صمويل المندوب السامي اليهودي ، وبيتر رونالد حاكم القدس الشريف. كما اعفيت من الرسوم الحكومية كل الممتلكات التابعة للمقام الأطهر بناء على الأوامر الصادرة من مركز الحكومة بلندن إلى المندوب السامي للدولة البريطانية البهية». (بنت الشاطىء ، قراءات في وثائق البهائية ، 135 ، 136) والحياني ، البهائية ، 163 ، 165).

تدريب (5)

اكتب أربعة أمور يتبين من خلالها دعم الاستعمار الانجليزي للبهائيين.

أما عن مواكبة الحركة الصهيونية لهاتين الديانتين ورعايتها فأمر يتصل بنشأة البابية المبكرة ، فقد دخلت أعداد ضخمة من يهود إيران في هذه الحركة في مدة قصيرة جداً ، فقد اعتنق البابية في طهران (150) يهودياً ، وفي همدان (100) يهودي ، وفي كاشان (50) يهودياً ، وفي كلياكيان (85) يهودياً ، هذا مع علمنا بحالة الانغلاق التي يحياها اليهود على أنفسهم عادة. (عبدالحميد ، حقيقة البابية والبهائية ، 101 ، 102)

ولا نستغرب بالتالي توجيه اليهود البابية والبهائية لوحدة الأديان كممهر لهدم الأديان كما ذكرنا. كما لا نستغرب كذلك أن يعطي البابيون والبهائيون ثقتهم بالكتاب المقدس على واقعه الذي نعرفه اليوم ، فهم ينفون التحريف عنه. يقول البهاء في كتابه (الإيقان) الذي ألفه أثناء اختفائه في السليمانيّة قبل إعلان أمر ظهوره: «ليس المقصود من التحريف ما فهمه هؤلاء الهمج الرعاع - علماء الفرقان - كما يقول بعضهم أن علماء اليهود والنصارى محوا من الكتاب الآيات التي كانت في وصف الطلعة المحمدية

واثبتوا فيها ما يخالفها. وهذا القول لا أصل له ولا معنى أبدا ، فهل يمكن أن أحداً يكون معتقداً بكتاب ويعتبره أنه من عند الله ، ثم يمحوه؟» (بنت الشاطىء ، قراءات في وثائق البهائية، 91).

وكان مقر عبدالبهاء في عكا وكراً للتآمر على الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية. وقد أحس بعض من حوله بخطورة تحركاته ، فوشوا به إلى المسؤولين. وقد ذكر المستشرق براؤن أن أخاه محمد علي افندي ومن كان معه في عكا اتهموا عبدالبهاء بأنه يعمل لإسقاط الدولة الإسلامية لحساب الصهاينة والصليبيين ، ولما علمت الحكومة التركية بذلك فرضت عليه الإقامة الجبرية في عكا. (ظهير ، البهائية ، 318 ، 319). ولعلنا نتذكر جيداً دور اليهود في إسقاط دولة الخلافة الإسلامية.

وعلينا ألا نغفل كذلك عن أن الكيان الصهيوني أصبح مقراً للحركة البهائية. وقد لاحظنا أن البهائيين يؤسسون في سنة 1963 م (بيت العدل) البهائي في فلسطين وقد انتخب هذا البيت صهيونياً أمريكياً اسمه (ميسون) ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم. وقد دعمت السلطات الإسرائيلية مساعي البهائيين في إنشاء مركز لهم على سفح جبل الكرمل في حيفا. وقد جعله البهائيون مزاراً لأتباعهم بعد أن أودعوا فيه جثمان الباب كما يقولون. (الحياني ، البهائية ، 147).

وفي ختام هذا القسم عن البهائية ، أنقل لك ، عزيزي الدارس ، بعضاً مما ورد في بيان جبهة العلماء في الأزهر ، فقد جاء فيه قولهم : «ولقد تزلف البهائيون إلى اليهود ومالأوهم على العرب والمسلمين وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطناً قومياً لهم. وقد قال طاغيتهم عبدالبهاء - عباس- إنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ، ويجمعهم على نواميس موسى عليه السلام الذي يؤمنون به جميعاً ، ومعنى ذلك أنه يريد تهويد المسلمين والنصارى ، وجعل اليهودية هي الدين السائد في الأرض ، وبذلك يكون السلطان في العالم كله لليهود وحدهم». (الحياني ، البهائية ، 146 ، 147).

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- بين المراحل التي مرت بها دعاوى علي الشيرازي من بعد ادعائه أنه الباب إلى المهدي المنتظر.

2- تزعم البهائية أن بهاء الله قد ألهم الباب كتاب البيان. فنّد هذا الزعم.

3- قال تعالى: «يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون». بين كيف تعلق البهائية بهذه الآية الكريمة للاستدلال على استمرار النبوة. ثم بين الرد عليهم.

4- بين كيف استدل البهائية على استمرار النبوة بقوله تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين».

5- بين كيف تأول البهائية الحديث الشريف (لا نبي بعدي).

6- من مبادىء البهائية نسخ الجهاد. بين علاقة هذه الدعوة بدعوى البهاء أنه المسيح الموعود.

7- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة لكل مما يلي :

1.7 يرى ابن خلدون أن الأحاديث التي تتحدث عن المهدي:

أ- متواترة　　ب- صحيحة غير متواتره

ج- ضعيفة　　د- بعضها صحيح وآخر ضعيف

2.7 (خروف الحي) لقب أطلقه الباب على

أ- أسماء الله الحسنى ب- أسماء الأئمة من الشيعة.

جـ- حروف لفظ الجلالة د- أسماء (18) شخصاً كانوا أول من آمن به.

3.7 يطلق لفظ الباب عند النصيرية على

أ- علي محمد الشيرازي ب- سلمان الفارسي

جـ- حسين المازندراني د- أحمد الإحسائي

4.7 تأول البهائية والبابية (يوم القيامة) على معنى

أ- ظهور الرسول وقيامه ب- قيام الناس من قبورهم وعرضهم على ربهم.

جـ انتصار الحق على الباطل في الدنيا د- الثواب والعقاب في الآخرة بصورة معنوية

5.7 تقع (حديقة الرضوان) عند البهائية في

أ- شيراز ب- حيفا جـ- مكة د- بغداد.

6.7 عرف حسين علي المازدراني بلقب (بهاء الله) ، وهذا اللقب خلعه عليه:

أ- الباب ب- قرة العين جـ- حروف الحي د- ابنه عباس

4- القاديانية وختم النبوة

عزيزي الدارس ، رأيت فيما سبق كيف حاولت القوى الاستعمارية طعن الإسلام في خاصرته ، عندما أمكنها انتحال ديانات جديدة نادى بها بعض عملائها من أمثال الشيرازي والمازندراني ، اللذين تسللا عبر نافذة الاعتقاد بالمهدي وصولاً إلى صرح النبوة ، وليتهما قنعا بأن يحشدا أنفسهما في زمرة المرسلين ، بل إن مقام النبوة ضاق عن طموحاتهما ، فإذا بهما يدعيان الربوبية والإلهية ، ومع ذلك فقد وجدا على باطلهما أعواناً.

لم يكن ما حدث في إيران الحدث الوحيد إذ ولدت هاتان الديانتان ، فها هي الهند تشهد ميلاد ديانة جديدة أخرى خرجت من رحم العقيدة المهدية، وكانت القابلة هي الحكومة الانجليزية ، وهذه الديانة هي القاديانية ، فما القاديانية ؟ وكيف نشأت ، وما موقفها من ختم النبوة؟ وما عقائدها الأخرى ؟ وما صلتها بالاستعمار؟؟

1.4 نشأة القاديانية

تنسب القاديانية التي قد يطلق عليها اسم (الأحمدية) إلى الميرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا محمد المولود في قاديان في سنة 1839 ، وقيل في سنة 1840 م ، وقاديان هذه هي إحدى قرى البنجاب في الهند. وقد اختلف في قومية هذا القادياني ، فمرة قال إنه من المغول ، ثم عدل عن ذلك حين زعم أن الله قد أطلعه على حقيقة أنه من الفرس ، وعاد بعد ذلك ليقول إنه من نسل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . (ظهير ، القاديانية ، 125).

اسم أمه (جراغ بي بي) . وكان أبوه مرتضى طبيباً. أما جده عطا محمد فكان صاحب قرى وأملاك واسعة ، كما كان صاحب إمارة في البنجاب ، ولكن أحوال الأسرة قد انتكست من بعد.

درس غلام أحمد العلوم الدينية والأدبية والمنطق والفلسفة في داره . وعمل في إحدى المحاكم في مدينة سيالكوت بين 1864 - 1868م.

وقد ابتلي في شبابه بأمراض منها دوران الرأس ، فكانت تعتريه نوبات عصبية حادة ، كما أصيب بداء السكري في البول ، مما أثر على بنيته الصحية ، وفي ذلك يقول عن نفسه: أنا مريض بمرضين ، المرض الأول في الحصة الفوقانية من الجسم ، وهو دوران الرأس ، والمرض الثاني في الحصة التحتانية من الجسم ، وهو كثرة البول.

وتزوج أولاً سنة 1852 م ، ورزق منها ولدين هما سلطان وفضل. ثم تزوج الأخرى سنة 1884 فولدت له اولاداً منهم بشير الدين محمود ، وبشير أحمد ، وشريف أحمد. ولقبت زوجته الثانية «أم المؤمنين». وقد طلق زوجته الأولى سنة 1891م . (الندوي ، القادياني والقاديانية ، 22 - 28).

وعندما بلغ الميرزا غلام أحمد الأربعين من عمره ادعى أنه قد هبّت عليه نسائم الوحي ، فكان يقول إنه لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح.

وبحلول عام 1884 م أعلن أنه (مجدد الإسلام) متذرعاً بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». (رواه أبو داود في الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة. وإسناده صحيح). ولم يطل به الأمر حتى أعلن أنه المهدي وأن روح المسيح وروح محمد عليهما السلام قد حلتا فيه ، وعلى هذا فهو نبي ، ولم لا ؟ أليس اسمه أحمد ، وأحمد هو اسم النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام؟ وبعد إعلانه هذا طالب أتباعه بمبايعته.

وقد شغل القادياني في بداية اشتهار أمره بمناظرة رجال التبشير والهندوس فتعلق الناس به ، فكان في إطرائهم له إغراء بالتطاول على نبوة خاتم المرسلين كما ذكرنا ، فشغل علماء المسلمين بمناظرته ، وكان للعلامة ثناء الله الأمر تسري دور مهم في إفحامه. وكان القادياني قد طلب من الناس مساعدته في طباعة كتابه الذي يتضمن مناظراته والذي سيصل إلى خمسين مجلداً ، وقدم الناس له الدعم ، وأخيراً خرج الكتاب بالتقسيط في خمسة أجزاء فقط ، فلما سئل في ذلك قال: «لا فرق بين 5 و 50 إلا فقط فرق النقطة». (ظهير ، القاديانية ، 138 ، 139).

وكان يستغل ما يأخذه من أتباعه لتحقيق حد أعلى من الرفاهية بالنسبة لأسرته ، وهذا ما أحفظ كثيراً من أتباعه عليه ، ومنهم الأستاذ خوجه كمال الدين.

وقد مات الميرزا بداء الكوليرا عام 1908 م ، ودفن في قاديان التي أسماها أتباعه (مقر النبي العظيم) ، وأصبحت بذلك مكاناً مُقدساً يحجون إليه. (عوف ، القاديانية ، 26 - 30 ، ودائرة المعارف الإسلامية 1/504 - 505).

وقد تغنى غلام أحمد بقاديان فجعلها بمنزلة مكة والمدينة ، فهو يقول: أقول لكم صدقاً إن الله أخبرني بأن أرض قاديان ذات بركة ، وتتنزل فيها نفس البركات التي تنزل في مكة والمدينة المنورة».

وقال: «إن كانت أرض العرب تفتخر بأرض الحرم فإن أرض العجم تفتخر بأرض القاديان». (ظهير ، القاديانية ، 112 ، 113).

2.4 القادياني ودعوى النبوة

ذكرنا أن القادياني لم يرتق صرح النبوة قفزة واحدة ، بل كان دون ذلك مقدمات بيّنها الدكتور السامرائي في كتابه (القاديانية والاستعمار الإنجليزي) على النحو التالي: مرحلة الداعية ، مرحلة الإلهام والكشف ، مرحلة الحجة والتجديد ، مرحلة المهدي المنتظر والمسيح الموعود ، مرحلة ادعاء النبوة.

- أما مرحلة الداعية فقد بيّنا فيها أن القادياني انبرى للرد على أصحاب الديانات الأخرى التي كانت تكيد للإسلام كالمسيحية والهندوسية. وسيتبين لدينا أن هذه المرحلة كانت بتوجيه من أسياده الإنجليز.
- أما مرحلة الإلهام والكشف فقد بدأت تطل من القادياني عبارات يشتم منا رائحة النبوة ، وأول ذلك أنه صرح أن الإلهام لم ينقطع ولا ينبغي له أن ينقطع ، فالإلهام نعمة من الله يمنحها عباده الطائعين الصالحين ، وادعى أن الله تعالى خاطبه قائلاً: «يا أحمد ، بارك الله فيك ، ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، الرحمن علم القرآن ، لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ، ولتستبين سبيل المجرمين».

وكأنما أراد بهذا الإلهام الذي جمع فيه بين عدد من الآيات القرآنية أن يوهمنا أن إلهاماته هذه لا تخرجه عن حوزة الدين الإسلامي ودائرة الإسلام. (السامرائي ، القاديانية والاستعمار الانجليزي ، 60 ، 61).

نشاط (3)

عزيزي الدارس ،
ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقي ، ثم استخرج الآيات الكريمة التي ادعى القادياني أنه ألهمها في قوله: «وما رميت إذ رميت .... سبيل المجرمين».

- وأما في مرحلة التجديد فقد أعلن عن كونه مجدداً وأن الله أمره بأخذ البيعة ، وأنكر الحاجة إلى نبوة جديدة ووحي جديد لأنه خطر على القرآن الكريم وتعاليمه ، وفي هذه المرحلة كانت تطل من إلهاماته دعاوى النبوة على استحياء ، ولكنه ما يلبث أن يتراجع عن ذلك.
- وأما المرحلتان الأخيرتان فسنتوقف عندهما لمزيد من التفصيل والبيان.

1.2.4 مرحلة المهدي المنتظر والمسيح الموعود

بيّنا لك ، عزيزي الدارس ، في القسم الأول من هذه الوحدة طائفة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بنزول عيسى عليه السلام ، ويؤخذ من جملة ما ورد في الأحاديث الصحيحة الحقائق التالية :

- أن الذي سينزل هو عيسى بن مريم وليس غيره.

- أنه سينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، ويكون متدثراً ثوبين أصفرين.
- أنه سيكون حاكماً عادلاً يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكسر الصليب ويقتل الخنزير مما أحدثه أتباعه بعد وفاته ، ويسقط الجزية نتيجة لذلك.
- أنه يقتل الدجال بباب لد.
- يكثر المال في عهده حتى لا يبقى فقير ، ويرغب الناس في عبادة الله.
- يقع الأمن والسلام بين المخلوقات في الأرض.
- يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون.

وبعد هذه الآيات البينة والدلائل القاطعة في تحديد شخص من سينزل ، وأنه عيسى بن مريم بصفاته المذكورة ، وعلاماته المحددة ، يخرج علينا الميرزا غلام أحمد بن جراغ بي بي ليقول بأنه عيسى بن مريم ؟ وهو يقسم على ذلك بقوله «أقسم بالله الذي أرسلني والذي لا يفتري عليه إلا الملعونون أنه أرسلني وجعلني مسيحاً موعوداً». (ظهير ، القاديانية ، 199).

وقد تسأل -عزيزي الدارس- : هل هذا الغلام من الغباء إلى الحد الذي يدعي فيه أنه عيسى مع أن اسمه غير اسم عيسى وأمه غير أمه ؟

وأقول : لم يكن غلامنا ولا من أوحى إليه بهذه المقولة بهذا المستوى من الغفلة ، فإذا تأملت مقولته السابقة وجدت أنه يقول : «مسيحاً موعوداً» وليس المسيح الموعود ، فهل من فرق في المعنى إذن؟

نعم هنالك فارق أساسي ، وهو أن ادعاء أنه هو المسيح يوجب القول أنه ابن مريم نفسه ، في حين أن التنكير في اللفظ يعم. ولذلك نجده يصرح بقوله: «أنا ما ادعيت بأني أنا المسيح الموعود ، ولا يكون بعدي مسيح آخر ، بل أنا أعتقد ، وأكرر هذا القول ، بأنه من الممكن أن يجيء بعدي لا المسيح الواحد بل عشرات آلاف». (ظهير ، القاديانية ، 200).

هكذا إذن ، وبضربة قلم ، قرر أن هناك عشرات الألوف من نوع المسيح؟ وهذه بدعة لم يسبق إليها. ويبقى السؤال قائماً: وما أدرانا أنك المسيح أو غيره ؟ وما علامات الصدق في هذه المسألة ونحن نعلم أن عيسى عليه السلام عاش في فلسطين ومنها رفع إلى السماء ؟

والجواب سهل عند القادياني ، فباب تأويل النصوص مدخل للخلاص من أية مواجهة واقعة أو متوقعة مع الخصوم ، فلنستمع إذن ولنتأمل في أعاجيب تأويلاته ؟

يقول غلام أحمد: «أنا جعلت مريم وبقيت مريم سنتين ، ثم نفخ فيّ روح عيسى كما نفخ في مريم ، وحبلت بصورة الاستعارة ، وبعد أشهر لم تتجاوز عشرة أشهر حولت عن مريم وصّيرت عيسى ، وبهذا الطريق صرت ابن مريم ».

إذن فهذه هي النشأة العجيبة ، كان مريم فحمل بعيسى ثم أصبح عيسى، وهذا هو وجه الشبه الأول. فماذا عن أرض البعثة بين الاثنين ؟ وما العلاقة بين فلسطين وبلاد قاديان ؟

ههنا ما هو أعجب ، إذ يزعم القادياني أنه حينما غزا الأشوريون بني إسرائيل سنة 721 ق.م وسبوهم إلى العراق ، فرت بعض قبائلهم من الأسر واتجهت نحو الشرق ، وكان من سلالة هؤلاء الفارين

الضالين وأحفادهم الأفغانيون والكشميريون. وقد بعث المسيح عليه السلام إلى هذه القبائل الضالة في القارة الهندية ، وهناك أصبح اسمه (يوزآسف). (زاهدي ، القاديانية ، 43).

هكذا إذن فلم يبعث المسيح في فلسطين وإنما في الهند ، ولمن؟ إنه بعث إلى شعوب الأفغانيين والكشميريين حفدة اليهود !! وهو يمضي في تاويلاته هذه إذ يتاول لفظ (كشمير) ويطوعه قسراً لما يريد، فهو يرى أن لفظ كشمير ينطق بها في اللغة الكشميرية (كشير) ، ويظهر أن هذه الكلمة في الأصل عبرية مركبة من الكاف التي تفيد التشبيه ، و(أشير) التي معناها في العبرية الشام. وعلى هذا فاصل الكلمة (كاشير) أي مثل الشام. (السامرائي ، القاديانية ، 72).

أما وقد تلاعب بلفظ كشمير على النحو المتقدم وأنها تشبه بلاد الشام في هوائها وجمالها ، فلننظر كيف تاول لفظ دمشق والمنارة البيضاء الواردة في علامات نزول عيسى عليه السلام ؟ وهو يعترف بأنه لم يكن قد تنبه لهذا الموضوع حتى زاره صديق له اسمه نورالدين، ونور الدين هذا كان من اتباعه ، وكان يعمل طبيباً في ولاية (جمون) ، وألف كتاباً يدعم فيه غلام أحمد اسمه (تصديق براهين أحمدية) ، وقد نبهه في أثناء الزيارة إلى ضرورة التوجه إلى الله تعالى لفهم معاني دمشق ، ولن تكن ظروفه الصحية حينذاك تحتمل إعمال فكره : وأخيراً اهتدى إلى أن المراد من دمشق قرية توجد فيها جميع خصائص دمشق ، وهذا ينطبق على قاديان ، وليس بلازم أن يكون التشابه تاماً في كل شيء.

وإذا سألنا: فأين المنارة البيضاء التي سينزل عندها المسيح شرقي دمشق ؟ فهذا أمر لم يعجز غلام أحمد كذلك ، فقد شرع القاديانيون ببناء هذه المنارة في قاديان ، بعد ادعائه أنه المسيح باثنتي عشرة سنة، وقد وضع حجر الأساس لهذه المنارة عام 1903 م. واكتمل بناؤها بعد وفاته في حياة نجله بشير الدين محمود. (الندوي ، القادياني والقاديانية 56 - 63).

بل إن القاديانيين قد مضوا إلى أبعد من ذلك ، فبنوا لأنفسهم قرية متميزة لا يدخلها غيرهم ، وقد أسموها (ربوة) ليصدق فيها قول الحق تبارك وتعالى في المسيح وأمه : «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار معين». (سورة المؤمنون 50). (السامرائي ، القاديانية ، 111 ، 112). وإذا خطر ببالك عزيزي الدارس ، أن تسأل عن تاويل غلام أحمد للمهرودتين (الثوبين الأصفرين) اللذين سينزل فيهما عيسى عليه السلام. فاستمع إليه ينبئك ، ولا ينبئك مثل خبير ، فهو يقول: «إن المراد بالرداءين المرضان ، يعني أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسيح يكون مريضاً بمرضين وقت نزوله ، فها أنا مبتلى بمرضين ، مرض البول ومرض دوران الرأس». (ظهير ، القاديانية ، 212، والندوي. القادياني والقاديانية 62 ، 63).

وبعد ، عزيزي الدارس ، فإننا نكتفي بما قد مناه لك من ضروب التاويل وفنونه ، هذا التاويل الذي صيّر عيسى غلام أحمد ، ومريم جراغ بي بي، وبلاد الشام كشمير ، ودمشق قاديان ، وثوبا المسيح الأصفران بول غلام أحمد ودوران رأسه ، وما خفي كان أعظم ، فلا تعجب ولا تعتب ، فإنما العتب على من كان في رأسه حد أدنى من عقل يميز فيه بين المفترقات ، وإذا جاز لصاحبنا الغلام أن يجعل من نفسه شبيه عيسى ويزعم أن ما ورد من معلومات بشأن نزوله جاءت على سبيل الاستعارة، فهل ثمة حرج إذ امضينا على نهجه وقلنا إنه مسيح دجال ، ولكنه ليس المسيح الدجال نفسه ؟!

أما لماذا اختار غلام أحمد شخصية المسيح ليتقمصها ، فجوابه ما قال«إن الله لما وجد المتنصرين يعذبون المسلمين استدعى عنه نائباً ، فأنا النائب الذي أرسلني الله في زمان غلبة التنصر غيرة من عنده ، وإراحة لروح المسيح ، ورأفة بعامة خلقه ، فجئت بأمر الله لأكسر الصليب». وقوله «إن الله القدير قد أبلغني أني مسيح السلالة الإسلامية نفسه». (عوف، القاديانية ، 90). هذا ما القادياني ، أما نحن فلنا قول آخر نكشف عنه في فقرة لاحقة.

2.2.4 مرحلة ادعاء النبوة

بيّنا ، عزيزي الدارس ، دعوى القادياني في أن الإلهام مستمر لا ينقطع ، وأن هذا الإلهام منحة من الله سبحانه وتعالى يكرم بها أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فيحصل لهم بذلك علم يقيني قطعي مشابهاً لعلم الرسول. وقد أودع مقولته هذه في كتابه (براهين أحمدية) الذي بدأ تاليفه عام 1879م. وقرر في كتابه هذا أنه ليست هناك حاجة إلى نبوة جديدة ووحي جديد ، لأنه لا خطر على القرآن وتعاليمه من التحريف ، لقوله تعالى :«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». (سورة الحجر ، 9) (الندوي ، القادياني والقاديانية ، 44 - 47).

لعل هذا ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن غلام أحمد لم يدع النبوة ، فها هو العقاد يقول فيه : «ولم يثبت أنه ادعى النبوة ، وإنما دعواه على قول الأكثرين من أتباعه أنه مجدد القرن الرابع عشر للهجرة. وقد جاء في باب إزالة الأوهام: لا أدعي النبوة وما أنا إلا محدث». وقال في منشور إبريل سنة 1897م : لفتة الله على كل من ادعي النبوة بعد محمد». (العقاد ، الإسلام في القرن العشرين ، 166).

ويرى الدكتور محمد إسماعيل الندوي أن القادياني لم يدع النبوة الحقيقية ، بل كل ما قاله أنه هو المهدي الموعود ثم المسيح الموعود. (عميرة ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ، 289 ، 290).

ووجدنا أكثر الباحثين يثبتون ادعاءه النبوة ، ومن هؤلاء أبو الأعلى المودودي وأبو الحسن الندوي ومحمد إقبال وإحسان إلهي ظهير ، وغيرهم كثير ، وإنما اكتفينا بأسماء من ذكرنا لأنهم من أبناء شبه القارة الهندية التي عششت فيها أفكار القادياني ، وهم على تماسّ مباشر مع القاديانيين.

وأنا أعتقد أن ما ذهب إليه العقاد ومن شايعه في رأيه تنقصه الدقة العلمية ، وهو لا يمثل عقيدة القادياني في أواخر عهده ، وإنما نظروا في ذلك إلى الفترة الأولى التي كان القادياني بحاجة فيها إلى تلميع نفسه لليوم الموعود بادعاء أنه المسيح الموعود ، والنبي من بعد كما سنبينه إن شاء الله.

ولم يكن القادياني وحده فارس الحلبة في دعوى التجديد ، بما في ذلك تجديد النبوة ، فقد لاكها من قبله علم من أعلام الانفتاح على الغرب وحضارته المادية وهو السيد (أحمد خان). وهو أحد معاول الهدم التي عملت مخلصة للتخلص من الإسلام تحت عنوان الإصلاح والتجديد. وقد ألف أحمد خان كتباً عدة منها (حياة محمد) 1870 م و(تفسير القرآن) ما بين 1895 - 1880 م وانتهى فيه إلى سورة الكهف ، و(تفسير الإنجيل)، وقد سماه (تبيان الكلام) سنة 1862 م. وقد أسس جامعة عليكرة التي كان اسمها (الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية) لترويج أفكاره ومنها:

المناداة بإنسانية الأديان بحيث تمحي الفوارق بين الأديان والمذاهب.

- دعواه أن التوراة والانجيل ليسا محرفين ولا مبدلين.
- دعواه أن النبوة يمكن تحصيلها عن طريق الرياضة النفسية ، وهي ميسورة لأي شخص.
- دعواه أن الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم كان بالمعنى وليس باللفظ، وفي هذا إنكار لكون القرآن الكريم كلام الله. (عوف ، القاديانية ، 16 - 18 ، والبهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، 41 - 45).

هكذا فإن حركة أحمد خان الإصلاحية - كما يقولون - كانت قد هيأت الأرض لاستنبات عقائد القاديانية ، وبخاصة فيما يتعلق بالنبوة وتجددها. وطبيعي أن دعوى المسيح الموعود كانت مقدمة منطقية لدعوى القادياني النبوة بدءاً من عام 1900 م. وهذا ما حدا بكاتب سره الشيخ عبدالكريم أن يعلن في خطبة جمعة أن غلام أحمد مرسل من الله ، وأن الإيمان به واجب. ثم عاد وأردفها بخطبة أخرى خاطب فيها الميرزا غلام أحمد قائلاً :«أنا أعتقد أنك نبي ورسول ، فإن كنت مخطئاً نبهني على ذلك». فأقبل الميرزا غلام أحمد عليه قائلاً :«هذا الذي أدين به وأدعيه». وعندما أنكر عليه الشيخ محمد أحسن دعواه هذه قال له :«يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي». (سورة الحجرات، 2). (الندوي ،القادياني والقاديانية ، 68 ـ 69).

وقد أخذ غلام أحمد بعد ذلك يضغط بقوة على قضية استمرار النبوة بعبارات لا تخلو من التوتر، فاستمع إليه وهو يقول : «ما أضعف هذه العقيدة وأعماها أن يعتقد أن باب النبوة والوحي والإلهام أغلق من بعد النبي صلى الله عليه وسلم للأبد ، ولن يأتي بني إلى يوم القيامة» إلى أن يقول :«ملعون ومستنكر ذلك الدين الذي يقول إن رقي الإنسان يتوقف على بعض الأقوال المنقولة وانقطاع الوحي الإلهي ، ولا أمل في استماع الصوت الإلهي ، كل صوت يصل إلى آذانه صوت مشتبه ولا يعرف هل هو صوت شيطاني أو إلهي ، فمثل هذا الدين لا يستحق أن يقال إنه دين الله ، بل أحق أن يقال إنه دين الشيطان». (السامرائي ، القاديانية، 152 ، 153).

وهو ، مع دعواه النبوة ، لا يزعم أنه أتى بشرع جديد ، بل إن نبوته تأتي تحت مظلة رسالة الإسلام ، إنها نبوة ظلية ، وها هو يقول :«إنني لست نبياً أو رسولاً من حيث إني أتيت بشريعة جديدة أو أحمل اسماً جديداً ، بل إنني نبي ورسول باعتبار أني ظل كامل ومرآة تنعكس فيها الصورة المحمدية والنبوة المحمدية بشكلها الكامل». (السامرائي ، القاديانية ، 79).

وقد يتراءى للقادياني أنه يمكنه أن يخدع المسلمين بهذه الحيل المكشوفة ، إنه يحاول أن يسند نفسه من خلال إصراره على أنه يعمل تحت مظلة الإسلام ، دون أن يقدم سنداً لهذا الدين ، فتراه يفلسف الأمور فلسفة لا تنطلي على البسطاء من الناس فهو يقول إن محمداً رسول الله. وهو خاتم النبيين «ولا نبي بعده إلا الذي ألبس رداء المحمدية على سبيل التمثيل أو البروز ، فإن الخادم ليس بمنفصل عن مخدومه ، ولا الفرع بمنصرم عن جذعه ، لذلك كان بكليته فانياً في سيده ، وينال من الله لقب نبي ، ---------- مثلما تكون أنت اثنين إذا نظرت في المرآه ، بل إنما تكون واحداً ، وإن يتراءى لك اثنان بادي الرؤيا ، وليس الفرق ثمة إلا بين الظل والأصل فهكذا تماماً قضت مشيئة الله في المسيح الموعود». (السامرائي ، القاديانية 80).

وهو يزيد الأمر بياناً بتوضيح نبوته الظلية حين يزعم أن كمال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يثبت بدون كمال أمته ، وكمال الأمة وأفضليتها لا يتم دون وجود نماذج بشرية رائدة فيها. ولا يعقل أن تكون هذه الأمة أقل درجة من بني إسرائيل الذين بقيت فيهم النبوة بعد موسى عليه السلام دهوراً طوالاً. وفي هذا يقول :«إن فضل وشأن الأمة المحمدية يمكن في أن يكون فيها أنبياء ورجال يخاطبون الله ويتكلمون معه ، كما يمكن إن يكون فيها الأولياء والشهداء والعلماء لكي تكون هذه الأمة في الواقع خير أمة». (السامرائي ، القاديانية 78).

ولعلك ، عزيزي الدارس ، تدرك معي - بعد متابعتك لمسلسل المزاعم التي أطلقها القادياني - أن سلوكاته لم تكن تحكمها العفوية ، وإنما يسير في مخطط مرسوم برفق وأناة ، خطوة خطوة ، كيلا يستعدي عليه الدهماء قبل العلماء ، أما وأنه يجرغ الناس نظرياته جرعة جرعة ، ويبيعهم بضاعته بالتقسيط المريح ، فلا نظن أن هذا مما يتيسر لعامة الناس اكتشافه ، وإنما الشأن في كشف الاعيب السحرة أن يقذف موسى بعصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ، إنه شأن العلماء أن يبينوا للناس أمر هؤلاء الدجالين المارقين ، فيقذفوا بالحق على باطله فإذا هو زاهق.

وأظنك في الوقت نفسه تدرك أن ادعاء النبوة الظلية لا يلبي طموحات هذا القادياني ، ولا يقنع من يحركه من الخلف ، ولذلك انطلق خطوة أخرى إلى الأمام فأعلن استقلال نبوته دون موارية ، فليس السابق خيراً من اللاحق ، وادعى أن جميع الأنبياء تمثلوا في شخص ، فقال : «لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد وإنني ذلك الرجل». وقال كذلك: «جاء أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدم علي أحد في معرفة الله ، وكل ما أعطي لجميع الأنبياء أعطيت أنا وحدي بأكمله». (ظهير ، القاديانية ، 67).

ومن الطبيعي أن يجاهر القادياني بنبوته هذه وقد عاصر نجاح دعوة الباب والبهاء في إيران تحفّ بهما قوى الاستعمار ، وقد بلغ بهما المستعمرون مراقي النبوة والألوهية معاً ، إنها ليست إرادته التي توجه الأحداث ، بل إنها إرادة أسياده المستعمرين ، فإذا نجحت تجربتهم الأول في إيران ، فما عليهم إلا أن يعيدوا هذه التجربة في الهند.

والآن أدعوك ، عزيزي الدارس ، إلى الوقوف على أدلة القاديانية على استمرار النبوة ، وتأويلهم للأدلة القطعية في ختم النبوة ، وهم لا يختلفون في منطقهم هذا عن منطق البابيين والبهائيين.

وقد استدل القاديانيون على استمرار النبوة بأدلة منها:

1- قوله تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس». (سورة الحج 75) ووجه استدلالهم بهذه الآية الكريمة أن كلمة (يصطفي) وردت بصيغة المضارع الذي يعبر عن الاستمرار والاستقبال.

وجوابنا على ذلك أن التعبير بصيغة المضارع إنما يعبر عن حدث متجدد في الماضي. يقول الندوي : «ان اصطفاء الرسل كان يتجدد ويقع مرة بعد أخرى ، والقرينة الشاهدة بـ (يصطفي) مراد منه الاصطفاء الواقع قبل نزول هذه الآية ، وهي آية (وخاتم النبيين) ». (الندوي ، القاديانية ، 113).

2- قوله تعالى : «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم».(سورةالجمعة2، 3).

قالوا إن المقصود بـ (وآخرين منهم) أنه سوف يبعث رسل آخرون بعد محمد صلى الله عليه وسلم (عوف ، القاديانية ، 64).

ونحن نرى أن حداً أدنى من التأمل في السياق يرينا أن المقصود بهؤلاء الآخرين الأجيال اللاحقة التي تخاطبها رسالة الإسلام التي تنزلت للناس في كل [redacted].

3- قوله تعالى: «يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون». (سورة الأعراف 35).

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة أن لفظ (يأتينكم) جاء بصيغة المضارع المعبرة عن المستقبل ، ثم إن لفظ (رسل) يفيد الجمع.

تدريب (6)

سبق لك ، عزيزي الدارس ، أن وقفت على ردنا على البهائية استدلالهم بالآية الكريمة السابقة الواردة في البند(3) فهل لك بتلخيص ردنا عليهم هنا ، فهو ردنا على القاديانية كذلك.

4- واستدلوا كذلك بحديث نسبوه إلى السيدة عائشة رضي الله عنها ، ونصه : «قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعدي».

ونرد عليهم أن هذه الرواية لا سند لها ولا أساس مطلقاً ، وهي افتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها. وهي منقولة عن كتاب (تكملة مجمع البحار) وعن (الدر المنثور). (ظهير ، القاديانية ، 306 ، عوف القاديانية ، 71).

وقد تأول القاديانية قوله تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (سورة الأحزاب 40) على النحو التالي :

إن المقصود بـ(خاتم) هنا الطابع الذي يمهر الرسالات من بعده ، فلا تصح نبوة إلا ختمها بهذا الخاتم. كما أن كلمة (خاتم) هنا تفيد أنه زينتهم وأفضلهم وليس آخرهم. ولهذا يقول الفادياني إن الله جعل رسول الله خاتم النبيين ، بمعنى أنه أعطاه خاتم إفاضة الكمال مما لم يعطه أحداً سواه ، فلأجل ذلك سمي خاتم النبيين ، أي أن أتباعه يورثون كمالات النبوة ، وأن القوة القدسية التي تصنع الأنبياء لم يعطها لنبي سواه. (عوف ، القاديانية ، 62).

واستميحك ، عزيزي الدارس ، العذر إن علقت الرد على تأويل القاديانية لهذه الآية الكريمة ، فلقد تناولنا الرد تفصيلاً من خلال حديثنا عن ختم النبوة في القسمين الأولين من هذه الوحدة ، فارجع إليه.

أما قوله صلى الله عليه وسلم : «لا نبي بعدي» فقد تأولوه من وجوه أهمها:

أولاً - أنه لا يأتي بعده نبي من غير أمته. وهذا التأويل سبقة إليه متنبيء آخر ظهر في أيام السفاح اسمه إسحاق الأخرس. فقد زعم أن ملكين جاءاه وبشراه بالنبوة فقال لهما : وكيف ذلك وقد أخبر الله تعالى عن سيدنا محمد أنه خاتم النبيين. فقالا له: صدقت ، ولكن الله أراد بذلك أنه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته. (الندوي، القاديانية ، 111).

ثانيا - أن المراد بالنبيين هنا الأنبياء أصحاب الشريعة. أما هو فلم يأت بشريعة جديدة.

والرد عليه أن الحديث الشريف لم يفرق بين نبي مشرع ونبي غير مشرع فقد نفى الحديث الشريف ورود جنس الأنبياء بعده. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن القادياني قد جاء بتشريع جديد أوله نسخ الجهاد كما سنرى بعد قليل.

3,4 فرق القاديانية

انقسمت القاديانية بعد موت مؤسسها إلى طريقتين ، وكان أساس الانقسام النظر إلى شخص الميرزا غلام أحمد ، هل هو نبي أو مصلح مجدد ؟

أما القاديانيون الأصليون فظلوا على ما ذكرنا من النظر إلى غلام أحمد أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ، وهو نبي الله ورسوله ، بل هو أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين. ومن لم يؤمن به فهو كافر. وهذا الجناح يرأسه نورالدين بن غلام أحمد ، فهو خليفته الأول ، ثم جاء بعده أخوه بشير أحمد. ومن أعلامهم محمود أحمد بن غلام أحمد ، ومحمد صادق مفتي القاديانية.

أما الفرقة الثانية فهي اللاهورية التي يتزعمها الخوجة كمال الدين ومولاي محمد علي. وقد تراجع هؤلاء عن الاعتقاد بنبوة غلام أحمد ، وعدوه مصلحاً مجدداً وأن الإلهام الذي يأتيه نابع من علمه وتقواه ، وليس من قبيل الوحي الذي يأتي الأنبياء ، وينفون مجيء الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وما نسبة النبوة إليه إلا من باب الاستعارة ، كما يقال للعنب خمر. ولهذه الفرقة نشاط كبير في أوروبا وأمريكا ، وقد قام محمد علي بترجمة القرآن الكريم ، وترجمته هذه مشهورة ، ولا يعلم كثير من المسلمين الذين يشترون هذه الترجمة أنها تعبر عن العقيدة القاديانية.

ومما يميز اللاهوريين عن القاديانيين الأصليين نظرتهم إلى المسلمين كذلك ، ففي حين ينظر القاديانيون الأصليون إلى المسلمين على أنهم كفار ، ترى اللاهوريين ينظرون إليهم على أنهم فاسقون . ومن الجدير بالذكر أن اللاهوريين يعدون أنفسهم مسلمين ، ويصدرون في دعوتهم من هذا المنطلق ، وما غلام أحمد إلا المسيح الموعود ، وهو مجدد القرن الرابع عشر.

وهذا التذبذب بين الفكر القادياني وعقيدة المسلمين جعل القاديانيين الأصليين يلقبونهم بالمنافقين. (الندوي ، القادياني والقاديانية ، 146).

ويرى الشيخ إحسان إلهي ظهير أن اللاهوريين ما أظهروا هذه العقيدة إلا لخداع المسلمين ، واقتناص من لم يمكن اقتناصه من قبل ، وكان ذلك بتوجيه استعماري وبخاصة عندما رأى الإنجليز أن قول القاديانيين بتكفير المسلمين واعتقادهم بنبوة غلام أحمد قد أضر بالدعوة القاديانية. هذا إضافة إلى أن أموال القاديانيين والمناصب المعتبرة في تلك الحركة كانت تحت تصرف أسرة القادياني ، ينفقونها كيف يشاؤون ، وهذا ما أثر في نفس محمد علي وشريكه الخوجه كمال الدين ، وجعلهما يعدلان عن خط الحركة. (ظهر ، القاديانية 247 - 250).

4- من عقائد القاديانية وتعاليمها

بيّنا لك ، عزيزي الدارس - موقف القاديانية من عقيدة النبوة ، ونزيدك هنا بياناً بذكر بعض عقائدها وتعاليمها الأخرى ، ومنها :

1- الذات الإلهية : ينظر القاديانيون إلى الله سبحانه وتعالى نظرة تختلف عما ورد في القرآن الكريم، فيزعم المتنبي القادياني أن الله قال له «إني أصلي وأصوم ، وأصحو وأنام». وأنه قدم أوراقاً إلى الله سبحانه وتعالى ليوقعها ، ورأى أن الله وقع على الأوراق بحبر أحمر ونفض القلم فسقط منه قطرات على ثوب غلام أحمد وأحد مريديه. بل إنه ينظر إلى الله سبحانه وتعالى نظرته إلى الرجال مكتملي الفحولة ، فهو يذكر أن الله قال له :«أنت من ماثنا وهم من فشل (أي الجبن)». ويروي عنه القاضي يار محمد أنه رأى نفسه كأنه امرأة ، وأن الله أظهر فيه قوته الرجولية. وتجاوز ذلك كله حين زعم أن الله حل فيه وأنه وساطة بينه وبين المخلوقات كلها. (ظهير ، القاديانية ، 97 - 100) ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

2- وحدة الأديان: دعا القادياني في أول أمره إلى عالمية الأديان على غرار دعوة الباب والبهاء. وقد ذكرنا في حينه أن هذه دعوة خبيثة تقبع وراءها الماسونية العالمية التي تهدف إلى إبطال الديانات الإلهية لتتم لها السيطرة على العالم. (عوف ، القاديانية ، 42).

3- نسخ الجهاد : ربما كان أمر الجهاد الباعث الأول على نشأة القاديانية بل إنشائها في القارة الهندية ودعمها من قبل الاستعمار الإنجليزي. وكان ادعاء القادياني أنه المسيح الموعود هو المظهر الديني لإلغاء حكم الجهاد ، ذلك أنه قد تقرر في الأحاديث الشريفة أن عيسى عليه السلام سيضع الحرب بعد نزوله ويرفع الجزية. وهي دعوى يحقق بها القادياني مجداً شخصياً ، ويحقق بها المستعمرون استقراراً آمناً في الهند ، وبخاصة أن بريطانيا أهمها وأقلقها حركة المجاهد الكبير الإمام (أحمد بن عرفان الشهيد) سنه 1842 م ، الذي ألهب روح الجهاد ضد المستعمرين. (البهي ، الفكر الإسلامي الحديث ، ص 48).

لقد أعلن غلام أحمد تحريم الجهاد ، وأن كل من يرفع السيف ويقاتل الكفار باسم الجهاد يكون عاصياً لله ولرسوله. وقال : كل جاهل إذا أعياه الاستدلال أهوى بيده إلى السيف. وادعى أنه لا يغلب الكفار بالعساكر الأرضية ، بل بملائكة السماء ، ولو كانت إرادة الله أن يحارب الكفار لأعطى المسلمين أكثر مما أعطاهم ، بينما نرى أن فنون الحرب كلها أعطيت للكفرة. (السامرائي ، القاديانية، 201) ولهذا فإنه يباهي بأن الله خلع عليه لقب «سلطان القلم» وسمى قلمه «ذو الفقار علي». (مجلة التقوى، 1991 ، ص 37).

ولقد وجدنا سلطان القلم يسخر قلمه لمحاربة الجهاد خدمة لأعداء الله ، وهو يقول إنه ألف في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز ما يملأ خمسين خزانة ، ونشرها في البلاد العربية وتركيا وغيرها من البلاد.

4- علاقتهم بالمسلمين: ذكرنا فيما مضى أن القاديانيين الأصليين يكفرون المسلمين في حين يحكم اللاهوريون بفسقهم. وفي هذا الإطار نهى الميرزا غلام أحمد أتباعه عن الصلاة مع المسلمين ،

وحظر عليهم الصلاة على موتى المسلمين ، ومن هنا امتنع ظفر الله خان القادياني - وزير خارجية باكستان الأسبق - عن الصلاة على محمد علي جناح مؤسس باكستان بعد وفاته. (زاهدي ، القاديانية ، 74 ، 75 ، وظهير ، القاديانية وص 42).

وقد ذكر القادياني أن ربهم غير رب المسلمين ، وإسلامهم غير إسلامهم ، وقرآنهم غير قرآنهم ، وصلاتهم غير صلاتهم ، وصومهم غير صومهم. وهذا كلام واضح الدلالة لا يحتاج إلى تأويل ، ومع ذلك فإن داعيتهم منير الحصني يتأول هذا الكلام قائلاً : إن إمامهم يقصد أن الأحمديين يلتزمون بقراءة القرآن وتعاليم الإسلام أحسن من غيرهم من المسلمين. (عوف ، القاديانية 107 ، 108).

5- الحج : ويكون إلى قاديان في الهند.

5.4 علاقة القاديانية بالاستعمار والصهيونية

ذكرنا في بحثنا عن البابية والبهائية أن روسيا وإنجلترا كانتا وراء ظهورهما ونشأتهما ، ثم رأينا مؤازرة الصهيونية العالمية لهما حتى أصبحت فلسطين مقراً للبهائية.

ولقد واكب ظهور القاديانية ظهور البهائية ، وكانت إنجلترا هي التي وضعت حجر الأساس لهذه الديانة الجديدة في القارة الهندية لتنطلق منها إلى العالم الإسلامي تؤازرها في ذلك الحركة الصهيونية كما سنرى.

1.5.4 علاقة القاديانية بالاستعمار الإنجليزي

أما عن علاقة القاديانية بالإنجليز فيمكن تعرفها من جوانب مختلفة أهمها :

1. ما جاء في تقرير الآباء المبشرين الموجود في مكتبة الدائرة الهندية في لندن ، الذي جاء استجابة لطلب الحكومة الانجليزية سنة 1869م فيما يمكن عمله في الهند لضمان سير الأمور لصالحهم ، ومما ورد في هذا التقرير : «إن الأكثرية من أهم البلاد الهندية يتبعون اتباعاً أعمى شيوخ الطرق الصوفية (Perrs) الذين هم زعماؤهم الروحيون. فإذا ما استطعنا في هذه المرحلة أن نوجد لهم شخصاً مستعداً أن يدعي أنه نبي ظلي فإن أعداداً كبيرة من الشعب سوف تجتمع حوله ، ولكن من الصعب جداً إقناع شخص من عامة المسلمين بهذه المهمة ، فإذا حلت هذه القضية فإن نبوة مثل هذا الشخص يمكن أن تزدهر في ظل رعاية الحكومة. لقد سبق لنا أن سيطرنا على الحكومات الوطنية باتباع سياسة طلب العون من الخونة ، وكان تلك مرحلة أخرى ، لأن الخونة في ذاك الوقت كانوا خونة من الناحية العسكرية ، ولكننا الآن ، وبعد أن سيطرنا على كل بقعة في البلاد ، علينا أن نتخذ تدابير تخلق اضطراباً داخلياً في البلاد».

وهذا هو النص باللغة الإنجليزية

. (Report of Mishionary Fathers)

Majority of the population of the Country blindly follow Peers, their spiritual leaders. If, at this stage, we succeed in finding out some who would be ready to declare himself a Zilli Nabi (apostolic Prophet), then the large number of people shall rally round him. But, for this purpose, it is very difficult to persuade some one from the Muslim masses. If this problem is solved, the patrophethood of such a person can flourish under the parronage of the Government. We have already overpowered the native Governments mainly persuing a policy of seeking help from the traitors, That was a different stage, for at that time the traitors were from the military point of view. But now when we have a way over every nook of the country and there is peace and order every where we aught to undertake measures which might create internal unrest among the country.

(زاهدي ، القاديانية وخطرها على الإسلام ، 30 - 32).

ولعل النص من الوضوح مالايحتاج معه إلى تفسير ، وكفى به دليلاً مقنعاً في كشف السياسة الإنجليزية ومنهجها في التخطيط لتدمير العقيدة الإسلامية عن طريق عملائها وربائبها. وقد وجدوا في غلام أحمد ضالتهم المنشودة فأسرجوا عليه ثم أغاروا على معالم الإسلام.

2- اعتراف القادياني وأتباعه بفضل الانجليز عليهم ، وعمالتهم لهم. ومن المعلوم أن أسرة القادياني كانت معروفة بموالاتها للإنجليز ، وقد وقف أبوه ضد الثورة التي قامت في الهند ضد الإنجليز سنة 1851م ، وأمد الاستعماريين بخمسين جندياً وخمسين فرساً.

وقد كتب القادياني رسالة له بعنوان (ذكر الدولة البريطانية وقيصرة الهند جزاها الله عنا خير الجزاء) يقول القادياني: «واعلموا أيها الإخوان أننا قد نجونا من أيدي الظالمين في ظل دولة هذه الملكة (فيكتوريا) التي نمقنا اسمها في العنوان». إلى أن يقول:«من لم يشكر مثل هذه الحكومة لا يعتبر أنه شاكر لله رب العالمين أيضاً». (عوف القاديانية ، 97 - 99).

وفي وصيته التي كتبها قبل وفاته بسنة ، أي في سنة 1907م قال : «إني أنصح أتباعي الموجودين في البنجاب وفي كل الهند ، والذين يعدون بفضل الله بمئات الآلاف ، أن يذكروا تعاليمي التي بذلتها خلال (26) سنة خطابة وكتابة ، وأن يجعلوها راسخة في رؤوسهم ، وهي إطاعة الدولة الإنجليزية إطاعة تامة ، لأنها محسنة إلينا ، وإن عدد جماعاتنا بلغ بفضل حمايتها إيانا ، في بضع سنين ، مئات الآلاف. وإننا بفضل وجودنا في ظل رعاية هذه الدولة قد سلمنا من أيدي الظالمين». إلى أن يقول: «إن الدولة الإنجليزية لكم رحمة من الله وبركة ، وهي درعكم الواقي ، فقدروا قيمة هذا الدرع بالقلب والروح». (زاهدي ، القاديانية ، 53 - 55).

وفي كتابه (ترياق القلوب) الذي طبع في قاديان سنة 1902 نقرأ في الملحق (3) العنوان التالي (التماس متواضع إلى جناب الحكومة العالية)، وفي هذا الالتماس المتواضع تفسير لحملاته الشديدة على المبشرين المسيحيين ، هذه الحملات التي صيرته علماً في أوساط المسلمين في الهند ، وجعلت العامة يتعلقون به ، إنه يقول في التماسه الموجه للإنجليز :«لما قرأت هذه الكتب والجرائد [التي كتبها المبشرون المسيحيون] خشيت في نفسي أن تؤثر هذه الكلمات في قلوب المسلمين ، وهم قوم سريعو التهييج فيثورون لذلك ... إن من حسن السياسة ، لتخفيف هذا السخط العام ، أن أرد على هذه الكتب والرسالات بشيء من الشدة حتى تنكسر سورة سريعي الغضب من الناس ، حتى لا يحدث شيء يفسد أمن البلاد ... فكل ما وقع مني بإزاء المبشرين المسيحيين لم يدفعني إليه إلا رغبتي في أخذ المسلمين بالحكمة والسياسة ، وأن أدخل السرور على نفوسهم ، وأميت ثورة نفوسهم المتوحشة ، وإنني لأقول وأدعي أنني أكثر المسلمين إخلاصاً ونصحاً للحكومة البريطانية». (الندوي وآخرون ، القاديانية . ص 79 - 81).

وهكذا فإن هذا الغلام قد اتخذ من دفاعه عن الإسلام ستاراً يخفي به مآربه الحاقدة على الإسلام ، إنه يريد إلجام المبشرين حتى لا يهيئوا الفرصة لثورة عارمة يقوم بها المخلصون لهذا الدين ضد التاج البريطاني ، فلم يكن دفاعه عن الإسلام لوجه الله ولا غيرة على هذا الدين ، إنما كان عمله هذا إسهاماً في خدمة أربابه الإنجليز وتأمين أجواء مستقرة لحكمهم البغيض في الهند.

ولم تكن عمالة القادياني بالتي تقتصر على خدمة الإنجليز في الهند وحدها ، بل إنه كان يطمح إلى تأمين بسط نفوذهم على البلاد العربية كذلك ، فها هو يقول : «أنا مهدي ، والحكومة الإنجليزية

سيفي. لماذا لا نفرح بسقوط بغداد على أيدي الإنجليز ؟ تحب أن نرى سيفنا يلمع في العراق والعرب والشام وفي كل مكان». (السامرائي ، القاديانية ، 209).

ويردد ابنه وخليفته محمود مقالته إذ يقول: «إن الجنة تحت ظل ذلك السيف المسلول الذي يسل للدفاع عن الامبراطورية البريطانية. فلقد علمنا إمامنا أن ألم الحكومة البريطانية هو ألمنا» ، ويتباهى بأن الأحمديين أراقوا دماءهم في فتح العراق مع بريطانيا. (عوف ، القاديانية ، ص 101).

ومن الجدير بالذكر أنه ما إن تم فصل باكستان عن الهند ، حتى أوعزت بريطانيا للقاديانيين بالانتقال للعمل في باكستان ، وهناك قريباً من لاهور تمكنوا بدعم الحكومة لهم ، نظراً لوجود ظفر الله خان فيها ، من بناء ضاحية خاصة بهم أسموها (ربوة) من أجل أن يصدق فيهم وفي غلامهم قول الحق تبارك وتعالى :«وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار معين». (سورة المؤمنون 50). ولينطلق القاديانيون منها للعمل لتدمير باكستان نفسها.

3- لقد ذكر الزعيم الهندي غاندي بعد عودته من بريطانيا أنه تعلم من سفره إلى لندن درساً جديداً ، وهو أنه إذا أردنا أن نضعف قوة بريطانيا علينا أن نضعف الجماعة القاديانية. (عوف ، القاديانية ، 101).

4- لقد شيدت القاديانية معبداً لها في ألمانيا أسمته (البناء الأحمدي) ، وقد شارك في افتتاح هذا البناء أحد الوزراء الألمان ، فسألته حكومته: لماذا اشتركت في مناسبة تخص جماعة هم وكلاء للإنجليز؟ وقد نشرت هذا الخبر مجلة الفضل القاديانية في عددها الصادر في أول نوفمبر سنة 1934م . (الندوي وآخرون ، القاديانية ، 86).

5- لقد ألقت الحكومة الأفغانية ، إبان حربها مع الإنجليز ، القبض على مجموعة من الجواسيس من الطائفة القاديانية ، وأعدمتهم ، منهم عبداللطيف القادياني ، والملا عبدالحليم والملا نور علي. وكانت الحكومة الأفغانية قد ضبطت معهم مجموعة من الوثائق التي تثبت أنهم يعملون لحساب الإنجليز من أجل قلب نظام الحكم في أفغانستان ، وذلك عام 1925 م. وفي هذا يقول الخليفة القادياني. : «لو سكت رجالنا في أفغانستان وما أظهروا عقيدتنا في الجهاد لما كان عليهم شيء ولكنهم ما استطاعوا أن يكتملوا حبهم ومودتهم لحكومة بريطانيا التي حملوها من عندنا ، فلذلك لقوا حتفهم». (ظهير ، القاديانية ، 32 ، 33).

2\5.4 علاقة القاديانية بالصهيونية

لقد تزامن ظهور القاديانية مع نشاط القوى الاستعمارية والصهيونية لإسقاط الخلافة الإسلامية ممثلة في الدولة العثمانية ، فمعلوم أن أول مؤتمر عقد للصهيونية العالمية كان في مدينة بال في سويسرا سنة 1897 ، وفيه تم التخطيط لوضع حجر الأساس لقيام دولة إسرائيل.

وقد حدث سنة 1869 أن خرج في أمريكا شخص يدعى ألكسندر دوني ، وادعى أنه النبي إيليا الذي يسبق - حسب قول التوراة - مجيء المسيح الموعود ، وبدأ العمل لتأسيس مدينة هناك تكون نواة للدولة الصهيونية، وجمع فيها نحواً من خمسة آلاف شخص ، ولما كان هذا العمل مما يضر بسياسة إقامة الدولة الصهيونية في فلسطين ، لذا قام اليهود بتأليب غلام أحمد عليه ، حصلت مهاترة بين

الطرفين لم ينهها غير موت دوئي سنة 1907 م أي قبل موت غلام أحمد بسنة. وقد قدر اليهود للقادياني هذا الموقف وتعهدوا بدعمه بعد زيارة قام بها حاكم محافظة كوردا سبور في الهند لقرية قاديان . (زاهدي ، القاديانيـة ، 56 ، 57).

وهناك ، وبإشراف من سياسة الانتداب البريطاني على فلسطين ، أسس القاديانيون مركزاً للتبشير في حيفا سنة 1929م ، وانشئت عام 1934م اول مجلة لهم في الشرق الأوسط باسم (البشرى). وأسسوا لهم مدرسة في قرية (الكبابير) ، وكانت هي المدرسة الوحيدة التي لا تخضع لإشراف جهاز التعليم الحكومي. (طفيل ، القاديانية أقلية غير مسلمة ، 37 ، 38).

ونحن نلحظ اهتمام إسرائيل بهذه الحركة ، إذ تذيع لهم بين الفينة والأخرى أنباء نشاطاتهم . وقد ورد في كتاب (مراكزنا في الخارج) الصادر عن جماعة القاديانية ، وتحت عنوان (المركز الإسرائيلي) ما نصه: «ويمكن للقارئين إن يعرفوا مكانتنا في إسرائيل بأمر بسيط بأن مبلغنا جوهدري محمد شريف حينما أراد الرجوع من إسرائيل إلى باكستان سنة 1956 م أرسل إليه رئيس دولة إسرائيل بأن يزوره قبل مغادرته البلاد ، فاغتنم المبشر هذه الفرصة وقدم إليه القرآن المترجم إلى الألمانية». (ظهير ، القاديانية ، 47 ، 48).

وبهذا ، أرجو عزيزي الدارس ، أن تكون قد وصلت إلى قناعات راسخة فيما يتعلق بهذه الديانات المسخ التي نبزت في عالمنا الإسلامي متخذة من عقيدة المهدي ونزول المسيح عليه السلام مدخلاً للطعن في الإسلام ، بل نسخة صراحة كما تدعي البهائية ، أو ضمناً كما ترى القاديانية في خطها الوسط.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1- كيف تأول القادياني لفظ (دمشق) و(كشمير) ليصدق عليه وصف المسيح؟

2- انكر ثلاثة من الأفكار التي نادى بها أحمد خان في الهند.

3- وضح مفهوم النبوة الظلية كما ادعاها القادياني.

4- كيف تأول القادياني الحديث الشريف (لا نبي بعدي) ؟

5- انكر فرقين رئيسيين بين اللاهوريين والأحمديين الأصليين.

6- ما العلاقة بين دعوى القادياني أنه المسيح الموعود وبين نسخ الجهاد؟

7- بين أربعة مظاهر لعلاقة القاديانية بالإنجليز.

8- ضع دائرة حول رمز الإجابة الصحيحة لكل مما يلي :

1.8- فيما يلي مجموعة من دعاوى القادياني ، فأيها سبقت الأخريات؟

أ- مجدد الإسلام ب- المهدي

ج- المسيح الموعود د- النبي المنتظر

2.8- ركز القادياني في بداية حياته على الرد على المبشرين ، وذلك بهدف:

أ- بيان زيف معتقداتهم ب- الدفاع عن الإسلام

جـ- امتصاص نعمة المسلمين ضد المبشرين والإنجليز

د- القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3.8- ادعى القادياني أن الله تعالى اختاره ليكون المسيح الموعود لما يلي:

أ- غيرة من الله سبحانه وتعالى على الحق

ب- إراحة لروح المسيح عليه السلام

جـ- الرأفة بعامة الخلق (د- جميع ما ذكر صحيح)

4.8- ورد في الأحاديث الشريفة أن المسيح عليه السلام سينزل متدثراً بـ (مهرودتين). وقد فسر القادياني هذا اللفظ (مهرودتين) بـ:

أ- الثوبين الأصفرين (ب- مرضين جعلاه أصفر الشكل)

جـ- الحلم والتقوى د- العدل في الأرض والدعوة إلى السلام.

5.8- نشأت القاديانية في أواخر القرن :

أ - السادس عشر ب- السابع عشر

جـ- الثامن عشر (د- التاسع عشر)

5- الخلاصة

تبين لك ، عزيزي الدارس ، في هذه الوحدة موقف الإسلام من ختم النبوة ، مدعماً بالأدلة النقلية والعقلية. وهي أدلة محكمة لا تقبل التأويل والتعديل فضلاً عن العدول عنها ، وقد أصبحت هذه المسألة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة. وقلنا إنه لا يقدح في ختم النبوة نزول عيسى عليه السلام في آخر الدهر ، فهو إنما ينزل مبكتاً لقومه ، ناسخاً لما ابتدعوه من شرائع ، عاملاً بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد بينا أن عقيدة المسيح الموعود - وهي عقيدة إسلامية ثابتة بالنصوص الشرعية الصحيحة - قد اتخذت مباءة لانتحال ديانات جديدة كالبابية والبهائية والقاديانية ، فقد دخل مؤسسوها صرح الإسلام ثم أفلتوا منه ، متذرعين بأن الله تعالى أكرم من أن يذر عباده دون فيض إلهي مستمر ، وذلك بإرسال الرسل بين فترة وأخرى ، فحبل الرسالات لا ينقطع ، والإسلام ليس آخر الرسالات ، وراحوا يتأولون كل النصوص الشرعية التي تقطع بختم النبوة والرسالة بما يوافق أهواءهم.

فتأولوا قوله تعالى (وخاتم النبيين) على معنى أنه زينتهم أو طابعهم الذي تختم به الرسالات اللاحقة ، وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم (لا نبي بعدي) علي معنى أنه لا نبي بعده من غير أمته ، أما من أمته فلا بأس، بل إن كمال رسالة الإسلام وكمال أمة الإسلام لا يتمان دون مجيء أنبياء جدد ، فليست أمة الإسلام بأقل شأنا من أمة بني إسرائيل الذين بعث الله تعالى فيهم عشرات الأنبياء بعد موسى عليه السلام.

ولقد تبين لنا كذلك أن هذه الديانات المصطنعة كانت تحركها أيادي الاستعمار ، ففي الهند كان

الاستعمار الإنجليزي الذي كان وراء ظهور القاديانية ، وفي إيران كان الاستعمار الروسي والإنجليزي اللذين توليا بعث البابية والبهائية وحضانتهما والترويج لهما في أرض العروبة والإسلام. وقد قامت الصهيونية العالمية بمؤازرة هذه الحركات ، وكان الباعث الرئيسي لإنشاء هذه الديانات وتبنيها هو القضاء على ذروة سنام الإسلام. وهو الجهاد ، وتفتيت الأمة الإسلامية الواحدة إلى أمم متنافرة متناصرة. ولم يستطع المستعمر القضاء على روح الأمة الجهادية وجهاً لوجه. فقرر ضرب الأمة من داخلها حين أخرج بعض ربائبه وعملائه وأقنعهم بتبني عقيدة المسيح الموعود ، وبخاصة أن الظروف التي كانت تعيشها بعض البلدان الإسلامية كانت مهيأة لقبول مثل هذه الدعوة ، وفي الأخذ بها تحقيق لأهداف شتى منها إلغاء الجهاد ، لما ثبت أن عيسى عليه السلام سيضع الحرب ، ومنها تفتيت الأمة كما ذكرنا ، وتمكين للمستعمر أن ينعم بالراحة والأمان في بلاد الإسلام.

6- لمحة سريعة عن الوحدة الدراسية الثالثة

أما وقد فرغت عزيزي الدارس ، من دراستك في هذه الوحدة عن الركن الرابع من أركان العقيدة الإسلامية ، وهو الإيمان بالرسل ، فإنني أدعوك للتهيؤ لاستقبال الوحدة التالية وهي الثالثة من هذا المقرر المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر ، لتتعرف مفهومه وأسماءه وأدلة الإيمان به، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى ، والحياة البرزخية ، وما يلي ذلك من بعث وحشر وشفاعة وحساب وجنة ونار ، إضافة إلى بيان آثار الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم ، لتكون على بينة من أمور دينك ومستلزمات عقيدتك.

7- أوراق التدريبات

تدريب (1) ✗ (58)

وجه الحاجة إلى ختم النبوة:

1- إن الاعتقاد بختم النبوة يتسق مع بلوغ البشرية مرحلة النضج والرشد ، والراشد يمكن أن يسير في حياته في ضوء ما تأصل لديه من معالم الهدى الذي أملته ورسمته الديانة الخاتمة ، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

2- ضرورة اعتماد الإنسان على نفسه في تحصيل المعرفة ، فلا يبقى رهناً بمقود يقاد منه.

3- إن القول بختم النبوة يبعث في الإنسان روح الطموح والتقدم واستغلال المواهب في اكتشاف الوجود.

4- إن القول بختم النبوة يبعث في الإنسان الثقة بالنفس والانطلاق للمستقبل. ويقطع الطريق على المتنبئين الذين يطلعون علينا بين فترة وأخرى.

تدريب (2)

المقصود بالظهور الأعظم شخص بهاء الله نفسه باعتباره رسولاً ، أما ظهوره السابق فيقصد به ظهور الباب (علي الشيرازي) باعتباره رسولاً سابقاً له.

تدريب (3)

يقصد أسلمنت بعباراته هذه أن عبدالبهاء يتمتع بشفافية في روحه وشخصه تجعله قادراً على إيصال رسالة أبيه (بهاء الله) إلى قلوب مستمعيه ، والتأثير في نفوسهم ، فهو كالمرآة تعكس شمس الهداية البهائية التي تفيض بأنوارها عليه ، وعلى هذا فليس للأتباع أن يغلو في تقديس عبدالبهاء فيصوروهُ نبياً أو مصدراً للهداية كما كان البهاء.

تدريب (4)

السر في اختيار الاستعماريين لعقيدة نزول المسيح عليه السلام وإقناع البهاء بتقمصها هو أن المسيح عليه السلام سيضع الحرب إثر نزوله ، وهذا يعني نسخ الجهاد وحلول السلام على الأرض ، وهذا يحقق لهم إقامة مستقرة آمنة في ديار المسلمين وإخماد أي حركة مناهضة لهم.

تدريب (5)

مظاهر الدعم الإنجليزي للبهائيين:

1. ان السفارة الإنجليزية في بغداد عرضت عليه الجنسية الإنجليزية بعد نفيه إليها ، كما عرضت عليه السفر إلى الهند ليستأنف دعته هناك.
2. ان البهائيين أعربوا عن سرورهم باحتلال الإنجليز لحيفا سنه 1918م.
3. إن الحكومة الإنجيزية منحت البهاء لقب (فارس).
4. إن الحكومة الإنجليزية أعفت ممتلكات البهائيين من الضرائب.
5. أن البهاء وابنه كانا يدعوان الناس لطاعة الإنجليز وشكرهم والدعاء لهم.

تدريب (6)

يمكن تلخيص الرد على القاديانية كما يلي:

1- إن لفظ (رسل) يقصد به الرسل من لدن آدم عليه السلام مطلقاً ، وهذا الإطلاق قد قيد بقوله تعالى :«ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين». وعليه فإن قوله تعالى «يأتينكم» يفيد الاستقبال الذي يبتدئ برسالة آدم عليه السلام وينتهي برسالة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليهوسلم.

2- وغير بعيد أن يقصد بـ (رسل) محمداً صلى الله عليه وسلم ، لأنه تعالى أجرى الكلام على ما تقتضيه سنته في الأمم.

الأحمدية: اسم عرفت به القاديانية المنسوبة إلى غلام أحمد المولود في قاديان سنة 1839 أو سنة 1840م ، ويعتقدون أن غلام أحمد نبي مرسل وهو المسيح الموعود والمهدي المنتظر.

الأزليون : هم أتباع يحيى بن علي المازندراني ، وهو أخو البهاء. وقد لقبه البهاء (صبح أزل) ، وعهد إليه الباب من بعده ، وهم ينكرون استئثار البهاء بقيادة البابية وإعلانه أنه صاحب رسالة ناسخة لرسالة الباب.

أيادي أمر الله : هم هيئة من كبار البهائيين المعنيين بشؤون الديانة البهائية ونشرها في العالم ، ويرأسهم شخص يلقب بـ (ولي أمر الله).

الباب: لقب تعارفت عليه فرق الشيعة الباطنية كالنصيرية والإسماعيلية والدروز ، وقد اتخذه علي بن محمد الشيرازي لقباً له ، مدعياً أنه الباب إلى المهدي المنتظر ، أو باب العلم الإلهي ، أو الباب إلى من يظهره الله.

بهاء الله: لقب أطلقته قرة العين على الميرزا حسين بن علي المازندراني، وهو وصف يوحي بفكرة حلول الله في شخص المازندراني.

بيت العدل: هو اسم يطلق على الهيئة العليا المسؤولة عن شؤون البهائيين في العالم. وهنالك فروع لهذه الهيئة في مختلف المدير التي يوجد فيها البهائيون.

حروف الحي: لقب أطلقه الباب على الأشخاص الثمانية عشر الذين كانوا أول من آمن به ، وتسميتهم بذلك جاءت وفقاً لحساب الجمل الذي يجعل الحرف (ح) مساوياً للعدد (8) ، والحرف (ي) مساوياً للعدد (10).

حساب الجمل: نمط من الحساب كان متعارفاً عليه بين اليهود ، وبمقتضاه ترتب حروف اللغة العربية ترتيباً أبجدياً (ا ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع .....). ثم يجعلون الحرف (ا) معادلاً للعدد (1) والحرف (ب) معادلاً للعدد (2) والحرف (ح = 3) و (د = 4) وهكذا حتى (ي = 10) ، ثم تضاعف الأرقام من بعد ، فالحرف (ك= 20) ، والحرف (ل= 40) ، والحرف (م= 80) وهكذا إلى آخر الحروف. وهكذا فإن كلمة (حي= 18).

السماوية: فرقة من فرق البهائية تنسب إلى شخص إيراني اسمه (جمشيد ماني) ولقب نفسه سماء الله ، وادعى النبوة.

الشيخية: فرقة من فرق الصوفية الباطنية ، أسسها الشيخ أحمد الإحساني وتؤمن بالحلول ، وأن المهدي سابح في عالم الروح ويوشك أن يظهر ، ومن هؤلاء خرج الباب وكان أكثر البابيين.

قرة العين: لقب خلعه كاظم الرشتي على امرأة اسمها (زرين تاج بنت الملا محمد صالح القزويني) ، تركت زوجها وأولادها وآمنت بالباب ثم بالبهاء ودعت إلى نسخ شريعة الإسلام وإلى سفور المرأة.

اللاهوريون: فرقة من فرق القاديانية يقولون إن الميرزا غلام أحمد القادياني ليس نبياً وإنما هو مصلح، وهو المسيح الموعود الذي أخبرت عنه الديانات.

المسيح: لقب عرف به نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ، وسمي بذلك لأنه يمسح الأرض في

قول ، وفي قول آخر لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ ، وقيل لمسح زكريا إياه.

المسيح الدجال: اسم لشخص يظهر في آخر الزمان ، وسمي مسيحاً لأنه أعور وعينه كأنها عنبة طافية، وسمي دجالاً لأنه كذاب يتقن التمويه على الناس لما يأتي به من أمور باهرة ، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله.

المهدي: لقب لرجل من آل البيت يظهر قبل نزول عيسى عليه السلام ، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، واسمه محمد بن عبدالله كما ورد ذكره في بعض الأحاديث.

9- المراجع

1- أردكاني ، عزيز الله سليماني ، نبذة عن الدين البهائي. ترجمة لبيب شهيد ، 1971 .

2- أسلمنت ، جون. بهاء الله والعصر الجديد. ط١. بيروت ، مؤسسة دار الريحاني ، 1972 .

3- أسود العميد عبدالرزاق محمد. المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب. المجلد الثالث. ط3. بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، 1981 .

4- إقبال ، محمد. تجديد التفكير الديني في الإسلام. ط2. القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمه والنشر ، 1968.

5- الألوسي ، محمود شكري .تفسير روح المعاني (د.ت)

6- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل . صحيح البخادي.

7- بنت الشاطىء ، عائشة عبدالرحمن .قراءة في وثائق البهائية. ط1 ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، 1986.

8- اليهي ، محمد .الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. ط5 .بيروت ، دار الفكر ، 1970

9- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ، زاد المسير في علم التفسير. ط1 .بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1964 .

10- الحياني ، ضاري محمد .البهائية حقيقتها وأهدافها. بغداد ، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع ، 1989.

11- ابن خالويه ، الحجة في القراءات السبع. ط2 .بيروت ، دار الشروق ، 1977.

12- الخطيب ، محمد وآخرون ، دراسات عن البهائية والبابية. ط2. بيروت ، المكتب الإسلامي ، 1977.

13- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، المقدمة. بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (د.ت).

14- الرازي ، أبو عبدالله محمد بن عمر .التفسير الكبير .ط2 .بيروت .دار الكتب العلمية. (د.ت) .

15- زاهدي ، مصباح الدين. القاديانية وخطرها على الإسلام. مؤسسة الرسالة ، 1991.

16- أبو زرعة ، عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة .حجة القراءات .ط2 .بيرو ، مؤسسة الرسالة ، 1979.

17- السامرائي ، عبدالله سلوم .القاديانيه والاستعمار الانجليزي. بغداد، دار واسط (د.ت).

18- سلطان ، محمد هشام. العقيدة والفكر الإسلامي .ط1 .الرباط ، دار الأمان ، 1987.

19- طفيل ، محمد .القاديانية أقلية غير مسلمة طباعة ستانسل. (د.ت)

20- ظهير ، إحسان إلهي. البهائية ، نقد وتحليل. ط2 . باكستان ، لاهور، إدارة ترجمان السنة ، 1981.

21- ظهير ، إحسان إلهي. القاديانية ، دراسات وتحليل ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ، 1984.

22- عبدالحميد ، محسن. حقيقة البابية والبهائية. ط1 ، منشورات المكتب الإسلامي ، 1969 .

23- عبده ، محمد . رسالة التوحيد .ط17 .القاهرة ، مكتبة القاهرة ، 1960

24- العقاد ، عباس محمود .الإسلام في القرن العشرين .ط2 .بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1969.

25- عميرة ، عبدالرحمن .المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها .ط5 .الرياض ، دار اللواء ، 1984.

26- عوف ، أحمد محمد .القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام .القاهرة ، دار النهضة العربية، 1969.

27- الغزالي ، محمد .فقه السيرة ، ط5 .القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، 1965.

28- القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. بيروت ، مؤسسة مناهل العرفان. (د.ت)

29- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم. القاهرة ، دار إحياء التراث العربي.(د.ت).

30- الكشميري ، محمد أنور شاه . التصريح بما تواتر في نزول المسيح، باكستان ، مجلس تحفظ ختم نبوة ،(د.ت).

31- آل محمد ، أحمد حمدي ، التبيان والبرهان ط3 ، بيروت ، مطبعة البيان ، 1962 .

32- المحفل البهائي ، صفحة النور .ط3 . الحبشة ، أديس أبابا ، 1977.

33- مسلم ، ابن الحجاج بن مسلم القشيري. صحيح مسلم.

34- منصور ، علي علي ، البهائية في نظر الشريعة والقانون .ط2 . بيروت ، المكتب الإسلامي.

35- الندوي ، أبو الحسن علي الحسني. القادياني والقاديانية - دراسة وتحليل - ط4. جدة ، الدار السعودية للنشر ، 1971 .

36- الندوي ، أبو الحسن علي الحسني ، المودودي ، أبو الأعلى. القاديانية، مكة المكرمة رابطة العالم الإسلامي(د.ت)

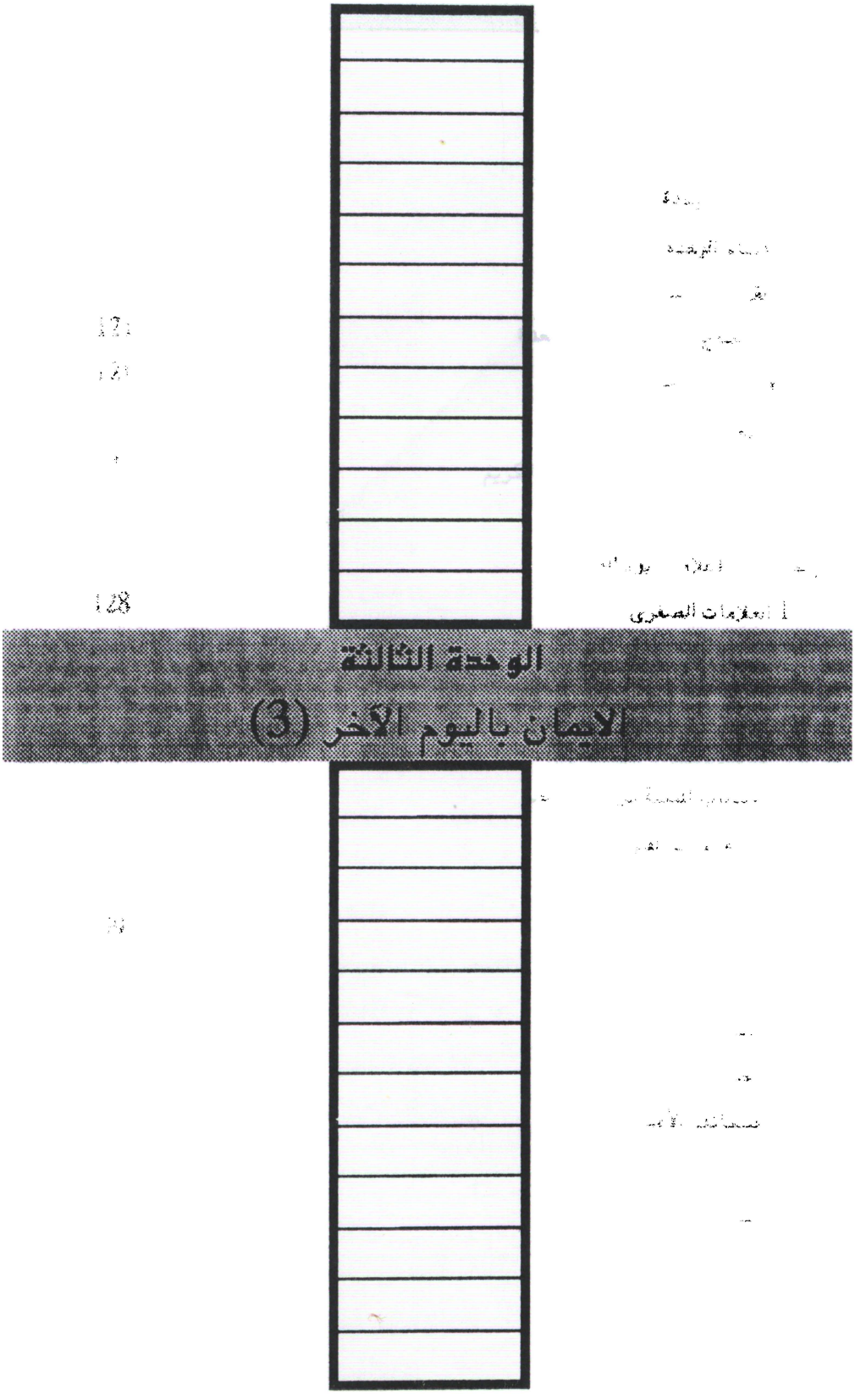
الوحدة الثالثة
الايمان باليوم الآخر (3)

محتويات الوحدة

1. المقدمة	119
1.1 تمهيد	119
2.1 أهداف الوحدة	120
3.1 أقسام الوحدة	120
4.1 القراءات المساعدة	120
5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة	121
2. مفهوم اليوم الآخر وأدلته:	121
1.2 مفهوم اليوم الآخر	121
2.2 أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم	122
3.2 أدلة الإيمان باليوم الآخر	125
3. أشراط الساعة (علامات يوم القيامة)	127
1.3 العلامات الصغرى	128
2.3 العلامات الكبرى	131
4. عذاب القبر ونعيمه	140
1.4 أسباب عذاب القبر	151
2.4 الأسباب المنجية من عذاب القبر	152
3.4 أنواع عذاب القبر ونعيمه	155
5. حقائق اليوم الآخر	155
1.5 البعث	159
2.5 الحشر	160
3.5 الشفاعة	163
4.5 الحساب	167
5.5 صحائف الأعمال	170
6.5 الميزان	171
7.5 الصراط	172
8.5 الحوض	175
9.5 الجنة	177
10.5 النار	179

6. اثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم 184
7. الخلاصة 185
8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية الرابعة 186
9. إجابات التدريبات 186
10. مسرد المصطلحات 189
11. المراجع 190

1.1 تمهيد

أخي الدارس ، أختي الدارسة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

هذه هي الوحدة الثالثة من مقرر العقيدة الإسلامية (2) برنامج التربية/ تخصص التربية الإسلامية. وموضوع هذه الوحدة هو (الإيمان باليوم الآخر) ، وقد إعتمدنا في كتابة هذه الوحدة على المصادر الأصلية ، ويأتي في مقدمتها القرآن الكريم والحديث الشريف ، كما إعتمدنا على مصادر قديمة وحديثة كتبها علماء مسلمون من القدامى والمحدثين ، معروفون بعلمهم وفضلهم.

ولم تتضمن هذه الوحدة إلا ما ثبت صحته ، معتمدين في ذلك على أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، خاصة من أحاديث البخاري ومسلم. وكنا حريصين عند كتابة هذه الوحدة على الربط بين عقيدة المسلم وإيمانه باليوم الآخر بما يتضمنه من أحداث وتفاصيل ، وذلك لأهمية هذا الركن في حياة المسلم.

تتكون هذه الوحدة من خمسة أجزاء رئيسية ، ويهتم الجزء الأول بـ (مفهوم اليوم الآخر وأدلته) فيبين مفهومه وأسماءه وأدلة الإيمان باليوم الآخر.ويتحدث الجزء الثاني عن (أشراط الساعة) بقسميها الصغرى والكبرى بحيث يبين بشيء من التفصيل بعض هذه العلامات وعلاقتها باليوم الآخر. بينما يعالج الجزء الثالث موضوعاً مهماً من أحداث اليوم الآخر وهو (عذاب القبر ونعيمه) وأدلته من القرآن والسنة.

ويختص الجزء الرابع لشرح أحداث اليوم الآخر بكل تفاصيله ، فيتحدث عن (حقائق اليوم الآخر) من بعث وحشر وشفاعة وحساب وصحائف الأعمال والميزان والحوض والصراط ثم الجنة والنار. أما الجزء الأخير فيبين (أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم).

ترد في ثنايا هذه الوحدة تدريبات متعددة يقصد بها استثارة الدافعية للتعلم أثناء قراءة الوحدة. وقد حرصنا على أن تكون التدريبات ذات طبيعة متباينة ، فبعض التدريبات موضوعية وبعضها الآخر مقالية. ويمكنك أن تجيب عن بعضها إذا ما قرأت الوحدة قراءة متأنية ، بينما تطالبك تدريبات أخرى بالرجوع إلى مصادر أخرى ، أي أنك لا تجد الإجابة عنها في ثنايا الوحدة. عليك بمناقشة الإجابات لهذه التدريبات مع مشرفك الأكاديمي.

أما أسئلة التقويم الذاتي فعليك الإجابة عنها من خلال رجوعك إلى النص نفسه. هذا وتجد في نهاية هذه الوحدة خلاصة لها ، وإجابات التدريبات ، وقائمة بالمراجع.

أهلاً بك مرة أخرى إلى هذه الوحدة ، ونرجو أن تستمتع بدراستها ، وأن تستفيد منها ، وفي حالة وجود أية استفسارات لا تتوان عن الإتصال بمشرفك الأكاديمي ، أتمنى لك دوام التقدم والنجاح.

2.1 أهداف الوحدة

أخي الدارس:

بعد الإنتهاء من دراسة وحدة (الإيمان باليوم الآخر) وحل تدريباتها ينبغي أن تكون قادراً على أن:

1- تعّرف مفهوم اليوم الآخر وموقعه بين أركان الإيمان.

2- تذكر أسماء اليوم الآخر. ومدلولاتها.

3- تبين أدلة الإيمان باليوم الآخر.

4- تقارن بين علامات الساعة الكبرى والصغرى.

5- تعرف تفاصيل وأدلة علامات الساعة.

6- تذكر أدلة عذاب القبر ونعيمه.

7- تربط بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

8- تذكر أحداث اليوم الآخر بالترتيب.

9- تلخص أهمية الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم.

3.1 أقسام الوحدة

تتكون هذه الوحدة كما أشرنا سابقا من خمسة أقسام رئيسة هي :

1- مفهوم اليوم الآخر وأدلته.

2- أشراط الساعة (علامات يوم القيامة).

3- عذاب القبر ونعيمه.

4- حقائق اليوم الآخر (البعث ، الحشر ....)

5- أثر الإيمان باليوم الاخر في حياة المسلم.

ويتخلل النص في كل قسم تدريب واحد أو أكثر ، ويرد في نهاية كل قسم أسئلة للتقويم الذاتي. ويؤمل أن تؤدي دراسة هذه الوحدة إلى تحقيق أهداف معرفية محددة يبلغ عددها عشرة. ويسهم كل قسم من الأقسام في تحقيق أهداف معينة. فدراسة القسم الأول يحقق الأهداف (1-3) ، ودراسة القسم الثاني: (أشراط الساعة) يحقق الأهداف (4-5) ، ودراسة القسم الثالث يحقق الأهداف (6-7)، أما دراسة القسم الرابع فيحقق الهدف (8) ، والقسم الخاص والأخير يحقق الهدف (9).

4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس : أنت تدرك يقيناً أن ما يتضمنه النص الوارد في هذه الوحدة لا يتضمن تفاصيل أحداث اليوم الاخر. فدراسة تفاصيل هذا اليوم العظيم تتطلب منك أن تبذل جهداً أضافياً. لذا فإنني أنصحك بالقراءات التالية:

1- أحمد عصام الكاتب. عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ، بيروت: دار الآفاق الجديدة.(437 - 530) ، (559 - 688).

2- أشرف بن عبدالمقصود.الحياة البرزخية ، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي ، 1988م.(9 - 91).

5.1 ما تحتاج إليه في دراسة الوحدة

يتطلب حل بعض التدريبات الرجوع إلى القرآن الكريم. لذا فإنك تحتاج أخي الدارس إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم والمصحف الشريف. كما يجدر بك أن تتقصى الأحاديث المتعلقة باليوم الآخر والموجودة في كتب الحديث ، وهذا يتطلب أن يكون لديك أحد كتب الحديث مثل صحيح البخاري مع شرحه المسمى بـ (فتح الباري) لإبن حجر ، أو صحيح مسلم مع شرحه المسمى بـ (شرح مسلم)للإمام النووي.

2- مفهوم اليوم الآخر وأدلته

1.2. مفهوم اليوم الآخر

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، الإيمان باليوم الآخر ، ركن مهم من أركان العقيدة الإسلامية ، وهو مرتبط بالإيمان بالله تعالى ، لأن من مقتضى الإيمان بالله الإيمان بعدله سبحانه ، ومن مقتضيات العدل أن تكون حياة أخرى يكون فيها الجزاء بعد الحساب.

واليوم الآخر يبدأ بفناء عالمنا هذا ، فيموت كل من فيه من الأحياء ، وتتبدل الأرض والسموات، ثم ينشىء الله النشاة الأخرى ، فيبعث الله الناس جميعاً ، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى ، وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر، فمن غلب خيره شره أدخله الله الجنة ، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار.

والله سبحانه قد أخبرنا في كتابه العزيز ما أعد في هذا اليوم من نعيم للمحسنين ، وما أعد فيه من عذاب للمسيئين ، فالارتباط واضح إذن بين حياتنا الدنيا التي نعيش فيها وحياتنا الأخرى ، "ولما كان الارتباط بين حياتنا هذه وحياتنا الأخرى وثيقاً ، إذ كانت هذه الحياة بمثابة الحرث والزرع ، وكانت تلك بمثابة الجني ولاحصاد ، كان لا بد للإنسان من أن يعلم عن حياته الآخرة ما يدعو للاستعداد لها ، وإقامة حياة الدنيا على النمط الذي يحقق له في الآخرة خيراً وفضلاً". (الأشقر: 1986 ، 7/9).

ومن الواضح أن ظروف الحياة الدنيا التي نحياها قد تسمح أن يتمكن المجرم من قتل المحسن ، وظلمه وتعذيبه والعدوان عليه ، ومع ذلك فقد لا ينال المجرم أي عقاب على فعله ؟! إذن فلولا وجود الحياة الآخرة ، لكانت النتيجة مساواة المجرم بالمحسن ، بل وجعل المجرم ينال أكثر مما نال المحسن.

«وهذا يتنافى مع أصول العدل والحكمة الإلهية ، ولذلك فهو مرفوض عقلاً ، ولما كان هذا الاحتمال مرفوض عقلاً ، فإن الإحتمال المقابل له وهو وجود الحياة الأخرى ، التي يتحقق فيها التمييز

بين المسلمين والمجرمين». (جنكة الميداني : 1979 ، ص 624).

وقد بين رب العزة هذه الحقيقة الواضحة بقوله: "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون". (الجاثية : 21).

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، إن مفهوم اليوم الآخر في العقيدة الإسلامية ينبهنا على حقيقة مهمة ، وهي أن خلق الإنسان لم يكن عبثاً ولهواً ، «فلو لم يكن وراء هذه الحياة التي تنتهي بالموت حياة أخرى ، تكون فيها لارجعة إلى الله للحساب والجزاء ، وإقامة محكمة العدل ، لكانت عملية الخلق ضرباً من العبث!؟ والله تبارك وتعالى منزه عنه ، فلا يكون في شيء من أفعاله وأحكامه ، وأوامره ونواهيه وشرئعه عبث ، بل لابد في كل ذلك من غايات حكيمة ، تحددها إرادة الخالق المستندة إلى علمه المحيط بكل شيء» (الميداني؛ 1979 ، ص 623).

وقد نبه القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله: «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم» (المؤمنون: 116).

ولما كات الحياة الأخرى غيباً لا يستطيع أصحاب العقول السليمة معرفة حقائقها ولا إختراق أسرارها «فإن الله تولى إخبارهم عن مسارهم في رحلتهم بعد الحياة ، وعن مصيرهم المحتوم ، ومزج الحديث عن الحياة الأخرى بالحديث عن هذه الحياة مزجاً يجعلهما متداخلتين ، تحقيقاً لإصلاح النفوس وتقويمها» (الأشقر : 1986 ، 7/1).

أخي الطالب وأختي الطالبة ، إذن مفهوم اليوم الآخر يقوم على أن الإيمان بالله تعالى يقتضي الإيمان باليوم الآخر ، لأننا نصدق جميع ما أخبرنا به تعالى ، ولقد بين الله حقيقة الحياة الثانية بعد الموت ، وأنها حياة الحساب والجزاء ، وإقامة العدل الرباني في الخلائق ، وأنها حياة خالدة. فالمسلم يؤمن بكل التفاصيل الثابتة والمتعلقة باليوم الآخر ، ولا ينكر شيئاً منها ومن حقائقها الصحيحة الثابتة ، فلا يزيد عليها شيئاً ولا ينقص منها شيئاً ، لأنها من أمور الغيب التي لا يستطيع العقل البشري أن يعرف عنها أية صورة.

2.2 أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، إهتم القرآن الكريم إهتماماً بالغاً باليوم الاخر ، ويبدو هذا الإهتمام في كثرة ذكر القرآن الكريم لهذا اليوم العظيم ، فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه ، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان ، وتارج بضرب الأمثال .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنه وضع لهذه اليوم أسماء كثيرة ، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم.

وسنذكر هنا أشهر هذه الأسماء ، مع تعريف كل اسم تعريفاً مختصراً:

(1) يوم القيامة: ورد هذا الإسم في سبعين آية من آيات القرآن الكريم ، كقوله تعالى «الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه» (النساء: 87). «والقيامة في اللغة مصدر (قام يقوم) ....

* وسميت بذلك لما يقوم فيها من الأمور العظام التي بينتها النصوص. ومن ذلك قيام الناس لرب العالمين». (الأشقر: 1988، 20/2).

2) اليوم الآخر: كقوله تعالى «ذلك يُوعظُ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر» (البقرة: 232). وأحياناً يسميه بالآخرة أو الدار الآخرة، مثل قوله تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» (القصص: 83)، «وسمي ذلك اليوم باليوم الآخر، لأنه اليوم الذي لا يوم بعده» (الأشقر: 1988، 21/2).

3) يوم البعث: مثل قوله تعالى «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث» (الروم: 56). «وسمي بهذا الإسم لأن فيه البعث إلى الحياة بعد الموت» (الميداني: 1979، ص 628).

4) الساعة: كقوله تعالى «يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم» (الحج: 10). يقول القرطبي في سبب تسميه هذا الإسم «وسميت به إما لقربها لأن كل آتٍ قريب، وقيل إنما سميت بالساعة لأنها تاتي بغتة في ساعة» (القرطبي: ص 215).

5) يوم الخروج: مثل قوله تعالى «يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج» (ق: 42). وسمي به لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم عندما ينفخ في الصور، يقول القرطبي عن هذا الإسم «فأوله خروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار، ثم لا خروج ولا دخول» (القرطبي: 217).

6) القارعة: قال تعالى: «القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة» القارعة: 1-3). وسبب هذه التسمية «أخذاً مما يجري فيها من قرع شديد، والقرع: هو الضرب الذي يحصل فيه صوت شديد، وسميت بالقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها» (الميداني: 1979، ص 629).

7) يوم الفصل: قال تعالى «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» (الصافات: 21)، وسمي بذلك لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون» (الأشقر: 1988: 23/2).

8) يوم الدين: قال تعالى «مالك يوم الدين» (الفاتحة: 3)، «والدين في لغة العرب: الجزاء والحساب -. وسمي بذلك لأن الله يجزي العباد ويحاسبهم في ذلك اليوم» (الأشقر 2: 1986، ص 23).

9) الصاخة: قال تعالى «فإذا جاءت الصاخة» (عبس: 33) ويقول إبن كثير في سبب هذه التسمية «الصاخة يعني صيحة يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تصخُ الأسماع، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها» (إبن كثير: 8 ص 348).

10) الطامة: قال تعالى «فإذا جاءت الطامة الكبرى» (النازعات: 34). «قال إبن عباس: سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع». (إبن كثير: 8 ص 340).

11) يوم الحسرة: قال تعالى «وأنذرهم يوم الحسرة» (مريم: 39)، وتسمي بذلك «لأن فيه حسرة الكافرين والعصاة على ما فرّطوا في جنب الله» (الميداني: 1979، ص 628).

12) الغاشية: قال تعالى «هل أتاك حديث الغاشية» (الغاشية: 1)، وسميت بذلك «لأنها تغشى الناس بأفزاعها وتغمهم» (الأشقر 1988، 25/2).

13) يوم الخلود: قال تعالى «أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود» (ق: 34). وسمي بذلك «لأن الحياة في

هذا اليوم للمكلفين في الدنيا حياة خالدة أبدية» (الميداني : 1979 ، ص 628).

14) يوم الحساب: قال تعالى «إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» (غافر: 27)، وسمي بذلك لأن الله يحاسب فيه عباده على أعمالهم في الحياة الدنيا.

15) الواقعة: قال تعالى «إذا وقعت الواقعة» (الواقعة :11) ، يقول إبن كثير في سبب هذه التسمية «سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها... وليس لوقوعها - إذا أراد الله - صارف يصرفها ، ولا دافع يدفعها» (إبن كثير : 7 ص 488).

16) يوم الوعيد: قال تعالى «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد» (ق: 20) وسمي بذلك «لأن فيه تحقيق وعيد الله للكافرين» (الميداني : 1979 ، ص 628).

17) يوم الأزفة: قال تعالى «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» (المؤمن : 18) ، «سميت بذلك لإقترابها ، والساعة قريبة جداً، وكل آت فهو قريب وإن بعد مداه» (الأشقر: 1988 ، 27/2).

18) يوم الجمع: قال تعالى «وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه» (الشورى : 7) ، سميت بذلك لأن الله يجمع فيه الناس جميعاً.

19) الحاقة: قال تعالى «الحاقة ، ما الحاقة» (الحاقة: 1 ، 2) ، سميت بذلك كما يقول إبن كثير «لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد» (إبن كثير:235/8) ، ويقول الشيخ الميداني عن سبب هذه التسمية «لأنها تحق كل مجادل ومخاصم في دين الله بالباطل ، أي : تغلبه» (الميداني:1979 ، ص 629).

20) يوم التلاق: قال تعالى «رفيع الدرجات ذو العرش يُلقي الروح من أمره على ما من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق» (غافر: 15) : وينقل إبن كثير أسباب هذه التسمية «أنه يلتقي فيه آدم وآخر ولده ، أو : ويلتقي فيه العباد ، أو : ويلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخلق ولاخالق... أو : أنه يشمل هذا كله ، فكل عامل سيلقى ما عمل من ضر وشر» (إبن كثير: 7 /125).

21) يوم التناد: قال تعالى «ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (غافر:32) سمي بذلك ، لكثرة ما يحصل من نداء في ذلك اليوم ، فكل إنسان يدعى باسمه للحساب والجزاء ، وأصحاب الجنة ينادون أصحاب النار ، وأصحاب النار ينادون أصحاب الجنة ، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء» (الأشقر: ، 28).

22) يوم التغابن: قال تعالى «يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن» (التغابن: 9) ، «سمي بذلك لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار ، إذ يدخل هؤلاء الجنة ، فيأخذون ما أعد الله لهم» (الأشقر 1988 ، 29/2). يقال غبنه في البيع ، أي غلبه ونقصه.

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، هذه هي أشهر اسماء يوم القيامة ، وقد أورد بعض العلماء أسماء أخرى ، وهذه الأسماء أخذوها من الأوصاف التي وصف الله بها ذلك اليوم ، ومن جملة ذلك: يوم عسير ، ويوم عظيم ، ويوم عبوس قمطرير، ويوم عقيم. ومن الأسماء أيضاً التي ذكرت: يوم المآب ، يوم العرض ، يوم الخافضة الرافعة ، يوم القصاص ، يوم الجزاء ، يوم النفخة ، يوم الزلزلة ، يوم الراجفة، يوم الناقور ، يوم الندامة ، يوم الفرار.

ويرجع القرطبي سر كثرة أسماء هذا اليوم إلى عظم شان هذا اليوم فيقول: «وكل ما عظم شانه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ... ألا ترى أن السيف لما عظم عند العرب وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة إسم ، فالقيامة لما عظم أمرها ، وكثرت أهوالها ، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة» (القرطبي : 214).

ونستطيع من خلال الأسماء التي ذكرناها نتصور بعض ما يجري في ذلك اليوم العظيم ، من خلال مدلولات أسمائه الواردة في القرآن الكريم، بالإضافة إلى الصور الأخرى التي أوضحها القرآن وأبرز عظمتها وجلالها ، وما في عذابها من هول كبير ، وما في نعيمها من فيض ، ولا تخفى هذه الصور على المتدبر لكتاب الله ، والمتأمل في مرامي آياته البينات.

ومن أجل أن تتعرف أكثر على معاني أسماء القيامة ومدلولاتها ، قم أخي الطالب بهذا النشاط

نشاط (1)

إرجع إلى كتاب (مشاهد القيامة في القرآن الكريم) للأستاذ سيد قطب ، الذي يوجد فيه تحليل رائع لمشاهد القيامة في هذا اليوم.

3.2 أدلة الإيمان باليوم الآخر

أخي الدارس : إن الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان لذا فقد إرتبط بالإيمان بالله عز وجل في كثير من آيات القرآن الكريم ، وسبب ذلك إن هذا اليوم بعيد عن مألوف الإنسان وتصوراته، من حيث ما ينتظر الإنسان إذ ذاك من العذاب المذهل الذي لا يكاد يتصوره الخيال ، أو النعيم الخالد الذي ينطوي على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومن حيث إنه اليوم الذي يقف فيه هذا الإنسان ذليلاً مهاناً ضعيفاً بين يدي خالقه يكلمه ويحاسبه ويسأله عن النقير والقطمير وعن كل صغير وكبير ... وهو أعظم الأركان لأن عليه مدار وجود الإنسان كله ، فحياته اليوم مع ما فيها من كدح ورزق وسعي وعقل وشهوات وأهواء كل ذلك تمهيد وتهييئ لملاقاة خالقه في هذا اليوم (البوطي: 1402 ، ص 340).

فمن أجل أهمية هذا الحدث العظيم من هذه النواحي كلها ، ظل القرآن يخبر الإنسان عنه وينذره في تأكيد متوال لا ينقطع ، وهذا التأكيد يدل بلا شك على أهمية هذا اليوم وأثره في حياة المسلم ، ولعل ضبط الأعمال الإنسانية في الحياة الدنيا هو أبرز شيء في أهمية اليوم الآخر، «فالإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان ، ذلك أن الإيمان به، وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب، وثواب وفوز ، وخسران له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل ، وشتان بين إثنين: أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله ، ولا يقيده غير مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتيه ، وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين فيثاب على الخير ، ويعاقب على الشر. فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته ، والغاية عنده تسوّغ أية وسيلة ، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح».

(ياسين : 1982 ، ص 74 ، 76 / ومبارك: 1975 ، ص 157)

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل لصالح ، في كثير من الأحيان ... وفكرة رعاية الآخرة والاستعداد للحساب والجزاء ، تقترن في القرآن مع كل أمر أو نهي ، ومع كل حكم من أحكام الشريعة ، وكل توجيه أخلاقي ، من ذلك قوله تعالى «أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين» (الماعون: 1-3) ، وقوله تعالى «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» (التوبة: 18) ، وقوله تعالى «والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون» (التوبة:92).

ومن أجل أن تستزيد من الأدلة الدالة على ربط كل حكم من أحكام الشريعة وكل توجيه أخلاقي باليوم الآخر ، بادر أخي الطالب إلى حل التدريب التالي:

تدريب (1)

إرجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وإستخرج آيتين من القرآن الكريم: الأولى: تبشر الذين يكنزون الذهب بعذاب جهنم ، والثانية: تنهى عن التطفيف في المكيال وتربطه بعذاب يوم القيامه.

أخي الدارس ، أختي الدارسة: لعلك بعد المقدمة السابقة استطعت أن تدرك أهمية اليوم الآخر في عقيدة المسلم ، فالإيمان بهذا اليوم يهذب النفس الإنسانية ويجعلها تدرك أن الحياة الدنيا دار زوال، وأن الفائز من استطاع أن يعمل في حياته الأولى ليجد أثر ذلك في حياته الثانية الخالدة ، ولأهمية هذا اليوم فقد إستدل العلماء على وجود هذا اليوم بالعديد من الأدلة ، وقسموها إلى عقلية وأخرى نقلية.

✳ أما الأدلة العقلية فهي كثيرة منها:

1- إن الإيمان باليوم الآخر تحقيق لأثار صفة من صفات الله تعالى وهي صفة (العدل) ، التي تستدعي أن لا يسوي الله بين المحسنين والمسيئين ، ولا بين المسلمين والمجرمين.

2- إن ملاحظة ما يتمتع به الإنسان المدرك المريد ، ذو الغرائز والأهواء والشهوات ، "والتي تستطيع أن توجهه إلى فعل الخير والطاعة ، أو فعل الشر والمعصية ، توصلنا إلى نتيجة هي : أن الإنسان خلق في هذه الحياة الدنيا للإمتحان ، والإمتحان يستلزم الجزاء" (الميداني: 1979 ، ص 622).

3- لو لم يكن وراء هذه الحياة التي تنتهي بالموت حياة أخرى ، تكون فيها الرجعة إلى الله للحساب والجزاء ، لكانت عملية الخلق ضرباً من العبث!؟ والله تبارك وتعالى منزه عنه ، فلا يكون في شي من أفعاله وأحكامه ، وأوامره ونواهيه وشرائعه عبث ، بل لا بد في كل ذلك من غايات حكيمة ، تحددها إرادة الخالق المستندة إلى علمه المحيط بكل شيء" (الميداني: 1979 ، ص 623).

4- بعد أن ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وصلته عن طريق الوحي بالله ، خالق الكون والمهيمن عليه ، بعد أن ثبت ذلك بالأدلة التي قبلها العقل ، «لم يعد بعد ذلك مجال للتردد في قبول ما يأتي عن طريق النبوة ، ومما أجمع على الإخبار به جميع الأنبياء وجود حياة أخرى ، بعد هذه الحياة ، يكون فيها الحساب والجزاء والنعيم أو العذاب ، أو السعادة أو الشقاء ، ويكفي هذا الطريق لإذعان العقل وتصديقه بهذه الحقيقة الكبرى» (مبارك : 1975 ، ص 149).

والأدلة النقلية كثيرة أيضاً منها:

1- قوله تعالى «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم» (سورة المؤمنون 115 - 116).

2- قوله تعالى

«أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، مالكم كيف تحكمون» (سورة التعليم 35 ، 36)

3- قوله تعالى «أم حسب الذين إجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون». (سورة الجاثية 21).

4- قوله تعالى: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مني يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل الزوجين الذكر والانثى ، أليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى». (سورة القيامة 36 - 40).

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1- وضح باختصار مفهوم اليوم الآخر في العقيدة الإسلامية ، مع ذكر الأدلة.

2- أذكر إسمين من أسماء يوم القيامة ، ثم بين سبب هذه التسمية مع ذكر الدليل من القرآن الكريم.

3- ما معنى القارعة ، وما سبب تسمية يوم القيامة بهذا الإسم.

4- أذكر ثلاثة أدلة من القرآن الكريم تدل على الإيمان باليوم الآخر؟

٢- أشراط الساعة (علامات يوم القيامة)

مقدمة

أخي الدارس ، أختي الدارسة: الساعة من أسماء يوم القيامة ، وحيث إن الحياة الآخرة لا تكون إلا بعد إنتهاء الحياة الدنيا ، فقد جاء التعبير القرآني عن وقت إنهاء هذه الحياة الدنيا بلفظ (الساعة) ، أي الزمن المحدد في علم الله لإنهاء نظامها ، قال الله تعالى «إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى» (طه: 15).

وهنا قد يسأل سائل بعد أن تقرر قرب وقوعها: متى الساعة؟ والجواب عن ذلك: هو أن موعد هذا الحدث وزمنه والوقت الذي يكون فيه ، قد أخفاه الله عن الناس كلهم بما فيهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فليس لأحد من سبيل إلى معرفة ما بقى من عمر الدنيا ، وقد أخفاه الله عن خلقه كحكمة يعلمها ، يقول تعالى :«يسألونك عن الساعة أيانَ مرساها ، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها: لا هو ، ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (الأعراف : 187).

أخواني الدارسين: وعلى الرغم من إخفاء وقت الساعة ، لكن الله تعالى بين في كتابه المنزل ، وعن طريق نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن الساعة قريبة ، وآن أوانها ، يقول تعالى «إقتربت الساعة

وإنشق القمر» (القمر: 1) ، وإنشقاق القمر إحدى الامارات الداله على قرب وقوعها ، ولما كانت الساعه قد إقتربت قرباً عظيماً ، فإن القرآن يصور أنها أتت وحضرت وقربت جداً ، يقول تعالى «يسالك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً» (الأحزاب 63).

وإذا كان الله تعالى قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده ، فإنه أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها. وقد سمى القرآن الكريم هذه الأمارات بأشراط الساعة ، قال تعالى «فهل ينظرون إلا الساعة أن تاتيهم بغتة فقد جاء أشراطها» (محمد : 18). وفي فتح الباري «المراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة» (فتح الباري : 79/13).

وهذه الأشراط التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديه ، قسمها العلماء إلى قسمين : علامات صغرى ، وعلامات كبرى ، «والعلامات الصغرى يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم وقع، وقسم لم يقع بعد. والذي وقع قد يكون مضى وإنقطع ، وقد يكون ظهوره ليس مرة واحدة ، بل يبدو شيئاً فشيئاً ، وقد يتكرر وقوعه وحصوله ، وقد يقع منه في المستقبل أكثر مما وقع في الماضي» (الأشقر : 1986 ، 136/1) أما العلامات الكبرى فهي التي تكون بين يدي الساعة ، وفيها دليل على بداية التبديل والتغيير في أنظمة هذا الكون.

3.1 العلامات الصغرى

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث العديد من العلامات الكبرى والصغرى، وكتب الحديث مليئة بهذه الأحاديث ، وإليك أخي الطالب أمثلة لبعض العلامات الصغرى:

1- بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن سهل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويشير بأصبعيه فمدهما (فتح الباري 292/11)، وفي حديث أخرجه مسلم عن قتادة عن أنس بن مالك قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعين كهاتين - يعني السبابة والوسطى - كفضل إحداهما على الأخرى» (مسلم بشرح النووي 89/18). وأشار عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث ، إلى قلة المدة بينه وبين الساعة.

2- تمني الموت: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن إبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه» (فتح الباري 63/13) قال ابن حجر في تفسيره لهذا الحديث: أن هذا يكون «عند ظهور الفتن ، إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر ، وليس هذا عاماً في حق كل أحد ، وإنما هو خاص بأهل الخير ، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه ، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه». (فتح الباري : 63/13).

3- رفع العلم وظهور الجهل : ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم ، وينزل فيها الجهل ويكثر الهرج ، والهرج : القتل» (فتح الباري 14/13) وقد فسره إبن حجر بقوله «معناه أن العلم يرتفع بموت العلماء ، فكلما مات عالم ينقص العلم بالنسبة إلى فقد حامله ، وينشأ عن ذلك الجهل بما كان ذلك

العالم ينفرد به عن بقية العلماء» (فتح الباري : 14/13). وهذا التفسير يؤيده ما أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقو: «إن الله لا ينزع العل بعد أن أعطاهموه إنتزاعاً ، ولكن ينتزعه فيهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يُستفتون فينفتون برأيهم فيُضلون ويضلون» (فتح الباري : 242/13).

4- تقارب الزمان: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله وسلم قال : «يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلقي الشُح وتظهر الفتن ويكثر الهرج ، قالوا : يا رسول الله أيهم هو؟ قال: القتل القتل» (فتح الباري 11/13).

والمراد من تقارب الزمان نزع البركة من الوقت ، لكثرة الذنوب والمعاصي ، والمراد من الشُح : البخل وعدم البذل في سبيل الله.

5- كثرة النساء وقلة الرجال: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه ، ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون إمرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء» (فتح الباري : 219/3).

«وسببه أن الفتن تكثر ، فيكثر القتل في الرجال ، لأنهم أهل الحرب ، دون النساء» (الكاتب : 1983 ، ص ، 45).

6- ولادة الأمة ربتها وتطاول الحفاة العراة : ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان ؟ - حتى قال - : متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، وساخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البُهم في البنيان. في خمس لا يعلمهن إلا الله (فتح الباري:99/1-101).

وأخرج البخاري في رواية أخرى «إذا ولدت المرأة ربتها فذلك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس ، فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله»/ (فتح الباري : 417/8).

أما معنى ولادة الأمة ولادة الأمة ربها ، أو ربتها ، فهناك عدة تفسيرات لهذا النص ، وأقربه إلى الأذهان :«أن يكثر العقوق في الأولاد ، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته ، من الإهانة بالسب والضرب والإستخدام ، فأطلق عليها «ربها» مجازاً لذلك ... ومحصل ذلك الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند إنعكاس الأمور ، بحيث يصير المربي مُرَبياً ، والسافل عالياً ، وهو مناسب لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس». (الكاتب : 1983 ، ص 459).

وأما قوله صلى الله عليه وسلم "إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان" إن تفاخروا في تطويل البنيان وتكاثروا به .... ووصف الرعاة مبالغة في وصفهم بالجهل ، أي لم يستعملوا أسماعهم ولا أبصارهم في الشيء من أمر دينهم ، وإن كانت حواسهم سليمة. وقوله «رؤوس الناس» أي ملوك الأرض .... قال القرطبي: والمقصود الإخبار عن تبدل الحال ، بأن يستولي أهل البادية على الأمر،

ويتملكو البلاد بالقهر ، فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به». (فتح الباري: 101/1).

7- إتباع الأمم الأخرى: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع» فقيل: يا رسول الله : كفارس والروم؟ فقلا :"ومن الناس إلا أولئك".

وفي حديث آخر أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً ذراعاً ، حتي لو دخلوا جُحر ضَب تبعتموهم» قلنا : يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"؟! (فتح الباري : 256/13).

وفي هذين الحديثين دليل وتمثيل "للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه ... وجوابه صلى الله عليه وسلم أنهم فارس والروم واليهود والنصارى كان :"بحسب المقام ، فحيث قال فارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية. وحيث قال اليهود والنصارى، كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها" (فتح الباري:256/13 ، 257).

8- إضافة الأمانة بتوسيد الأمر إلي غير أهله: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم ، جاءه أعرابي فقال : متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث ، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه ، قال :"أين أراه السائل عن الساعة" قال : ها أنا يا رسول الله ، قال: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" ، قال: كيف إضاعتها ، قال: "إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (فتح الباري : 117/1).

يقول إبن حجر في تعليقه على ما أشار إليه الحديث "إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم" (فتح الباري : 117/1).

9- ذهاب الصالحين: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن قيس عن مرداس الأسلمي قال : قال النبي صلى الله عليه سلم "يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقى حفالة - أي حثالة - كحفالة الشعير أو التمر ، لا يباليهم الله باله" (فتح الباري 210/11).

«والحفالة : بمعنى الحثالة ، وهو الردئ من كل شيء ... وقوله "لا يباليهم الله باله" : أي لا يرفع لهم قدراً ، ولا يقيم لهم وزناً» (فتح الباري 211/11).

10- إنحسار الفرات عن كنز من ذهب: ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوشك الفرات أن ينحسر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً» (فتح الباري 68/13). والذي يظهر من الحديث «أن النهي عن أخذه ، لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه ..... وقد أخرج مسلم هذا الحديث من طرق أخرى عن أبي هريرة بلفظ «يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، فيقتل عليه الناس ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو» فوضح أن السبب في النهي عن الأخذ منه ، ما يترتب على طلب الأخذ منه من الإقتتال" (فتح الباري 69668/13).

أخي الدارس ، أختي الدارسة هذه نماذج وأمثلة من العلامات الصغرى التي أخبرنا بها النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهذه الأمثلة نجد الكثير منها قد وقع ، نرى آثارها في أمورنا وأحوالنا ، وهذا بلاشك يثبت الإيمان ويقويه في نفوسنا ، لأننا بذلك يزداد يقيننا بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بلغ به عن ربه عز وجل.

وإخباره صلى الله عليه وسلم بالغيبيات التي ستقع ، هي بالإضافة إلى تقوية الإيمان ، توجيه للذين جاءوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يخفى عليهم وجه الحق فيها.

وقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام كذلك بالعلامات الكبرى المؤذنة بنهاية الكون ، وإليك أخي الطالب هذه العلامات بالترتيب ، وكما جاءت في القرآن والسنة:

نشاط (2)

إرجع إلى كتابي فتح الباري شرح صحيح البخاري لإبن حجر العسقلاني، وشرح مسلم للنووي، واستخرج بعض العلامات الصغرى من كتاب (الفتن) في كل من الكتابين.

2.3. العلامات الكبرى

هناك علامات كبرى أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم تدل على قرب قيام الساعة ، فإذا ظهرت كانت الساعة على إثرها ، ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه ، فاطلع إلينا فقال: "ما تذكرون" ، قلنا: الساعة ، قال:"إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، والدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس..... ونزول عيسى بن مريم" (مسلم بشرح النووي: 28/18).

ومما يذكر في هذا المقام -إخواني الطلبة- أن "الآيات الكبرى متتابعة في وقوعها ، لا يكاد يفصل بينها فاصل زمني ، وهي تشبه في تتابعها إذا وقعت ، العقد إذا انقطع سلكه الذي ينتظم حباته، فإن الحبة الأولى تسقط فتتبعها بقية الحبات بلا تأخير" (الأشقر : 1986 ، 217/1).

ومراد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن هذه الأحداث تقع متتابعة متوالية.

فالمسلمون في ذلك الزمان يشتبكون مع الروم في معركة كبرى ، هي التي سماها الرسول صلى الله عليه وسلم بـ (الملحمة) ، وبعد انتصارهم عليهم يفتحون روما ، ثم يخرج الدجال. وبعد خروج الدجال ينزل عيسى عليه السلام ويقتل الدجال ، ثم يخرج قوم (يأجوج ومأجوج) في زمن عيسى عليه السلام ، ويهلكهم الله في زمنه ، والترتيب إلى هنا واضح ظاهر.

وإليك أخي الدارس ترتيباً وشرحاً للعلامات الكبرى كما جاءت في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

2.3.1- ظهور الدجال : فتنة الدجال تقع في آخر الزمان ، وهي أحد أشراط الساعة الكبرى ، وفتنه من أعظم الفتن التي تمر على البشرية عبر تاريخها ، ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين قول

النبي صلى الله عليه وسلم "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال" (شرح مسلم للنووي 86/18).

«والدجال لقب له ، لقب به ، لشدة تدجيله وكذبه ، ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل ، وهو رجل يهودي الأصل ، من جهة المشرق ، يدّعي بين الناس الصلاح والإستقامة ، ثم إنه يدّعي الألوهية ويتبعه فيما يدعو الناس إليه خلق كثير معظمهم من اليهود» (البوطي: 1402هـ ، ص 318).

"وقبيل خروج الدجال يكون للمسلمين شأن كبير ، وقوة عظيمة ، ويبدو أن خروجه إنما هو للقضاء على تلك القوة" (الأشقر 1986 ، 226/1).

ولقد فاضت بالأحاديث المتعلقة به جميع كتب الحديث ، تحذيراً وإخباراً ووصفاً ، ولننقل لك - أخي الطالب - بعض هذه الأحاديث.

(أ) سبب تسميته بالمسيح الدجال:

سمي بالمسيح لعدة أسباب ذكرها العلماء منها:

1) انه سمي بالمسيح ، لأنه ممسوح العين ، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدجال ممسوح العين" (شرح مسلم للنووي : 60/18).

2) وقيل لأنه يمسح الأرض ، أي يقطعها في المدة القليلة ، أو يطوفها كلها إلا مكة والمدينة. ففي الحديث الذي رواه مسلم "قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ، قال: كالغيث استدبرته الريح" (شرح مسلم للنووي: 66/88).

3) وقيل لأنه يدعي: أنه المسيح المنتظر الذي ينتظره اليهود والنصارى، ولهذا فإن الشاب المؤمن الذي يتحدى الدجال على أبواب المدينة يقول له "أنت المسيح الكذاب" (شرح مسلم للنووي : 73/18).

ولهذا فقد سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (مسيح الضلالة) تفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام الذي هو (مسيح الهدى).

وقد حكى إبن حجر مبالغة القاضي إبن العربي الذي قال: "ضل قوم فرووه (المسيخ) ... ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى بن مريم" (فتح الباري : 79/13).

والحقيقة أن هذه التسمية صحيحة وذلك «لأنه مسخ في الهيئة ... ومسخ في الفكر ... ومسخ في الذوق ... ومسخ في السلوك» (داود : 1991 ، ص 14).

أخي الدارس ، أختي الدارسة

(ب) صفات الدجال: وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال وصفاً دقيقاً من أجل تحذير المسلم من خطره خوف الوقوع في فتنته ، وهذا يفسر لنا سبب كثرة تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من فتنته وخوفه على أمته منه حتى أن الصحابة ظنوا أن الدجال في نخل المدينة من كثرة ما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من فتنته وتدجيله كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة منخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوف مني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم

فامرؤ جحيح نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطط عينه طافئة ... " (شرح مسلم للنووي : 63/18-65).

ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاً آخر كما جاء في الحديث : "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماء ، قلت: ما هذا؟ قالوا: هذا إبن مريم. ثم ذهبت ألتفت ، فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية ، قلت : من هذا ؟ قالوا الدجال ..." (شرح مسلم للنووي : 237/2).

ومن خلال هذين الحديثين يتبين لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفه بعدة أوصاف وهي:

1) أنه شديد جعودة الشعر.

2) أنه في عمر الشباب ، فهو ليس كهلاً.

3) أنه رجل ضخم الجثة لقوله صلى الله عليه وسلم (جسيم).

4) أن لون بشرته يميل إلى الحمرة ، فهو أبيض يشرب بالحمرة.

5) ذكرت بعض الأحاديث التي رواها أحمد في مسنده: أن من صفاته كذلك: أنه قصير القامة ، وأفحج، أي به فحج ، وهي طريقة في المشي معروفة ، يسببها عيب في الخلقة.

6) عور العين : ففي الحديث الذي رواه مسلم "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس ، فقال: إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافئة" (شرح مسلم للنووي: 59/18).

وورد في حديث آخر أخرجه مسلم أنه أعور العين اليسرى "الدجال أعور العين اليسرى" (شرح مسلم للنووي : 61/18)

وفي رواية أخرى أخرجها مسلم أيضاً يقول عليه الصلاة والسلام «وإن الدجال مسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» (شرح مسلم للنووي : 61/18).

وقد جمع القاضي عياض بين هذه الروايات فقال : "تكون المطموسة والممسوحة هي العوراء الطافئة ، أي التي ذهب ضوئها ، وهي العين اليمنى ... وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب ، وكأنها نخاعة في حائط هي الطافية ، وهي العين اليسرى ... وعلى هذا فهوا عور العين اليمنى واليسرى معاً ، فكل واحدة منها عوراء ، أي معيبة ، فإن الأعور من كل شيء : المعيب ، وكلا عيني الدجال معيبة ، فإحداهما : معيبة بذهاب ضوئها ، حتى ذهب إدراكها ، والأخرى : بنتوئها» (القرطبي : 664).

ويعلق القرطبي على ذكر هذه الأوصاف من قبل نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام فيقول : «وصف النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وصفاً لم يبق معه لذي لب إشكال ، وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذي حاسة سليمة ، لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والفباوة... فقوله عليه الصلاة والسلام : "أنه أعور وأن الله ليس بأعور" تنبيه للعقول القاصرة أوالغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه ، لم يصلح أن يكون إلهاً لعجزه" (القرطبي : 663).

(ج) خوارق الدجال

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، لقد عرفنا في الفقرة السابقة صفات الدجال ، وتبين لنا أن الدجال صاحب فتنة كبيرة ، وسبب فتنته ما يكون بين يديه من خوارق العادات التي تجعل الناس تفتتن به وتقول بألوهيته ، ولهذا فقد نهى عليه الصلاة والسلام من إتيان الدجال خوفاً من الفتنة ، وقد بين عليه الصلاة أيضاً أن الناس. من أجل أن لا يلقوا الدجال خوفاً من فتنته يفرون إلى الجبال ، ففي حديث أم شريك «أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ليفرن الناس من الدجال في الجبال ، قالت أم شريك : يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل» (شرح مسلم للنووي: 86/18).

وفي حديث أبي داود الذي أخرجه عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه» (أخرجه أبو داود في يسننه ج 4 ص 116 حديث رقم 4319)

ولكن إن اضطر المؤمن إلى ملاقاته فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ففي الحديث الذي رواه مسلم بن النواس بن سمعان يقول عليه الصلاة «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف» (شرح مسلم للنووي: 65/18).

(1) وقد يقال : لم كانت قراءة فواتح سورة الكهف أماناً من الدجال؟ «قال بعضهم : لأن الله أخبر في طليعة هذه السورة أن الله أمّن أولئك الفتية من الجبار الطاغية الذي يريد إهلاكهم ، فناسب أن من قرأ هذه الآيات وحاله كحالهم أن ينجيه كما أنجاهم.

(2) وقيل : لأن في أولها من العجائب والآيات التي تثبت قلب من قرأها بحيث لا يفتن بالدجال ، ولا يستغرب ما جاء به الدجال ، ولم يلهه ذلك ، ولم يؤثر فيه» (الأشقر: 1986 ، 247/1).

ومما يعصم المسلم من الدجال أن يلجأ إلى أحد الحرمين الشريفين مكة أو المدينة المنورة ، فإن الدجال محرم عليه دخولهما ، فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج الله كل كافر ومنافق». (فتح الباري : 76/4).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: لعلك بعد هذا التقديم تستشعر خطر الدجال على الأمة من كثرة ما يقع على يديه من خوارق ، منها ما يكون إستدراجاً من الله ، ومنها ما يكون بمساعدة من الشياطين، فما هي هذه الخوارق التي تجعل الناس يلتفون حول الدجال ؟

1- جنة الدجال وناره ففي حديث حذيفة الذي رواه مسلم : «معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار» (شرح مسلم للنووي: 61/18). وفي رواية أخرى عن حذيفة رواها مسلم «لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان ، أحدهما رأي العين ماء أبيض ، والآخر رأي العين نار تاجج ، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد» (شرح مسلم للنووي: 61/18).

يقول إبن حجر جامعاً بين هذه الروايات : «وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ، فإما أن يكون الدجال ساحراً ، فيخيل الشيئ بصورة عكسية ، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يسخرها الدجال ناراً ، وباطن النار جنة ، وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة ، وعن المحنة والنقمة بالنار ، فمن أطاعه فانعم عليه بجنته يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة ، وبالعكس» (فتح الباري : 84/13).

2- سرعة إنتقاله في الأرض: ففي حديث النواس بن سمعان: أن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم سألوه : « يا رسول الله : وما إسراعه في الأرض ، قال كالغيث استدبرته الريح» (شرح مسلم للنووي: 66/18).

ويبدو أن سرعته تعود إلى الإمكانات والقدرات العلمية التي تكون بين يديه والتي سخرها في دجله وضلاله ، وقد يكون من جملتها الطائرات والأطباق الطائرة.

3- خزائن الطعام في زمن الفاقة والجوع: فقبل خروج الدجال ستمر ثلاث سنوات ينتشر فيها الظمأ والجوع ، وبينما الأرض على هذه الحال ، إذ بالدجال يخرج ومعه خزائن الطعام من خبز ولحم وماء فيفتن الناس أمام هذا المظهر الخداع ، ففي حديث المغيرة بن شعبة الذي رواه مسلم قال : «ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألت ، قال : وما ينصبك منه إنه لا يضرك ، قال : قلت يا رسول الله : إنهم يقولون إن معه الطعام والأنهار ، قال : هو أهون على الله من ذلك». (شرح مسلم للنووي : 74/18).

وفي رواية أخرى عند مسلم عن المغيرة «قلت إنهم يقولون معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء» (شرح مسلم للنووي : 74/18).

وروى البخاري عن المغيرة بن شعبة «ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته ، وإنه قال لي : ما يضرك منه ؟! قلت : لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء ، قال هو أهون على الله من ذلك ». (فتح الباري : 78/13).

4- معه كنوز الأرض وذهبها : وهذه القوة المادية تزيد من افتتان الناس به ، ففي حديث النواس بن سمعان الذي أخرجه مسلم "ويمر بالخربة ، فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل" - أي مثل ذكور النحل لأنها متى طارت تبعتها جماعتها - (شرح مسلم للنووي : 66/18).

يقول الأستاذ محمد عيسى داود عن إخراج الكنوز من قبل الدجال: «وبالنسبة لإخراج الكنوز ، فيكفي أن نعلم أن معه شياطين وجاناً من المشرق والمغرب كلهم لهم خبرة واسعة في هذا المجال ، علاوة على أجهزة كاشفة لمواضع الكنوز تعمل بالنشاط الإشعاعي والنبضات الكهربائية وخاصة الإشعاعات النووية لقدرتها على اختراق المواد لمسافات كبيرة» (داود : 1991 ، ص 140).

5- إستعانته بالشياطين : والشياطين كما هو معلوم لا تساعد إلا الضال الكفار ، الذي يضل الناس ويبعدهم عن عبادة الله الواحد الأحد ، ففي سنن ابن ماجة وصحيح ابن خزيمة والمستدرك للحاكم عن أبي أمامة : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني اتبعه ، فإنه ربك» (صحيح الجامع الصغير : 274/6 - حديث رقم 7752).

6- يُمطر السماء وينبت الأرض : ومن فتنته أنه يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان «فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرأ وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر - أي ترجع ماشيتهم وهي كثيرة اللبن لكثرة إمتلائها - ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم». (شرح مسلم للنووي : 66/18).

7- قتله لشاب مؤمن ثم إحياؤه : ومن فتنته أنه يقتل شاباً مؤمناً يتحداه فيما يدعيه من ألوهية ، ثم

يحييه مرة أخرى ، ففي حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه البخاري قال: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: يأتي الدجال وهو مُحرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خيرُ الناس أو من خير الناس ، فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ماكنت فيك أشد بصيرة مني اليوم ، فيُريد الدجال أن يقتله ، فلا يُسلط عليه». (فتح الباري : 13 /86-88).

وفي رواية مسلم : «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجلٌ من المؤمنين ، فتلقاه المسالح - مسالح الدجال - ، فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج ، قال : فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول ما بربنا خفاء !؟ فيقولون : اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ، قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فيأمر الدجال به فيُشبح - أي مدوه على بطنه - ، فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً ، قال: فيقول : أو ما تؤمن بي ، فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يُفرق بين رجليه ، قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوي قائماً ، قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ، فيقول : ما إزددت فيك إلا بصيرة ، قال: ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته وترقونه نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً» (شرح مسلم للنووي : 13 /72-73).

8) أيام الدجال ومدة مكث فتنته : فقد سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً ، يومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم ... قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ، قال : لا أقدروا له قدره» (شرح مسلم للنووي : 78 /=65-66).

وإجابة الرسول صلى الله عليه وسلم عن سؤال الصحابة : هل تكفيهم خمس صلوات في الأيام التي هي كسنة أو كشهر أو أسبوع تدل على أن اليوم يطول حقيقة حتى يصبح سنة ، أو شهراً أو أسبوعاً ، وليس مجازاً (الأشقر: 1986 ، 243/1).

أخي الدارس ، لعلك تقول : كيف يجري الله هذه الخوارق على يد هذا الدجال؟ ويجيب ابن العربي فيما يرويه عنه ابن حجر فيقول : «الذي يظهر على يد الدجال من الآيات من إنزال المطر والخصب على من يصدقه ، والجدب على من يكذبه ، وإتباع كنوز الأرض له وما معه من جنة ونار ومياه ، تجري كل ذلك محنة من الله واختبار ليهلك المرتاب وينجو المتيقن». (فتح الباري : 13 / 88).

وعلق الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على خوارق الدجال فقال: «وقد علمت أن الله عز وجل جعل ظهور الدجال ، فتنة خطيرة كبرى للناس ، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم وكما أنذر ،

ولو لم يكن قد مكنه الله من إحداث بعض الخوارق وجعل إليه مقاليد كثير من الخيرات والأرزاق ، لما كان فتنة» (البوطي : 1402 ، ص 321).

تدريب (2)

القارئ للأحاديث الواردة في فتنة الدجال يجد أن بعض هذه الأحاديث تشير إلى الخداع البصري الذي يقع على العين ، والذي يعني أن الشياطين تعين الدجال في خوارقه ، بل إن بعض الأحاديث تؤكد ذلك ، إرجع إلى الأحاديث السابقة ، واستخرج منها بعض الشواهد الدالة على ذلك.

أخي الدارس ، أختي الدارسة: أما هلاك الدجال والقضاء على فتنته ، فإنها تتم على يد عيسى عليه السلام كما روى مسلم في صحيحه عن النواس من سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم «فبينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين - أي ثوبين مصبوغين بزعفران - ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعها تحدر منه جمانٌ كاللؤلؤ - أي حبات - ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍ فيقتله - واللد مدينة في فلسطين-». (شرح مسلم للنووي : 18 /67-68).

وروى مسلم أيضاً عن عبدالله بن عمرو "فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه" (شرح مسلم للنووي: 76/18).

وبذلك إخواني الدارسين تنتهي هذه الفتنة العظيمة بنزول عيسى عليه السلام حكماً عدلاً مقيماً لشريعة الإسلام ، مكذباً لليهود والنصارى فيما زعموه عنه ، وإليك الان أهم ما يتعلق بهذه الآية الكبرى:

2.3/2 - نزول عيسى عليه الصلاة والسلام:

وهو من أهم أشراط الساعة ، ومن أخطر الأحداث التي تكون بين يديها. "ومعنى نزوله ، أنه يهبط إلى الأرض ، بعد احتجابه عنها كل هذه الحقبة الطويلة من الدهر ، في مكان ما من ملكوت الله عز وجل ، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي إحياه الله بها إذ كان في الأرض رسولاً نبياً. فيمكث في الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بعث هو والأنبياء كلهم لإقامتها ، وينفذ الشريعة الإسلامية الناسخة لجميع الشرائع السابقة والتي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، دون أن يؤيد خلال ذلك بوحي جديد من الله عز وجل". (البوطي : 1402 ، ص 322).

وعيسى عليه السلام كما أخبرنا القرآن الكريم لم يقتل ولم يصلب كما ادعت النصارى ، ولكن شبه لهم ، بعد أن رفعه الله إليه "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علمٍ إلا إتباع الظن وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً". (النساء: 157 - 158).

والدليل على نزوله ، ثابت بالكتاب والسنة منها :

أ- قوله تعالى «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» (النساء: 158 - 159).

والمعنى : لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام ، فالضمير في (قبل موته) عائد إلى عيسى ابن مريم ، وهو نص على أنه عليه السلام لم يمت بعد وإنما رفع إلى السماء.

يقول ابن كثير في معرض تفسيره لهذه الآية : "ولا شك أن هذا هو الصحيح - أي نزول عيسى وإيمان أهل الكتاب به قبل موته - لأنه المقصود من سياق الآيات في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة". (ابن كثير : 405/2).

(ب) وقوله تعالى «وإنه لَعِلْمٌ للساعة فلا تمترن بها» (الزخرف : 61). ومحل الشاهد في الآية الكريمة أن الضمير عائد إلى ابن مريم ، والمعنى أن عيسى عليه السلام دليل على قيام الساعة ، فالآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالى «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، وقالوا آلهتنا خيرٌ أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم يخصمون ، إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ، وإنه لَعِلْمٌ للساعة فلا تمترن بها» (الزخرف : 57-61).

يقول ابن كثير "بل الصحيح أن الضمير في (أنه) عائد إلى عيسى .... ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : "وإنه تَعْلَمُ للساعة" أي أمارة ودليل على وقوع الساعة" (ابن كثير : 7 / 223-222).

(3) وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة : واقرؤا إن شئتم «وإن من أهل الكتاب إلا ليومنن به قبل موته» (فتح الباري : 6 / 382-383).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة : «كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» (فتح الباري : 384/6).

يقول ابن حجر في تفسيره للحديث الأول : "فهو ينزل في هذه الأمة ... حاكماً بهذه الشريعة ، فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هيه الأمة .... وعند أحمد من حديث عائشة : ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة .... فيبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه ..... ويضع الحرب: والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية ..... ويفيض المال..... وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبة في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها : فحينئذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة ....» (فتح الباري : 6 : 383).

④ وروى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (شرح مسلم للنووي : 190/2).

⑤ وروى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد».(شرح مسلم للنووي: 192/2).

والقلاص : هي الإبل ، وهي أنفس الأموال عند العرب ، ومعنى الحديث : أنه لا يسعى عليها ، ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال ، وقلة الآمال ، وعدم الحاجة ، والعلم بقرب القيامة.

6- وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم : تعالى صل لنا ، فيقول : لا ان بعضكم على بعض أمراءُ تكرمة الله هذه الأمة» (شرح مسلم للنووي : 193/2).

7- وقد أخرج مسلم عن النواس بن سمعان حديثاً طويلاً عن الأحداث التي تقع بعد نزول عيسى عليه السلام فيقول : «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابنَ مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جُمانٌ كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجدُ ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه - أي للدجال - حتى يدركه بباب لُد ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه - أي من الدجال - فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عباداً لي ، لا يَدَان لأحدٍ بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، ويَبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه ،حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغبُ نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخت ، فتحملهم ، فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً ، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض ، حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، ورُدي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويُبَارَك في الرِّسلِ ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفِئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» (شرح مسلم للنووي : 18 /67-70).

والنغف هو الدود الذي يعيش في أنوف الدواب ، وفرسى : أي موتى.

تدريب (3)

إرجع إلى الحديث السابق واستخرج أهم الأحداث التي تتم بعد نزول عيسى عليه السلام ، وارجع الى قواميس اللغة لمعرفة معاني بعض الألفاظ.

يقول الدكتور عمر الأشقر: «يستخلص من النصوص الواردة في شأن عيسى عليه السلام ما يلي:

1- أن عيسى عليه السلام نازل لا محالة في آخر الزمان ، والنصوص في ذلك متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- أن عيسى عليه السلام يأتي ليحكم بشريعة القرآن.

3- أنه يقضي على جميع الأديان ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، ولذلك فإنه يكسر الصليب ، وهو رمز النصرانية المحرفة ، ويقتل الخنزير الذي حرمه الإسلام ، ويضع الجزية ، فلا يقبل من اليهود والنصارى الجزية ..... وعدم قبول الجزية لا يعد نسخاً ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الجزية تقبل إلى أن ينزل عيسى عليه السلام ، وبعد ذلك لا تقبل.

4- عموم الرخاء ، وسيادة السلام والزمن في ذلك الزمان: وقد أخبرت النصوص التي سقناها عن تلك البركة العظيمة التي توجد في ذلك الوقت ، والأمن العظيم الذي يكرم الله به العباد في تلك الأيام ، وكيف ترفع الشحناء والتباغض بين الناس.

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، ومدة بقاء عيسى على الأرض بعد نزوله - كما سبق ذكره - أربعون عاماً ، كما ثبت ذلك في أحاديث صحيحة ، ثم يتوفاه الله ، ويصلي عليه المسلمون. "قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه ، فبين الله كذبهم ، وأنه الذي يقتلهم ، أو نزوله لدنو أجله ، ليدفن في الأرض ، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها" (الكاتب : 1983 ، ص 479).

أقول : ولا شك أن كسر الصليب فيه إشارة الى التحريف والتبديل في عقيدة النصارى بالله عز وجل ، وزعمهم أن عيسى اله أو ابن إله ، فيأتي عيسى ليبين كذبهم عليه وعلى الله عز وجل وأنه لم يصلب ولم يقتل ، أما قتل الخنزير ، فهو إشارة الى التبديل الذي وقع في شريعتهم ، فشريعتهم غيرت بعد عيسى فأحلوا الحرام ، وحرموا الحلال ، ودليل ذلك أنهم أباحوا لحم الخنزير وهو محرم عليهم كما هو محرم في شريعة اليهود.

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وبعد هذا التفصيل للآية الثانية من علامات الساعة الكبرى ، ننتقل إلى آية أخرى ، وهي خروج قوم يأجوج ومأجوج ، وهي العلامة التالية من علامات الساعة الكبرى، وتتم وتنتهي بعد نزول عيسى عليه السلام.

2.3- خروج يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج ، هاتان الكلمتان عبر بهما القرآن الكريم عن أمة كبيرة من الناس يفاجأ بها

العالم تنسل إليه من كل حدب ، تنشر الفساد والدمار في الأرض ، على نحو مذهل وبطريقة مرعبة.

وقد أخبرنا القرآن الكريم عن إفساد يأجوج ومأجوج ، وكيف منع هذا الفساد عبد صالح هو (ذو القرنين) ، بإقامة سد من الحديد والنحاس ، لن يستطيعوا له نقباً إلا إذا أراد الله عز وجل ، يقول تعالى:

«حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً ، ثم أتبع سبباً ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ، قالوا ياذا القرنين : إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرْجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ، قال: مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال: انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال: آتوني أفرغ عليه قطراً ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما إستطاعوا له نقباً ، قال: هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء وكان وعد ربي حقاً». (الكهف : 90 - 98).

وقد أخبرنا عز وجل في آية ثانية ، وفي سورة أخرى من القرآن الكريم ، عن أن خروج يأجوج ومأجوج سيكون عند إقتراب الساعة ، وفي ذلك يقول تعالى : «حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدَب ينسلون ، واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين» (الزنبياء : 96 - 97).

يقول ابن كثير في تفسيره "يقول تعالى مخبراً عن ذي القرنين : (ثم أتبع سبباً) ، أي: سلك طريقاً من مشارق الأرض ، (حتى إذا بلغ بين السدين) وهما جبلان متقابلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج ، فيعيثون فيها فساداً ، ويهلكون الحرث والنسل ..... (قالوا : يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ، فهل نجعل لك خرجاً) يعني أنهم أرادوا يجمعوا له من بينهم مالاً يعطونه إياه ، حتى يجعل بينهم وبينهم سداً ، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير : (ما مكني فيه ربي خير) ، أي إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خيرٌ لي من الذي تجمعونه ، ولكن ساعدوني بقوة، أي بعملكم وآلات البناء ، (أجعل بينكم وبينهم ردماً : آتوني زبر الحديد) ، والزبر (جمع) زبرة ، وهي القطعة من الحديد وهي كاللبنة .... (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي : وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رؤوس الجبال طولاً وعرضاً ... (قال : انفخوا) أي أجج عليه النار حتى صار كله ناراً ، (قال اتوني أفرغ عليه قطراً) ... وهو النحاس المذاب .... ثم يقول تعالى عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا فوق هذا السد ، ولا قدروا على نقبه من أسفله، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه ، قابل كلاً بما يناسبه فقال: (فما اسطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقباً" (إبن كثير: 5 / 192-193).

أما أخبار السنة عن يأجوج ومأجوج فمنها:

1- ما رواه البخاري عن زينب ابنة جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوماً فزعاً يقول "لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها". (فتح الباري : 13 / 91-92).

2- ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال: وما بعث النار ، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حملٍ حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، قالوا : يا رسول الله ، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجل ، ومن يأجوج ومأجوج ألف ، قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ، فقال : ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود» (فتح الباري : 6 / 298).

قال ابن حجر بعد ذكره لهذا الحديث : «والحاكم من حديث حذيفة مرفوعاً : يأجوج أمة، ومأجوج أمة ، كل أمة أربعمائة ألف رجل ، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ، ويأكلون من مات منهم» (فتح الباري : 6 : 297).

3- وما رواه مسلم في حديث النواس بن سمعان الذي سبق ذكره: «إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر أخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ، هَلُمَّ فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء ، فيردُّ الله عليهم نُشابهم مخضوبة دماً» (شرح مسلم للنووي : 70/18).

4- وجاء في سلسلة الأحاديث الصحيحة الحديث الصحيح المروي في سنن الترمذي واين ماجة ، وصحيح ابن حيان ، والمستدرك للحاكم ، والمسند لأحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا فسنحفره غداً ، فيعيده الله أشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : إرجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله تعالى ، واستثنوا - أي قالوا: إن شاء الله، فيعودون إليه ، وهو كهيئته يوم تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون على الناس ، فينشفون الماء ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع عليها الدم ، فيقولوه: قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم - أي في مؤخر رقابهم - ، فيقتلون بها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم» (أخرجه الحاكم في المستدرك 488/4).

(وأخرجه احمد في مسنده 676/2 رقم 10611).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: قد تتساءل : من هؤلاء الذين لن يقدر عليهم أحدٌ من خلق الله؟ والجواب : أن الدخول في التفاصيل التي لا نعرف عنها شيئاً ، لا يمكن أن توصلنا إلى حل ، ولن تجدي في شيء ..... فالذي يجب أن نؤمن به أن الله قد احتجزهم خلف السد الذي لم نستطع التوصل

إليه حتى الآن ، لأن إرادة الله تعالى اقتضت أن يحجب عنا إلى حين خروجهم في آخر الزمان ..... ولذلك لا حاجة للبحث عن ألغاز لا جواب لها : من هم ؟ أين هم؟ فكل هذا بعلم الله الذي أخفاه عن عباده.

تدريب (4)

إرجع إلى نصوص الآيات والأحاديث السابقة والمتعلقة بيأجوج ومأجوج ، واذكر أهم المفاسد التي يقوم بها هؤلاء القوم ، قبل أن يهلكهم الله عز وجل.

2.3.4 طلوع الشمس من مغربها

بعد علامات الساعة التي وقعت ، بعد تلك العلامات الكبرى الواضحة والدالة على قرب الساعة ، بعد ظهور الدجال وعيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج. «وبعد ذلك الإنتشار العظيم للإسلام الذي يعم المشارق والمغرب ، يضعف الإسلام مرة أخرى ، ويترعرع الشر ، ويرفع هذا الدين العظيم ، ويرفع القرآن ، ويذهب العلم ، ويقبض الله من كان في نفسه بقية من إيمان ، فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق ، وعليهم تقوم الساعة». (الأشقر : 1986 ، 277/1).

يقول صلى الله عليه وسلم : «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» (شرح مسلم للنووي : 88/18).

وأخرج ابن ماجة عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدرى ما صيام ، ولا صلاة ، ولا نسك ، ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله في ليلة ، فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله) فنحن نقولها» (أخرجه الحاكم في المستدرك 473/4).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: فإذا دُرس الإسلام ، فإن هذا يعني عودة البشرية إلى جاهليتها الأولى ، ولعل هذا هو الذي جرأ شخصاً مثل (ذو السويقتين) من غزو الكعبة وهدمها ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» (فتح الباري : 362/3) ، وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة ذي السويقتين قال: «كأني به أسودٌ أفحج يقلعها حجراً حجراً». (فتح الباري: 362/3 - 362).

وقد لقب بذي السويقتين كما يقول النووي: "لصغر ساقيه ورقتهما" (شرح مسلم للنووي: 35/18) ، ويجيب النووي عن التعارض بين كون مكة آمنة وخرابها على يد ذي السويقتين فيقول : «ولا يعارض هذا قوله تعالى (حرماً آمناً) لأن معناه آمناً إل قرب القيامة وخراب الدنيا» (شرح مسلم للنووي: 35/18).

إذن فقد عادت البشرية إلى كفرها وضلالها بعد أن جاءها الهدى ، بل وصل بها الأمر أن تسكت بل وتشارك في هدم أول بيت بني لعبادة الله عز وجل .... وهكذا يغلق الله تعالى باب التوبة وتبد أول العلامات السماوية الدالة على حدوث الساعة ، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت من

مغربها آمن الناس كلهم أجمعون ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً». (شرح مسلم للنووي : 194/2).

وفي حديث أخرجه مسلم عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً: "أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ارجعي من حيث جئت ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً ، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش ، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها ، فقال رسول الله صلى اله عليه وسلم : أتدرون متى ذاكم ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً" (شرح مسلم للنووي : 2 / 196-195).

ومعنى ذلك أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب ، وكذلك العاصي لا تنفعه توبته. ومن لم يعمل صالحاً من قبل ، ولو كان مؤمناً ، لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

ويروى ابن حجر عن المفسر المعروف ابن عطية قوله: «المعنى: لا تنفع توبةٌ بعد ذلك ، بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها ، والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي ، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة ، وارتفع الإيمان بالغيب ، فهو كالإيمان عند الغرغرة ، وهو لا ينفع ، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب». (فتح الباري : 297/11).

2.3.5 خروج الدابة

ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم ، الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ، فقد أخرج مسلم عن عبدالله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه... «إن أول الآيات خروجاً طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً» (شرح مسلم للنووي : 18 /77-78).

وخروج الدابة ذكره القرآن الكريم ، وبين أن خروجها سيكون قرب قيام الساعة ، يقول تعالى: «إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» (النمل : 82).

يقول إبن كثير في تفسيره لهذه الآية:

«هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض ، قيل : مكة ، وقيل: من غيرها ، فتكلم الناس على ذلك... قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وروي عن علي رضي الله عنه: تكلمهم كلاماً ، أي : تخاطبهم مخاطبة» (ابن كثير: 220/6).

ويؤكد ابن حجر أن طلوع الشمس من مغربها يسبق خروج الدابة فيقول: «الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم ، أو الذي يقرب منه... والحكمة في ذلك : أن

عند طلوع الشمس من المغرب ، يغلق باب التوبة ، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر ، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة» (فتح الباري : 297/11).

وروى ابن كثير عن محمد بن اسحاق أن موضع خروجها هي منطقة (أجياد) في مكة المكرمة «فعن محمد بن اسحاق ، عن إبان بن صالح قال: سئل عبدالله بن عمرو عن الدابة ، فقال: الدابة تخرج من تحت صخرة جياد ، والله لو كنت معهم - أو لو شئت بعصاي المصخرة التي تخرج الدابة من تحتها - ، قيل: فتصنع ماذا يا عبدالله بن عمرو؟ قال: تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه» (ابن كثير: 223/6).

وهذه الآية العظيمة مثلها مثل طلوع الشمس من غربها ، لا يقبل بعدها توبة أو عمل صالح ، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة" وخاصة أحدكم (الموت) ، وأمر العامة: (القيامة) (شرح مسلم للنووي : 18 : 87)

6.2.3 علامات أخرى

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وبعد هذه العلامات المؤذنة بقرب الساعة ، تأتي بقية الآيات التي ذكرت في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي : الدخان ، والنار التي تطرد الناس إلى محشرهم ، والخسوف الثلاثة في المشرق والمغرب وجزيرة العرب. وقد وردت هذه في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: (طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة ، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف: خسفٌ بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك ريح تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» (شرح مسلم للنووي: 18 / 27-28).

أما الدخان: فيقول النووي : "وهذا الحديث يؤيد قول من قال: أن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام ، وأنه لم يأت بعد ، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة ، وقد سبق قول من قال هذا ، وإنكار ابن مسعود عليه ، وأنه قال - عن الدخان -: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط ، حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان ، وقد وافق ابن مسعود جماعة ، وقال بالقول الآخر: حذيفة وابن عمر والحسن ، ورواه حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً ، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار» (شرح مسلم للنووي : 27/18).

يقول تعالى «فارتقب يوم تأتي السماءُ بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم» (الدخان : 10 ، 11).

يروي ابن كثير عن ابن حرير فيقول «... وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن ، قال الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان

مبين) ، أي بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به إبن مسعود رضي الله عنه : إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا قوله : (يغشى الناس) ، أي : يتغشاهم ويُعمهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة الشركين لما قيل فيه (يغشى الناس). (إبن كثير : 225/7).

أما الخسوف الثلاثة : فهي الزلازل التي تكون بين يدي الساعة ، فالذي يظهر أن الزلازل والخسوفات تكثر في أنحاء الأرض بل وتشمل جميع جهات الأرض ، يقول ابن حجر «ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها ، وقد وقع في حديث سلمة بن نفيل عند أحمد (وبين يدي الساعة سنوات الزلازل) ، وله عن أبي سعيد (تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة)» (فتح الباري : 74/13).

أما النار التي تخرج من اليمن فقد جاء في حديث أخرجه مسلم عن حذيفة بن أسيد «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس» وفي رواية أبي الطفيل : عن أبي سريحة : «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس ، تنزل معهم إذا نزلوا ، وتقيل معهم حيث قالوا» (شرح مسلم للنووي : 29/18).

«وقعرةُ عدن - أي :- أقصى قعر في أرض عدن ، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن .... أما قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري) فقد جعلها القاضي عياض حاشرة ، قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس ، أو يكون إبتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وقوتها بالحجاز .... (وترحل الناس): ومعناه تاخذهم بالرحيل وتزعجهم ، ويجعلون يرحلون قدامها» (شرح مسلم للنووي: 18 / 28-30).

وقد أخرج البخاري عن أنس قال : "أن عبدالله بن سلام بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه ، فاتاه يسأله عن أشياء ، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفاً ، قال ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، قال: أما أول أشراط الساعة: فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة ، فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد : فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد. وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قالب: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ..... » (فتح الباري : 218:7).

يقول ابن حجر : "إن كونها تخرج من قعر عدن ، لا ينا في حشرها الناس من المشرق إلى المغرب ، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها ، والمراد بقوله: (تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) إرادة تعميم الحشر ، لا خصوص المشرق والمغرب ، أو أنها بعد الانتشار ، أول ما تحشر أهل المشرق ، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق ، وأما جعل الغاية إلى المغرب ، فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب" (فتح الباري : 378/11).

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1- لماذا قسمت علامات الساعة إلى صغرى وكبرى؟

2- أذكر مع الدليل ثلاث علامات من العلامات الصغرى؟

3- ما المراد بتقارب الزمان؟

4- من علامات الساعة (ولادة الأمة ربها ، وتطاول رعاة الإبل في البنيان) ، فما المقصود من ذلك؟

5- لماذا سمي الدجال بـ (المسيح) ؟ أذكر السبب مع التوضيح.

6- أذكر ثلاثاً من خوارق الدجال مع التوضيح؟

7- أذكر دليلين من القرآن الكريم يدلان على نزول عيسى في آخر الزمان؟

8- من هم يأجوج ومأجوج؟ وما هي علاقتهم بعلامات الساعة؟

وبين الموت الذي تنتهي به الحياة الدنيا ، وبين البعث الذي تبتدئ فيه الحياة الآخرة ، فترة جاءت تسميتها في القرآن الكريم بـ(البرزخ) ، أي الفترة التي ما بين الدنيا والآخرة ، فهي القاطع أو الحاجز بين الحياتين ، وهذ حياة ، ولكنها تختلف عن حياة الدنيا ، وقد سمي ما يقع في هذه الحياة من عذاب أو نعيم بـ (حياة البرزخ).

قال الله تعالى مخبراً عن هذه الحياة:

"حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون ، لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون" (المؤمنون: 99-100).

يقول ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين:

"يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين ، أو المفرطين في أمر الله تعالى، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ، ليصنع ما كان أفسده في مدة حياته ، ولهذا قال (رب ، أرجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت) ..... وقوله ها هنا: (كلا إنها كلمة هو قائلها) ، كلا : حرف ردع وزجر ، أي: لا نجيبه إلى ما طلب ، ولا تقبل منه ..... وعن سعيد بن المسيب ، عن عائشة أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ؟! تدخل عليهم في قبورهم حياتٌ سُود عند رأسه ، وحية عند رجليه يقرصاه ..... فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) ... ومن ورائهم : يعني أمامهم ، وقال مجاهد : البرزخ ، الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. وقال محمد بن كعب: البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم. وقال أبو صخر: البرزخ: المقابر .... وفي قوله (ومن ورائهم برزخ) : تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ ... وقوله (إلى يوم يبعثون): أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث". (تفسير ابن كثير : 5/ 486-488).

وقد نسب العذاب أو النعيم في هذه الحياة إلى القبر - وهو المكان الذي يدفن فيه الميت- باعتبار أن غالب الخلق يدفنون في القبور ، ولكن لا يعني هذا أن النعيم أو العذاب لا يصيب من لا يقبر، يقول ابن قيم الجوزية:

«فالمطلوب والحريق والغريق وأكيل السباع والطيور ، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفيتهما فقد ظنّ بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رماداً وذرى بعضه في البحر ، وبعضه في البر في يوم شديد الريح ، أنه ينجو

من ذلك .... فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال ، حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح في أتون النار ، لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه... » (ابن قيم الجوزية: 1986 - 1/ 332-333).

ويضيف ابن قيم الجوزية فيقول:

«فإنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحروق ، ونحن لا نشعر بها ، لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ، فهذا المغمى عليه والنائم والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا تشعر بحياتهم....» (ابن الجوزية : 1986 - 329/1).

أخي الدارس ، من المهم أن تعلم أن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين ، وقد أشارت إلى هذه المرحلة التي تتم بعد الموت آيات من القرآن الكريم ، وإليك عزيزي الدارس بعضاً من النصوص القرآنية الدالة على الجزاء الرباني بالثواب والعقاب في حياة البرزخ :

1- قوله تعالى: «وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» (غافر: 45-46).

ووجه الدلالة في هاتين الآيتين ، أنه لما عطف فيها قوله (ويوم تقوم الساعة) على قوله (غدواً وعشياً) ، علمنا يقيناً أن النار التي يعرضون عليها غدواً وعشياً غير التي يعرضون عليها يوم القيامة.

يقول ابن كثير: "وسوء العذاب هو : الغرق في اليم ، ثم النقلة منه إلى الجحيم ، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة" (ابن كثير: 136/7).

2- وقوله تعالى: "ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم : أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون" (الأنعام: 93).

3- وقوله تعالى: «وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ، ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون" (السجدة : 20-21).

فقد روي عن البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة أن العذاب الأدنى هو (عذاب القبر) (ابن كثير: 370/6).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وقد دلت الأحاديث الواردة عن رسول صلى الله عليه وسلم ، أنه إذا مات الإنسان المكلف أرسل الله إليه ملكين بشكل مفزع ، فهما أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر ، ويقال للآخر النكير ، فيسألانه الأسئلة التالية: من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم (أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

"فن كان قد ثبته الله عز وجل بالقول الثابت ، ومات على الحق ، ألهمه الله الجواب على سؤال الملكين ، دون أن يعروه شيء من مظهرهما المخيف. ومن لم يكن معتصماً بحبل الإيمان في حياته الدنيا، ومات على ما عاش عليه من لهو وعصيان وإدبار عن الحق ، ملأ الله قلبه فزعاً منهما ، فغاب عن فكره الجواب المصلوب ، ولم يجد جواباً على ما يقولان» (البوطي: 1402 ، ص 309).

✡ وأحاديث عذاب القبر ومساءلة الملكين (منكر ونكير) كثيرة ومتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك:

1- ما أخرجه البخاري عن عائشة : أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ، فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال :«نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر» (فتح الباري: 183/3).

2- وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً ، فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة" (فتح الباري : 183/3).

3- وأخرج البخاري عن أنس بن مالك قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل: (محمد صلى الله عليه وسلم) ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة ، فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال: لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين" - أي الإنس والجان - (فتح الباري: 184/3 - 186).

4- وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال" (فتح الباري : 188/3).

5- وأخرج مسلم عن زيد بن ثابت قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار - أي بستان - على بغلة له ونحن معه ، إذ حادت به فكادت أن تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا ، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال : ماتوا في الإشراك ، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع فيه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر .... "

(شرح مسلم للنووي: 202/17).

6- وأخرج مسلم عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن لا تدافنوا ، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر». (شرح مسلم للنووي : 203/17)

7- وأخرج مسلم عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، قال: نزلت في عذاب القبر ، فيقال له: من ربك؟ فيقول : ربي الله ، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا" (شرح مسلم للنووي : 204/17).

- يقول ابن حجر في شرحه للأحاديث السابقة فيقول:

«وإنه ليسمع قرع نعالهم" : زاد مسلم : إذا انصرفوا .. وزاد ابن حبان والترمذي عن طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة : أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر نكير ، وزاد الطبراني في الأوسط من طريق أخرى عن أبي هريرة: أعينهما مثل قدور النحاس ، وأنيابهما مثل صياصي البقر - أي قرونها - ، وأصواتهما مثل الرعد ، ونحوه لعبد الرزاق من مرسل عمرو بن دينار ، وزاد : يحفران بانيابهما ، ويطآن في أشعارهما ، معهما مزربة ، لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها». (فتح الباري : 184/3).

14 أسباب عذاب القبر

أخي الدارس : لعلك تتساءل ما هي أسباب عذاب القبر؟ وما هي الأمور التي تؤدي بصاحبها إلى هذا المصير؟

وقد أجاب عن ذلك ابن قيم الجوزية فقال: "فالجواب من وجهين مجمل ومفصل . أما المجمل: فإنهم يعذبون على جهلهم بالله ، وإضاعتهم لأمره وإرتكابهم لمعاصيه ، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وإمتثلت أمره ، واجتنبت نهيه ، ولا بدناً كانت فيه أبداً ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ، ثم لم يتب ، ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ....." (ابن قيم الجوزية: 1986 ، 340/1).

وأما الجواب المفصل فقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث واضحة ، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن معاصٍ يعذب أصحابها في القبور بسببها ، وهذا العذاب بسبب "معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله" . وإليك أخي الدارس تفصيل لها:

1- عذاب من لا يستبرئ من البول ، ويمشي بين الناس بالنميمة ، ويؤذي الناس بلسانه:

فقد أخرج مسلم عن ابن عباس قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين ، فقال : أما انهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان يستتر من بوله - في رواية : لا يستنزه عن البول أو من البول - ، قال: فدعا بعسيب رطب - أي جذع نخل-فشقه باثنين ، ثم غرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا" (شرح مسلم للنووي : 200/3).

يقول النووي في شرحه لهذا الحديث:

"وأما النميمة فحقيقتها نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد ، .... ويستنزه ، معناها: لا يتجنبه ويتحرز منه .... أما قوله (وما يعذبان في كبير ، بل إنه كبير).. وقد ذكر العلماء فيه

تأويلين أحدهما: أنه ليس بكبير في زعمهما ، والثاني: أنه ليس بكبير تركه عليهما .... وسبب كونهما كبيرين أن عدم التنزه من البول يلزم منه بطلان الصلاة ، فتركه كبيرة بلاشك ، والمشي بالنميمة والسعي بالفساد من أقبح القبائح ، لا سيما مع قوله صلى الله عليه وسلم (كان يمشي) بلفظ (كان) التي للحالة المستمرة غالباً" (شرح مسلم للنووي: 201/3).

2- الكذب ، وهجر القرآن ، الزنا ، والربا:

وقد أرى الله رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعاً مما يعذب به بعض العصاة ففي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال:

«كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا ، فإن رأى أحدٌ قصها فيقول ما شاء الله ، فسألنا يوماً: فقال: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا: لا .... ولكني رأيت الليلة رجلين أتياني ، فأخذا بيدي ، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ بيده كلوبٌ من حديد ، يدخله في شدقه ، حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا ، فيعود فيصنع مثله ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ثم يفعل بشقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا ، فيعود فيصنع مثله ، قلت: ما هذا ؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل قائمٌ على رأسه بفهرٍ أو صخرة ، فيشدخ به رأسه ، فإذا ضربه تدهره الحجر - أي تدحرج - ، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه ، قلت : من هذا؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا إلى ثقبٍ مثل التنور ، أعلاه ضيق ، وأسفله واسع ، يتوقد تحته ناراً ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا ، فإذا ضمدت رجعوا ، وفيها رجال ونساء عراة ، فقلت : من هذا ؟ قالا: انطلق ، فانطلقنا حتى أتينا على نهرٍ من دم ،فيه رجلٌ قائمٌ على وسط النهر ، وعلى شط النهر رجل ، بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجلُ بحجرٍ في فيه ، فردَّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فيه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت ما هذا؟.....

قلت : طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت؟ قالا: نعم ، أما الذي رأيته يُشق شدقه ، فكذابٌ يحدث بالكذبة ، فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيضع به ما رأيت إلى يوم القيامة ... والذي رأيته يُشدخُ رأسه ، فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه بالنهار ، يفعل به إلى يوم القيامة .... والذي رأيته في الثقب فهم الزناة ..... والذي رأيته في النهر آكلوا الربا...." (فتح الباري : 3 / 195-196).

2.4 الأسباب المنجية من عذاب القبر

أخي الدارس: وبعد أن عرفت بعض أسباب عذاب القبر ، لا بُدَّ وأنك تتساءل : وهل هناك أسباب تؤدي إلى العصمة من عذاب القبر وفتنته ؟ وقد أجاب عن ذلك ابن قيم الجوزية ، فقال:

«جوابها أيضاً من وجهين : مجمل ومفصل:

أما المجمل: فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر ومن أنفعها ، أن يجلس الرجل

عندما يريد النوم لله ساعة ، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ ، استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاته ، وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله ، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم ، حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ولا قوة إلا بالله» (ابن قيم الجوزية : 1986 ، 345/1).

أما الجواب المفصل ، فنذكر أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينجي من أهوال القبور وفتنتها وعذابها.

وهذه المنجيات قائمة في معظمها على الصبر والمصابرة ، فمن افتتن في حياته وصبر على ذلك، فإن الله ينجيه من فتنة القبر ، وفي هذا دلالة على رضى الله عز وجل عن هذا العبد.

وإليك عزيزي الدارس تفصيلاً لهذه المنجيات:

1- الرباط في سبيل الله:

"وهو الملازمة في سبيل الله ، مأخوذ من ربط الخيل ، ثم سُمي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين: مرابطاً ، فارساً كان أم راجلاً ، فالموت في سبيل الله ينجي من عذاب القبر" (عبدالمقصود : 1988 ، ص 80).

ونذكر فيما يلي أحاديث في هذا السبب المنجي من فتنة القبر:

أ) ما أخرجه مسلم عن سلمان قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رباطُ يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر ، وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمِنَ الفتّان» (شرح مسلم للنووي: 61/13).

يقول النووي في شرحه للحديث: «ضبطوا (آمِن) بوجهين احدهما (آمِن) بفتح الهمزة وكسر الميم... والثاني (أومن) بضم الهمزة ... وأما الفتان ، ففي رواية أبي داود في سننه أومن من فتاني القبر» (شرح مسلم للنووي : 61/13).

ب) وما أخرجه أبو داود والترمذي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ ميتٍ يختم على عمله ، إلا الذي مات مُرابطاً في سبيل الله ، فإنه يُنْمى له عَمَلُهُ إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر» (أخرجه أبو داود في سننه 9/3 ورقمه 2500 ، وأخرجه الترمذي في سننه 142/4 ورقمه 1621).

2- الشهادة في سبيل الله:

أ) ما أخرجه الترمذي وابن ماجة : «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعةٍ من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار: الياقوتة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويزوج إثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه» (أخرجه الترمذي في سننه 160/4 ورقمه 1663).

ب) ما أخرجه النسائي : "أن رجلاً قال: يا رسول الله : ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" (أخرجه النسائي في سننه 99/4 باب 112 ورقمه 2053).

يقول ابن قيم الجوزية: «وقوله صلى الله عليه وسلم : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة ، معناه والله أعلم : قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه ، فلم يفر ، فلو كان منافقاً لما صبر لبارقة السيف على رأسه ، فدلّ على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه لله وتسليمها له ، وهاج في قلبه حمية الغضب لله ورسوله واظهار دينه وإعزاز كلمته ، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره ، حيث يبرز للقتل ، فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره» (ابن قيم الجوزية : 1986 ، 351/1).

3- المداومة على قراءة سورة تبارك:

أ) ما أخرجه الترمذي: عن ابن عباس قال: "ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، ضربت خبائي على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر" (أخرجه الترمذي في سننه 5 باب 9 ورقمه 2890).

ب) ويروي ابن قيم الجوزية عن مسند عبد بن حميد ، عن ابن عباس : أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال الرجل: بلى ؟ قال: إقرأ (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) ، احفظها وعلمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية ، والمجادلة ، تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه ، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر" (ابن قيم الجوزية : 1986 /1/ 348). "ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأها.

4- الموت بداء البطن:

«والبطن هو : الاستسقاء وانتفاخ البطن ، وقيل : هو الإسهال ، وقيل : الذي يشتكي بطنه» (عبدالمقصود: 1988 ، ص 83).

فمن أصيب بداء في بطنه ، وصبر على ذلك ، وحمد الله عز وجل ، ومات وهو على هذا الحال ، كان مثله مثل الشهيد ، كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ) فيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ".... ومن مات في البطن فهو شهيد" (شرح مسلم للنووي: 62/13)

يقول النووي في شرحه لهذا الحديث:

«.... وأما المبطون فهو : صاحب داء البطن وهو الإسهال ، وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن، وقيل: هو الذي تشتكي بطنه ، وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقاً .... وإنما كانت هذه الموتة شهادة بتفضل الله تعالى بسبب شدتها ، وكثرة ألمها ...» (شرح مسلم للنووي: 63/13).

ب) وأخرج ابن ماجة من حديث أبي هريرة مرفوعاً : «من مات مبطوناً مات شهيداً ، ووقى فتنة القبر ، وريح عليه برزق من الجنة» (أخرجه أحمد 358/4 رقم 18272) (وأخرجه النسائي 98/4 وقم 2502).

ج) وأخرج النسائي والترمذي وابن حبان وأحمد عن عبدالله بن يسار قال: "كنت جالساً وسليمان بن صرد ، وخالد بن عرفطة ، فذكروا أن رجلاً تُوفي ، مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يقتله بطنه فلن يُعذب في قبره؟ فقال الآخر: بلى ، وفي رواية: صدقت" (أخرجه النسائي 98/4 ، والترمذي في حديث رقم 164 ، وأحمد 262/4).

أخي الدارس وأختي الدارسة ، إن ما ذكرناه سابقاً : عن أسباب عذاب القبر ، وأسباب النجاة منه ، يجعلنا نتنبه إلى مسألة مهمة ، وهي أن النجاة من غضب الله لا يتم إلا بالالتزام بأوامره ، واجتناب نواهيه ، وأن لا يستهين المسلم بأي عمل صالح يريد به رضى ربه عز وجل.

3.4 أنواع عذاب القبر ونعيمه

وبعد أن عرفت أخي الدارس ذلك ، لابُدّ من معرفة أنواع العذاب التي تقع على أصحاب القبور، وكذلك أنواع النعيم وإليك بعضها كما أوضحها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

أما أنواع العذاب الواقع على أهل القبور فهي:

1- الضرب بمطارق من حديد ، ففي حديث أنس الذي أخرجه البخاري : «ويضرب بمطارق من حديد (بين أذنيه) ، يسمعها من يليه غير الثقلين» (فتح الباري : 160/3 و 186).

2- تضييق القبر على الميت: وكما جاء في الأحاديث الصحيحة ، فإن أحداً لم ينجو من ضغطة القبر ، ففي الحديث الذي أخرجه النسائي في كتاب الجنائز عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضُمَّة، ثم فرج عنه» والمقصود بهذا الحديث سعد بن معاذ رضي الله عنه (أخرجه النسائي 100/4 باب 113 رقم 2055).

3- يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي: ففي حديث ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم إذا مات ، عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة" (شرح مسلم للنووي : 200/17 ، 201) (فتح الباري : 188/3 ، 189).

وفيما يتعلق بأنواع النعيم الواقع على أهل القبور فهي :

1- يفسح له في قبره سبعون ذراعاً :

ففي حديث أبي هريرة الذي أخرجه الترمذي: "... ثم يفسح له في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال : نم ...." (أخرجه الترمذي/ 74/3 رقم 1071 - كتاب الجنائز).

2- يفسح له في قبره ، وفي حديث أبي هريرة الذي أخرجه الترمذي : «... ثم يفرج له فرجة قبل الجنة

فينظر إلى زهرتها وما فيها» (أخرجه الترمذي / رقم 1071 - كتاب الجنائز).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وفي موضوع فتنة القبر وعذابه ، أسئلة كثيرة ترد على الذهن ، ومن جملة هذه الأسئلة: هل العذاب أو النعيم في البرزخ يقع على الروح أم على الجسد، أم عليهما معاً ؟

وقد أجاب عن ذلك ابن قيم الجوزية فقال:

"إن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وإنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا في قبورهم لرب العالمين" (ابن قيم الجوزية : 283/1).

أما عن النار التي تكون في القبر ، والخضرة التي تكون فيه فيقول ابن القيم عنها: "إن النار التي في القبر ، والخضرة ، ليست من نار الدنيا ، ولا من زرع الدنيا ، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها ، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها ، وهي أشد من نار الدنيا ، فلا يحس به أهل الدنيا ، فإن الله سبحانه وتعالى يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته ، حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، بل أعجب من هذا ، أن الرجلين يدفنان ، أحدهما إلى جنب الآخر ، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره وذلك في روضة من رياض الجنة" (ابن قيم الجوزية : 316/1).

ولكن لا يعني عودة الروح إلى الجسد عند السؤال ، أن الروح تبقى مع الجسد ، فإن للروح مستقراً بينته أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتتفاوت هذه الأرواح حسب عملها في الحياة الدنيا ، وإليك أخي الدارس الأحاديث التي بينت مستقر الأرواح في أثناء حياة البرزخ:

1- أرواح الشهداء: وهؤلاء كما بيّن عليه الصلاة والسلام فإن أرواحهم في أجواف طير خضر ، ففي حديث أخرجه مسلم: "عن عبدالله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عن هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون) آل عمران: 169 ، قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خُضرٍ ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربه إطلاعه ، فقال: هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا... (شرح مسلم للنووي : 13 /31-33).

2- أرواح المؤمنين: وهؤلاء تكون طيوراً تعلق في شجر الجنة ، ففي الحديث الذي أخرجه أحمد وابن ماجة عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعها الله إلى جسده» (أخرجه ابن حبان 513/10 رقم 4657، وأحمد 348/5 رقم 15776 ، وابن ماجة 1428/2 رقم 4271).

يقول الدكتور عمر الأشقر : «والفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء ، أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح منتقلة في رياض الجنة ، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ، أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف الجنة ، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش ، أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طير يعلق ثمر الجنة ، ولا ينتقل في أرجائها» (الأشقر: 1986 - 103/1).

3- أرواح العصاة: وقد أوردنا في حديث سمرة بن جندب الذي أخرجه البخاري ، عذاب هؤلاء من الكذابين والزناة والمرابين وغيرهم الذين عصوا ربهم فكان عذابهم في البرزخ كما أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4- أرواح الكفار: وقد بين رب العزة أمرهم بقوله: يعرضون عليها غدواً وعشياً (غافر : 46)

والسؤال الأخير الذي قد يطرح في موضوع فتنة القبر وعذابه هو : هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

وقد أجاب ابن قيم الجوزية على ذلك بقوله:

«جوابها : أنه نوعان : نوع دائم ... ويدل على دوامه قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً)، ويدل عليه أيضاً ما تقدم في حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة ..... النوع الثاني : إلى مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء ، أو صدقة ، أو استغفار ، أو ثواب حج ، أو قراءة ، تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم .....» (ابن قيم الجوزية : 1986 ، 1/370 - 371).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وبعد هذه الرحلة مع حياة البرزخ ، وبعد أن انتهينا قبلها من فتن الحياة الدنيا (علامات الساعة الصغرى والكبرى) ، نصل إلى أهم موضوع في الإيمان باليوم الآخر وهو أحداث اليوم الآخر من بعث ، وحشر ، وحساب ، وميزان ، وصراط ، ثم الجنة أو النار.

أسئلة التقويم الاتي (3)

1- هل تعني كلمة فتنة القبر ، أن من لا يقبر لا يفتن ولا يعذب ؟
أجب عن ذلك مع التوضيح.

2- أذكر دليلاً من القرآن الكريم يدل على وقوع فتنة القبر؟

3- اذكر مع الدليل سببين يؤديان إلى عذاب القبر.

4- اذكر مع الدليل سببين يؤديان إلى النجاة من فتنة القبر.

5- ما هي أنواع العذاب الذي يقع على أهل القبور؟

5. حقائق اليوم الآخر

أخي الدارس ، أختي الدارسة: إذا تكاملت أشراط الساعة التي تحدثنا عنها ، وجاء ميقات اللحظة المحددة المعلومة عند رب العالمين ، والخفية عن عباده أجمعين ، ذلك الميقات الذي ينتهي عنده أجل الدنيا بما فيها ، فحينئذ تنتهي الحياة من على هذه الأرض وسائر بقاع الكون الأخرى ، وينتثر هذا النظام الكوني بأجمعه.

فهذه النهاية التي تنعدم عندها الحياة من الكون ، وينهار عندها نظامه ، وتتبدل معالمه وتنتثر أجزاؤه ، وهو بدء ما يسميه القرآن الكريم بـ (اليوم الآخر).

كيف تقوم الساعة بعد إنعدام الحياة؟

إن اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغييير عام في هذا الكون ، فتنشق السماء ، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب ، وتتفتت الأرض ، وتغدو صعيداً جُرزاً ، وتصبح الجبال كثيباً مهيلاً ، ويخرب كل شيء ، ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود ، قال تعالى : "يوم تبدل الأرض والسموات" ، (إبراهيم : 48).

ويكون هذا على إثر النفخة الأولى في الصور ، ينفخها اسرافيل بأمر ربه ، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض ، إلا من شاء الله ، يقول تعالى : "ونفخ في الصور فصعق من في السموات ، ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون" (الزمر : 68) ، ويقول جل من قائل: "فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية" (الحاقة: 13-16) ، ويقول تعالى: «ما ينظرون إلا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون ، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون». (يس : 49-50).

"فهنالك صور (والصور هو البوق) ، وهنالك نفخ يكون في الصور ، تصعق له الأرواح ، إلا من شاء الله أن لا يصعق بذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بهم أرواح الأنبياء والشهداء ، كما يحتمل أن يكونوا بعض الملائكة: كإسرافيل وميكائيل وجبريل وملك الموت" (الوطي: 1402 ، ص 339).

"وقد سمى القرآن الكريم النفخة الأولى (1) بالراجفة ، والنفخة الثانية (2) بالرادفة ، قال تعالى : يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة" (النازعات : 6-7) وفي موضع آخر سمى الأولى (1) بالصيحة ، وصرح بالنفخ بالصور في الثانية ، قال تعالى : "ما ينظرون إلا صيحةً واحدة تاخذهم وهم يخصمون ، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ، ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون" (يس : 49-51). (الأشقر : 1988 ، 39/2).

وقد جاءت الأحاديث النبوية مصرحة بالنفختين ، والمقدار الذي يكون بينهما ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين النفختين أربعون ، قالوا : يا أبا هريرة ، أربعون يوماً؟ قال: أبيت ، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت» (فتح الباري : 447/8 -448) ، (شرح مسلم للنووي: 91/18).

وأخرج مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ، ليتاً ، ورفع ليتاً - أي رفع عنقه ثم أماله - ، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال: فيصعق ، ويصعق الناس ، ثم يرسل الله - أو قال - ينزل الله مطراً ، كأنه الطل ، أو الظل ، فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» (شرح مسلم للنوو : 76/18).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وبعد النفخة الأولى يأمر الله سبحانه بالنفخة الثانية ، فتعود الحياة على إثرها إلى الأموات ، وهذا هو البعث ، وهذه هي الحقيقة الأولى من حقائق اليوم الآخر ، وإليك أخي الدارس ما جاء من نصوص عن هذه الحقيقة.

1.5 البعث

وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً كما كان في الدنيا ، فيخرج الله الناس من الأجداث أحياء فيقول الكفار والمنافقون حينئذ : "يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا" (يس : 52) ، ويقول المؤمنون: «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» (يس :52).

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أول من يخرج من قبره ، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : "يصعق الناس حين يصعقون، فأكون أول من قام فإذا موسى آخذ بالعرش ، فما أدري أكان فيمن صعق" (فتح الباري: 312/11).

"وحيث كان البعث إعادة بناء الأجساد بعد فنائها ، وإعادة الحياة لها بعد سلبها منها ، فإن كل عقل سليم يدرك بداهة أن البدء والإعادة أمران متساويان ، فمن يبدأ الخلق ثم يفنيه ، قادر على إعادته وبعثه لا محالة ، قال الله تعالى : «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم» (الحج: 7) ، (حبنكة الميدان: 1979 ، ص 650).

وإذا أردنا إقامة الدليل على بعث الموتى من قبورهم ، فإننا لا نجد قولاً أوجز ، ولا بياناً أوضح، ولا برهاناً أصح ، ولا حجة أحسن ، من أسلوب القرآن الكريم في إثبات البعث.

الأدلة على البعث :

فالبعث من المسائل التي أقام القرآن الدليل عليها ، وردَّ على منكريه في غالب سور القرآن الكريم ، علماً بأن المنكرين للبعث ليس لهم دليل على إنكارهم ، ذلك أنه أمر من أمور الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، والضابط في هذه الأمور أنه لا سبيل لأحد في إثباتها أو إنكارها إلا سبيل واحد ، هو إعلام الله عز وجل ، فمن قامت الحجج القاطعة على تلقيه من عند الله تعالى ، فهو الصادق فيما يخبر به عن شيء من هذه الأمور ، وهذا أمر لم يثبت إلا للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، فهم الذين أطلعهم على الغيب.

وشبه الذين أنكروا البعث ، قائمة على الشكوك حول وجود ذلك البعث ، واستبعادهم العودة إلى الحياة بعد تحولهم إلى رفات وعظام وتراب ، كما أخبر تعالى عنهم : "أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد" (ق : 3) ، "وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون" (الجاثيه : 34).

وقد ردَّ الله سبحانه على هذه الشبه ، وبيّن تفاهتها في أكثر من موضع في كتابه العزيز ، وبين لهم أن الإيمان بالمعاد لا ينكره العقل ، بل يؤيده ، ولا يخالفه المعهود ، بل له أمثلة في حياة الناس ، وشواهد من صنع الخالق ، من ذلك :

أ- قوله تعالى: "وقالوا : أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ، قل: كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا؟ قل: الذي فطركم أول مرة ، فسينغضون إليك رؤوسهم ، ويقولون: متى هو؟ قل : عسى أن يكون قريباً" (الإسراء : 49-52).

فتأمل أخي الدارس كيف أجاب القرآن منكري البعث عن كل سؤال ، فإنهم قالوا أولاً: (أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) ، فقيل لهم في جواب هذا السؤال : إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم ، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت ، كالحجارة والحديد ، وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟!

ب- وقوله تعالى: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال: من يحيي العظام وهي رميم؟ قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون، أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم». (يس : 78-81).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: لقد احتج الله على هؤلاء الكافرين ، وأقام عليهم الحجة ، بالبراهين الظاهرة أمام أعينهم ، ومن أجل معرفة الحجج التي أقامها الله على الكافرين ، بادر أخي الدارس إلى حل التدريب التالي :

تدريب (5)

راجع الآيات القرآنية السابقة من سورة (يس) ، ثم أذكر أهم الحجج والبراهين التي أقامها الخالق جل وعلا على الكافرين ، ولا مانع أن تستعين بأحد كتب التفسير.

2.5 الحشر

والحشر: هو الجمع ، وقد سمي يوم القيامة بيوم الجمع ، لأن كل الخلائق تجمع في هذا اليوم العظيم. ويكون الحشر بعد بعث الخلائق وإخراجهم من قبورهم ، يقول تعالى : "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، ونسوق المجرمين إلى جهنم وِرداً" (مريم : 85-86).

فيتم حشر الخلق إلى موقف الحساب ، بسوقهم جميعاً إلى الموقف ، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء بينهم.

وقد تظاهرت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ، تثبت حقيقة الحشر ، وتعرض طائفة من الصور التي ستكون في ذلك اليوم الرهيب ، وذلك لتقريب حقيقة ما سيجري فيه إلى الأذهان ، وتمكين العظة من القلوب وتعميق الخشية في الأنفس.

ومن الصور التي عرضها القرآن الكريم ، ووضحتها الأحاديث الصحيحة ما يلي:

أ- فمن ذلك تشقق الأرض عن الخلائق يوم القيامة ، لبعثهم عقب النفخة الثانية ، فيخرجون منها سراعاً إلى موقف الحشر ، يقول تعالى : «يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» (ق : 44) ، وعند خروج الناس من قبورهم يصيبهم ذهول عظيم يصوره رب العزة في آيات عدة منها قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" (عبس : 33-37).

(ب) ومن ذلك تسوية أرض المحشر ، فتكون كلها بارزة ، لا جبال فيها ولا وديان ، يقول تعالى : "ويوم نسيير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً" (الكهف : 47) ، وقد جاء في الحديث توضيح صورة المحشر بتشبيهها برغيف الخبز المصنوع من الدقيق النقي ، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرصة النقي ، ليس فيها معلمٌ لأحد» (فتح الباري: 11 / 315). (حنبكة الميداني : 1979 ، ص 653 - 654).

يقول ابن حجر: "والمَعْلَم : بفتح الميم واللام ، هو الشيء الذي يستدل به على الطريق ، وقال عياض : المراد أنها ليس فيها علامة سكن ، ولابناء ، ولا أثر ، ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات ، كالجبل والصخرة البارزة ، وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها" (فتح الباري : 315/11).

(جـ) ومن ذلك أن الحشر يعم الإنس والجن والملائكة ، وكل دواب الأرض وطيورها.

«وقدرة الله تحيط بالعباد ، فالله لا يعجزه شيء ، وحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم ، إن هلكوا في القضاء ، أو غاروا في أعماق الأرض ، وإن أكلتهم الطيور الجارحة، أو الحيوانات المفترسة ، أو أسماك البحار ، أو غيبوا في قبورهم في الأرض ، كل ذلك عند الله سواء ، يقول تعالى : أين ما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير (البقرة: 148) ، وكما أن قدرة الله محيطة بعباده تأتي بهم حيثما كانوا ، فكذلك علمه محيط بهم ، فلا ينسى منهم أحد ، ولا يضلُّ منهم أحد ، لقد أحصاهم خالقهم ، وعدهم عداً : «إن كلُّ من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً» (مريم : 93-95) (الأشقر: 1988 ، 56/2).

«أما حشر الإنس والجن فلأنهم مكلفون ، وأما حشر الملائكة فليقوموا بوظائفهم ، وأما دواب الأرض وطيورها ، فلتأدية وظيفة الشهادة على الناس بحسب مشاهدتها في الدنيا ، وكذلك مشاهدتها عقاب من ظلمها من الناس بحسب مشاهدتها في الدنيا ، وكذلك مشاهدتها عقاب من ظلمها من الناس في الدنيا ، يقول تعالى في إثبات حشرها: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون" (سورة الأنعام: 38) ، وقد جاء في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على الفائدة من حشرها:

فمن ذلك: القصاص من البهائم الظالمة في الدنيا للمظلومة منها ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَتُؤَدُنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها" (شرح مسلم للنووي: 136/16) (يقاد : أي يقتص ، والجلحاء: أي التي لا قرون لها)" (حبنكة الميدان : 1979 ، ص 655).

(د) ومن ذلك ما يصيب أهل الموقف من كرب شديد ، يتفاوت بمقدار أهل الموقف في الحياة الدنيا من طاعة وعصيان لرب العزة ، فالشمس تقترب من الناس حتى يعرقون عرقاً شديداً ، كل حسب معصيته ، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول: "تُدنى الشمسُ يوم القيامة من الخلق ، حتى تكون منهم كمقدار ميل ، - قال سليم بن عامر: فوالله ما يعني بالميل ، أمسافة الأرض ، أم الميل الذي تكتحل به العين - ، قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يُلجمه العرق إلجاماً ، قال: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه". (شرح مسلم للنووي : 196/17).

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : «يوم يقوم الناسُ لرب العالمين ، قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه» (شرح مسلم للنووي: 195/17).

والناس في الحشر يكونون وقوفاً في انتظار الحساب ، ولذلك سميت أرض المحشر بـ (أرض الموقف) ، وفي أثناء ذلك يكون بعض الناس في ظل الله عز وجل ، بسبب طاعتهم له في الدنيا ، وهؤلاء لا يعانون الشدائد التي يقاسي منها الآخرون ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافاً من هؤلاء الذين قد رضي الله عنهم ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سبعة يُظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه مُعلقٌ في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته إمرأة ذات منصب وجمالٍ فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه". (فتح الباري : 113/2 - 115).

ومما يجري في الحشر كذلك ، أن الناس يحشرون إلى أرض الموقف (حفاة عراة غرلاً - أي غير مختونين) ، كما بدأهم الله في الخلق الأول ، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عُراة عزلاً ، قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ، قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض" (شرح مسلم للنووي : 193/17).

وأخرج مسلم أيضاً عن ابن عباس قال: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حُفاة عُراة عُزلاً ، (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) ، ألا وإنّ أول الخلائق يكسى يوم القيامة : إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي!؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول: كما قال العبد الصالح : (وكنت عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ...) ، فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" (شرح مسلم : 194/17).

(١) "وقد تكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم عليه السلام بالكسوة ، فروي أنه لم يكن في الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه السلام ، فتعجل له كسوته أماناً له ليطمئن قلبه. ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أُمر بلبس السراويل إذا صلى ، مبالغة في

التستر وحفظاً لفرجه من أن يماس مصلاه ، ففعل ما أمر به ، فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة. ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس ، كما يفعل بمن يراد قتله .. قلما صبر واحتسب .. دفع الله عنه شر النار في الدنيا والآخرة ، وجزاه بذلك العري ، أول من يدفع عنه العري يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وهذا أحسنها والله أعلم." (القرطبي: 209).

3.5 الشفاعة

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، الشفاعة مظهر من مظاهر رحمة الله عز وجل بعباده ، ويتجلى هذا المظهر بأشكال مختلفة ، ولكنها جميعاً تتم بهذا الشكل تكريماً لعباد الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين والصديقين والصالحين ، وهذه الشفاعة لا تقبل إلا بإذن الرحمن.

والآيات التي تتحدث عن الشفاعة كثيرة جداً ، فمن ذلك قوله تعالى: "لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً" (مريم : 87) ، وقوله : "يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً" (طه: 109).

نقل الإمام النووي عن القاضي عياض قوله:

"الشفاعة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وهذه وردت أيضاً لنبيّنا صلى الله عليه وسلم.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار ، فيشفع فيهم بنبيّنا صلى الله عليه وسلم ، ومن شاء الله تعالى،

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين ، فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، والملائكة ، وإخوانهم من المومنين ، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله ، كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون.

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

..... وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبيّنا صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها ، وعلى هذا فلا يلتفت إلى قول من قال: أنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لكونها لا تكون إلا للمذنبين ....

ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتدٍ بعمله ، مشفق من أن يكون من الهالكين ، ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة ، لأنها لأصحاب الذنوب ، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف" (شرح مسلم للنووي : 35/33 - 36).

أما الشفاعة الأولى، فهي المسماة بالعظمى، الخاصة بنبيّنا صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

"فعندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كي يأتي لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويذكرونه بفضله وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر ..... ويحيلهم إلى نوح، أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذي سماه الله عبداً مشكوراً، فيأبى ..... وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولي العزم من الرسل، وكل يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فيقوم مقاماً يحمده عليه الأولون والآخرون، وتظهر به منزلته العظمة، ودرجته العالية، فيستأذن على ربه، فيأذن له، ويحمده ويمجده، ويسأله ..... فيستجيب له ..." (الأشقر: 1988، 173/2).

وقد جاءت عن هذه الشفاعة العظمى عدة أحاديث منها ما أخرجه البخاري عن عبدالله إبن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس على وجهه مُزْعَةُ لحم، وقال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن. فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وزاد عبدالله: ... فيشفع ليُقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم» (فتح الباري: 264/3).

وما أخرجه البخاري كذلك عن (إبن عمر (مرفوعاً) قالب: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً، كل أمة تتبع نبيّها، يقولون: يا فلان اشفع؟ حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود" (فتح الباري: 322/8).

وما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة"، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذلك؟! يجمع الله يوم القيامة، الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفُذُهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعضٍ ألا ترون ما أنتم فيه؟! ألا ترون ما قد بلغكم؟! ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟! فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم ..... فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فانطلق، فآتي تحت العرش فاقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من محامدة وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحه لأحد من قبلي، ثم قال: يا محمد، ارفع رأسك سل تعطه، إشفع تُشفع، فارفع رأسي فأقول....." (شرح مسلم للنووي: 67/3 - 69).

ويروي الحافظ ابن حجر عن الطبري قوله عن معنى المقام المحمود المذكور في الأحاديث السابقة: "قال أكثر أهل التأويل (المقام المحمود) هو الذي يقومه النبي صلى الله عليه وسلم ليريحهم من كرب الموقف، ثم أخرج عدة أحاديث في بعضها التصريح بذلك، وفي بعضها مطلق الشفاعة .....

ثم يعلق ابن حجر فيقول : ..... والراجح أن المراد بالمقام المحمود: الشفاعة ، لكن الشفاعة التي وردت في الأحاديث المذكورة في المقام المحمود نوعان ، الأول : العامة في فصل القضاء ، والثاني : الشفاعة في إخراج المذنبين من النار. (فتح الباري : 357/11 - 358).

ويقول الإمام النووي عن حكمة سؤال آدم عليه السلام وبقية الأنبياء قبل نبيّنا صلى الله عليه وسلم : "والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله وسلامه عليهم في الابتداء ، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي والله أعلم : إظهار فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لو سألوه ابتداء ، لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله ، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ، ثم سألوه فأجاب ، وحصل غرضهم ، فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس. وفيه تفضيله عليه الصلاة والسلام على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة ... (شرح مسلم للنووي : 56/3).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وأما ما ورد من أحاديث في الأقسام الأخرى من أنواع الشفاعة، فنذكر بعضاً منها:

1- أخرج مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً». (شرح مسلم للنووي : 73/3).

2- وأخرج مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرعُ باب الجنة» (شرح مسلم للنووي : 73/3).

3- وأخرج مسلم عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أنا أول شفيع في الجنة ، لم يُصدَّق نبيٌ من الأنبياء ما صُدقتُ". (شرح مسلم للنووي : 73/3).

4- وأخرج مسلم عن أنس مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك" (شرح مسلم للنووي : 73/3).

5- وما أخرجه مسلم عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى إبني إبراهيم خليل الله ، قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك».... حتى ينتهون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيشفع ... (شرح مسلم للنووي : 70/3).

6- وما أخرجه مسلم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ، ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم ، أو قال بخطاياهم ، فأماتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة ، فجئي بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل .....» (شرح مسلم للنووي : 37/3).

7- وما أخرجه مسلم من حديث أنس ومنه : .... «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتوني ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله ، فيقال : يا محمد إرفع رأسك ، قل تسمع ، سل تعطه ، إشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يُعلمنيه ربي ، ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : إرفع رأسك يا محمد ، قال تسمع ، سل تعطه ، إشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال : فلا أدري في الثالثة ، أو في الرابعة قال: فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ، أي وجب عليه الخلود» (شرح مسلم للنووي : 3/57-58).

8- وأخرج مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» (شرح مسلم للنووي : 3/59-60).

9- وأخرج مسلم في حديث طويل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : «فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوئ ذلك من الأبواب ...» (شرح مسلم للنووي : 3/69).

10- وأخرج البخاري عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير ، قلت : وما الثعارير ؟ قال : الضغابيس - أي القثاء الصغير -» (فتح الباري : 11/357-360).

11- وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لكل نبي دعوة يدعوها ، فأريد أن أختبي دعوتي شفاعة» لأمتي يوم القيامة» (شرح مسلم للنووي : 3/73).

12- وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وأني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» (شرح مسلم للنووي : 3/74).

يقول النووي في شرحه للحديث : «وفيه دلالة لمذهب أهل الحق ، أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار ، وإن كان مصراً على الكبائر». (شرح مسلم للنووي : 3/75).

13- وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخُدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لَعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيُجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه» (شرح مسلم للنووي : 3/85).

14- وأخرج مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله : هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ، ويغضب لك ؟! قال: "نعم هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا ، لكان في الدرك الأسفل من النار». (شرح مسلم للنووي : 3/84).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: هذه بعض الأحاديث الواردة في موضوع الشفاعة بجميع أنواعها ، وقد أضاف إليها الحافظ ابن حجر نوعاً آخر فقال:

"وظهر لي باتتبع شفاعة أخرى ، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسياتهم أن يدخلون الجنة ، ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال : السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفسه ، وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم قريباً : أن أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف ، أنهم قوم استوت حسناتهم وسياتهم" (فتح الباري : 359/11).

تدريب (6)

نكرت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة بعض أنواع الشفاعة التي سيقوم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، إرجع إليها ، واكتب تلك الشفاعات.

4.5 الحساب

"وهو إطلاع الله عباده قبل انصرافهم من المحشر على كل ما قد جنوه في حياتهم الدنيا ، من تصرفات فعليّة وقوليّة واعتقادية ، خيراً كانت أو شراً. والحكمة من هذا الحساب أن يُظهر الله فضائل المتقين ومناقبهم ، وفضائح العصاة ومثالبهم ، وذلك على رؤوس الأشهاد...." (البوطي : 1402 ، ص 347).

والحساب في يوم الحساب ، يدل على عدل الله جل وعلا ، فالجزاء الإلهي للمخلوق - من ثواب أو عقاب - ، سيكون بعد محاكمة عادلة ، يعرض فيها الناس على ربهم ، وتقام فيها الحجج عليهم ولهم، ويطلعون على أعمالهم ، ويقرؤون صحفهم ، يقول تعالى : «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» (الحاقة : 18) ، ويقول تعالى : «إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم» (الغاشية : 25-26).

فكل عبد يعرض على ربه ، فيتولى حسابه بنفسه ، وبدون وساطة ، فقد أخرج البخاري عن عدي بن حاتم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه تُرجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع أن يتق النار ولو بشق تمرة ... وفي روايه: فمن لم يجد فبكلمة طيبة» (فتح الباري : 341-340/11) ، وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه ، فليتحلله منها ، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه». (فتح الباري : 334/3).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: «يتفاوت حساب العباد ، فبعض العباد يكون حسابهم عسيراً ، وهؤلاء هم الكفرة المجرمون الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وتمردوا على شرع الله ، وكذبوا الرسل ، وبعض عصاة الموحدين قد يطول حسابهم ويعسر بسبب كثرة الذنوب وعظمها ..... وبعض

،عباد يحاسبون حساباً يسيراً ، وهؤلاء لا يناقشون الحساب ، أي لا يدقق ، ولا يحقق معهم ، وإنما تعرض عليهم ذنوبهم ثم يتجاوز لهم عنها ، وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : «فأما من أوتي كتابه بيمينه، فسوف يحاسب حساباً يسيراً» (الانشقاق : 7-8) (الأشقر : 1988 ، 224/2).

وفي صحيح البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من نوقش الحساب عُذب، قالت : قلت: أليس يقول الله تعالى : (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) ، قال : ذلك العرض" (فتح الباري: 337/11).

وأخرج البخاري عن عائشة أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت يا رسول الله : أليس قد قال الله تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذب" (فتح الباري : 338/11).

والمراد بالمناقشة الإستقصاء في المحاسبة ، والمطالبة بالجليل والحقير ، ولهذا فيدخل في معنى العرض إبراز الأعمال وإظهارها ، فإن كان من أهل النجاة ، فهو الذي يؤتي كتابه بيمينه، وأما إن كان من كثرت معاصيه ، فهو الذي يؤتي كتابه بشماله أو وراء ظهره.

ويعلق الحافظ ابن حجر على الحديثين السابقين شارحاً فيقول : «إن المراد بالحساب في الآية : العرض ، وهو إبراز الأعمال وإظهارها ، فيعرف صاحبها بذنوبه ، ثم يتجاوز عنه ، ويؤيده ما وقع عند البزار والطبري عن طريق عباد بن عبدالله بن الزبير سمعت عائشة تقول : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحساب اليسير ، قال: الرجل تعرض عليه ذنوبه ، ثم يتجاوز له عنها. وفي حديث أبي ذر عند مسلم : يؤتي بالرجل يوم القيامة ، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه. وفي حديث جابر عند أبي حاتم والحاكم : من زادت حسناته على سيئاته ، فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته ، فذاك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل الجنة ، ومن زادت سيئاته على حسناته، فذاك الذي أوبق نفسه ، وإنما الشفاعة في مثله...» (فتح الباري : 339/11).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: إن الأحاديث التي سبق ذكرها ، تؤكد أن من نوقش الحساب عذب ، أو هلك ، وبناء على هذا ، فإنه يسأل عن كل جزيئة ، ويطالب بالعذر والحجة فلا يقبل منه عذر ولا حجة ، فيهلك عندئذ مع الهالكين ، ويأمر الله تعالى منادياً ينادي عليه بسيئات أعماله ، فيفضح بين الخلائق ، وهذا بخلاف ما يتم مع الذي يحاسب حساباً يسيراً. وقد أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «يدنو المؤمن من ربه ، حتى يضع عليه كنفه - أي ظله - ، فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا؟ يقول : أعرف ، يقول : رب أعرف مرتين ، فيقول : سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم ، ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار ، فينادى على رؤوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذّبوا على ربهم». (فتح الباري : 285/8).

☆ ومن أجل إقامة الحجة على العصاة والكافرين في أثناء مناقشتهم الحساب ، فإن الله عز وجل يأتي لهم بالشهود ، أو بوسائل الإثبات التي تدينهم ، وأهم الشهود:

1- شهادة كتب الأعمال ، أو الصحف.

(2) شهادة الإنسان على نفسه ، وذلك من خلال شهادة أعضائه ، التي تنطق بإذن الله وقدرته ، شاهدة عليه ، يقول تعالى : "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" (النور : 24) ، وقوله تعالى : «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» (يس : 65).

(3) شهادة الرسل والأنبياء على الأمم ، يقول تعالى : "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً" (النساء : 41) ، وقوله تعالى : «ويوم نبعث في كل أمةٍ شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء» (النحل : 89) ، وقوله تعالى: «ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم» (القصص : 75).

(4) شهادة الأرض بما حدث على ظهرها ، كما قال الله عز وجل : «يومئذ تحدث أخبارها» (الزلزلة : 4)، «وقد قال عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما أخبارها؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا ، كذا وكذا ، فهذه أخبارها ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب» (أخرجه الترمذي 446/5 رقم 3353 ، واين حبان 360/16 ، رقم 7360).

أخي الدارس ، أختي الدارسة : وأول عمل يحاسب عليه العبد من أعماله ، هو الصلاة ، فإن صلحت صلح عمله كله ، فعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً ، قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك» (أخرجه احمد 560/2 رقم 9473)(ابن الأثير / جامع الأصول : 434/10).

هذا عن العمل ، أما عن القضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه ، فقد أخرج البخاري عن ابن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أول ما يُقضى بين الناس في الدماء" (فتح الباري : 333/11).

يقول الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : «ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفعه: أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته .... لأنه الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق ، والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق ، وقد جمع النسائي في روايته في حديث ابن مسعود بين الخبرين ولفظه : أول ما يحاسب العبد عليه صلاته ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء» (فتح الباري : 333/11-334).

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ألوفاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تدخل الجنة بغير حساب ، وذلك لتوكلهم على الله حق توكله ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ، ذكر هؤلاء ، وذكر صفاتهم ، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» (فتح الباري : 257/11) وفي رواية أخرى «هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون ، وعلى ربهم يتوكلون».

5 صحائف الأعمال

أخي الدارس ، أختي الدارسة: المراد بالصحف ، كتب الأعمال التي يسجل بها أعمال الإنسان، من خير أو شر ، يقول تعالى: «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ، ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً» (الكهف:19).

«فمن إعذار الله لخلقه ، وعدله في عباده أن يطلعهم على ما قدموه من صالح أعمالهم وطالحها ، حتى يحكموا على أنفسهم ، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر ، يقول تعالى: "يوم تجدُ كل نفسٍ ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوءٍ ، تود لو أن بينها وبينه أمراً بعيداً" (آل عمران : 30). واطلاع العباد على ما قدموه يكون بإعطائهم صحائف ، وقراءتهم لها ، فقد أخبرنا ربنا - تبارك وتعالى - أنه وكّل بكل واحد منا ملكين يسجلان عليه صالح أعماله وطالحها ، فإذا مات ختم على كتابه ، فإذا كان يوم القيامة أعطى العبد كتابه ، وقيل له : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً. قال تعالى : "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً" (الإســـــراء : 13-14). (الأشقر : 1988 . 206/2). .

"ويسلم المكلفون كتب أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم ، إذا كانوا من أهل اليمين في الحياة الدنيا، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أو بشمائلهم ومن وراء ظهورهم إذا كانوا من أهل الشمال في الحياة الدنيا ، وهم الذين كفروا وعملوا السيئات. قال الله تعالى: "فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبوراً، ويصلى سعيراً" (الإنشقاق : 7-12).

ويفسر القرطبي قوله تعالى «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" فيقول : «ذكر العنق ، عبارة عن اللزوم ، كلزوم القلادة للعنق. وقال ابراهيم بن أدهم: كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نُسخة عمله، فإذا مات طويت ، وإذا بعث نشرت ، وقيل له : إقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ... فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البحث حوسبوا ، قال الله تعالى "فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب ، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم". (القرطبي/التذكرة: 255/1).

ويضيق القرطبي قائلاً:

«فتوهم نفسك ، وأنت بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك ، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة "سررتها ، وأنت تقرأ ما فيها ، بلسان كليل ، وقلب منكسر ، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك ، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرتها ، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها ، وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه ، بعد أن كان أملك فيه عظيماً، فياحسرة قلبك ، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك» (القرطبي/ التذكرة : 256/1).

6|5 الميزان

أخي الدارس ، أختي الدارسة : وفي ختام الحساب ، ينصب الميزان لوزن أعمال العباد ، وهذا الميزان دلالة على إقامة العدل عند الحكم بعد الحساب ، فهو ميزان حق ، لا يظلم مثقال ذرة ، قال الله تعالى في بيان حقيقة الميزان : "ونضعُ الموازين القسطَ ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً ، وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين" (الأنبياء : 47).

يقول القرطبي عن الميزان :

«وإذا انقضى الحساب ، كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ، ليكون الجزاء بحسبها» (القرطبي/التذكرة: 309/1).

«وقد دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيق ،لا يقدر قدره إلا الله تعالى» (الأشقر:1988 ، 247/2). وقد روى القرطبي عن سلمان الفارسي أنه قال: «توضع الموازين يوم القيامة ، فلو وضعت فيهن السموات والأرض لو سعتهن ، فتقول الملائكة : يا ربنا: ما هذا ؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي ، فكفة الحسنات من نور ، والأخرى من ظلام، فالكفة النيرة للحسنات ، والكفة المظلمة للسيئات» (القرطبي/التذكرة : 313/1).

واختلف في معنى قوله تعالى «ونضع الموازين القسط» ، هل المراد أن لكل شخص ميزاناً؟ أو لكل عمل ميزان؟

يقول الحافظ ابن حجر مجيباً عن ذلك:

«.... والجمع باعتبار تعدد الأعمال ، أو الأشخاص ، ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالى "ومن خفت موازينه". ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم ، كما في قوله تعالى "كذبت قوم نوح المرسلين" ، مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد. والذي يترجح أنه ميزان واحد ، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله» (فتح الباري : 461/13).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وقد تتساءل : ما الذي يوزن في الميزان؟

والجواب على ذلك أورده الحافظ بن حجر فقال : "قيل: إنما توزن الصحف ، وأما الأعمال فإنها أعراض فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة... وهذا ما رجحه القرطبي ، في أن الذي يوزن صحائف الأعمال". ويقويه حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمر بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب ، فيقول الله تعالى : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول: أحضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول : فإنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع إسم الله شيء.(أخرجه الترمذي 24/5 رقم 2639 ، وأحمد 668/2 رقم 7013 ، وابن حبان 461/1

رقم 225). (جامع الأصول /ابن الأثير: 459/10). ويضيف ابن حجر قوله: والصحيح أن الأعمال هي التي توزن .... وأنها تجسد أو تجعل في أجسام، فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة، ثم توزن. وقد أخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن"، وفي حديث جابر رفعه: "توضع الموازين يوم القيامة، فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار" (فتح الباري: 462/13).

وقد ذكر العلماء رأياً ثالثاً في الذي يوزن في الميزان، «وهو أن الذي يوزن هو العامل نفسه» فد دلت (بعض) النصوص على أن العباد يوزنون يوم القيامة، فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، لا بضخامة أجسامهم، وكثرة ما عليهم من لحم ودهن.

والحق أن هذا الحديث وغيره لا يدل على وزن الرجل في الميزان، لأن المراد هنا بيان حقيقة واضحة في هذا اليوم العظيم، وهو أن مكانة الإنسان ليس بطوله وعرضه أو جاهه، وإنما بمكانته عند الله.

ومن الأعمال التي يكون لها ثقل في الميزان، الخلق الحسن لما مرّ في الحديث السابق، وكذلك الأعمال الصالحة من صلاة ووضوء، وكذلك الذكر والتسبيح، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" (فتح الباري: 463/13-464). وأخرج مسلم عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطُهورُ شطرُ الإيمان، والحمدالله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد الله تملآن، أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نورٌ، والصدقة برهان، والصبر ضياءٌ، والقرآن حجة لك أو عليك، كلُّ الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" (شرح مسلم للنووي: 100/3).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام. (فتح الباري: 462/13).

7.5 الصراط

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "والصراط يطلق على معنيين: أحدهما في الدنيا، وهو المنهج الذي شرعه الله لعباده وأمرهم باتباعه والتزامه، وهو المعني بقول تعالى: "وأنّ هذا طراطي مستقيماً فاتبعوه" (الأنعام: 153)، وقوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم". (الفاتحة: 6). ثانيهما في الآخرة: وهو الجسر الذي ينصب على نار جهنم يوم القيامة، فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم وأضرابهم وتفاوت درجاتهم، فمنهم من يدق تحت قدميه حتى يبدو له أنه أدق من السيف، فيترنح من فوقه ثم يهوي في النار، ومنهم من ينبسط عريضاً تحت قدميه فيمر من فوقه إلى ما أعده الله له من النعيم المقيم". (البوطي: 1402، ص 353).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وهذا الجسر كما وصفته الأحاديث الصحيحة : بأنه أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، وهو في ظلام دامس ، والمرور عليه لجميع الناس: الأنبياء والصديقين ، والمؤمنين ، والكفار ، ومن يحاسب ومن لا يحاسب ، وتكون سهولة مرور الناس على الصراط على حسب أعمالهم في الحياة الدنيا ، فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالطرف ... فيمرون على قدر أعمالهم ، حتى يمر المقل في العمل الصالح ، تخر يد وتعلق يد ، وتخر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار.

ويعطون نوراً لاجتيازهم الصراط على قدر أعمالهم ، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه... حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه ، يضيء مرة ويطفأ مرة ، إذا أضاء قدم قدمة، وإذا أطفئ قام.

وعلى جوانب الصراط كلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً ، مثل شوك السعدان ، فمن اهتدى إلى الصراط المستقيم في الحياة الدنيا ، هداه الله وأضاء طريقه عند اجتيازه له ، ومن ضلّ عن هذا الطريق عمي وأظلم عليه ، فلا يجد طريقه وهوى إلى النار.

ومن الأحاديث التي ذكرت الصراط وما يجري فيه:

1- حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "..... ويُضرب جسر جهنم ، فأكون أول يُجيز ، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم ، سلم. وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم ، منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل، ثم ينجو .... (فتح الباري : 382/11).

2- وفي رواية مسلم ... "تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقي بعمله ، ومنهم المجازى حتى يُنجى ...." (شرح مسلم للنووي : 21/3).

3- وفي حديث آخر أخرجه مسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.... .. وترسل الأمانة والرحيم فتقومان جنبتي الصراط ، يميناً وشمالاً ، فيمر أولكم كالبرق ، قلت: بأبي وأمي ، أي شيء كمر البرق ، قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرحال ، تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم ، حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناجٍ ، ومكدوس في النار..." (شرح مسلم للنووي: 72/3).

4- وأخرج مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخُدري قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : .... "ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون: اللهم سلم سلم ، قيل : يا رسول وما الجسر؟ قال: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ - (وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر) - ، فيه خطاطيف وكلاليب وحَسَكَةٌ - (وهو شوك صلب من حديد) - ، تكون بنجدٍ شويكةٌ يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين،

وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل ، والرّكاب ، فناجٍ مُسلّمٌ ، ومخدوشٌ مرسلٌ ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى إذا خلّصَ المؤمنون من النار . (شرح مسلم للنووي : 29/3).

5- وأخرج الحاكم عن مسروق عن عبدالله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة... إلى أن قال: فيعطون نورهم على قدر أعمالهم ، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه ، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه ، يضيء مرة ، ويطفأ مرة ، إذا أضاء قدم قدمه ، وإذا طفئ قام ، قال : فيمر ويمرون على الصراط ، والصراط كحد السيف ، دحضٌ ، مزلة ، فيقال لهم : إمضوا على قدر نوركم ، فمنهم من يمر كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كالريح .... " (شرح العقيدة الطحاوية: 470 - قال الألباني عن الحديث : أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي). (أخرجه الحاكم 376/2).

تدريب (7)

من خلال الأحاديث السابقة ، فقد ذكر عليه الصلاة والسلام أوصافاً للصراط الذي سيمر عليه الناس يوم القيامة ، ارجع إليها واذكرها.

أخي الدارس ، أختي الدارسة: هذه بعض الأحاديث الصحيحة في حقيقة الصراط ، جعلنا الله ممن يجتازونه بالابتعاد عن المعاصي والكبائر المؤدية إلى غضب الله ، روى الحافظ ابن حجر عن القاضي (أبو بكر بن العربي) قوله : "هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث : حفت النار بالشهوات ، قال: فالشهوات موضوعة على جوانبها ، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار ، لأنها خطاطيفها" (فتح الباري : 283/11).

والمرور على الصراط ، هو الورود المذكور في قوله تعالى: وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً ، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً". (مريم : 71-72).

يقول شارح الطحاوية : "واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) ، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط .. وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا يلج النار أحدٌ بايع تحت الشجرة ، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله : أليس الله يقول: (وإن منكم إلا واردها) ، فقال: ألم تسمعيه قال: (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً). (أخرجه الترمذي 652/5 رقم 3860 ، وأبو داود 41/5 رقم 4653). فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله .... وكذلك حال الوارد في النار ، يمرون فوقها على الصراط ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً ... فالورود هو الورود على الصراط". (شرح العقيدة الطحاوية : 471).

وقد حدثنا الحق تبارك وتعالى عن مشهد مرور المؤمنين على الصراط فقال: "يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

ذلك الفوز العظيم ، يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور" (الحديد: 12-14) ، فالحق يخبر أن المؤمنين والمؤمنات الذين استناروا بهذا الدين العظيم في الدنيا ، وعاشوا في ضوئه ، يعطون يوم القيامة نوراً يكشف لهم الطريق الموصلة إلى جنات النعيم ... ويحرم المنافقون الذين كانوا يزعمون في الدنيا أنهم مع المؤمنين ، وأنهم منهم". (الأشقر : 1988، 273/2).

«واعلم أن هذا الصراط هو بتجسيد المعنى الصراط الذي ألزم الله به عباده في الدنيا ، فمن ضيق على نفسه سبل العيش والحياة حتى لا يخرج عن صراط الله ومنهجه الذي أمر باتباعه ، اتسع أمامه الصراط الممتد على متن جهنم ، ومن وسع على نفسه سبل العيش والحياة في الدنيا فتجاوز حدود الله وأحكامه ، ضاق عليه ذلك الصراط غداً.... فمن استقام على الصراط المستقيم ، خف على صراط الآخرة ونجا ، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى ، تعثر في أول قدم من الصراط وتردى» (البوطي: 1402 ، ص 354).

5.8 الحوض

«أي حوض النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع الحوض حياض وأحواض ، وهو مجمع الماء» (فتح الباري : 392/11).

"قال القاضي عياض : أحاديث الحوض صحيحة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه .... وحديثه متواتر النقل ، رواه خلائق من الصحابة». (شرح مسلم للنووي : 53/15).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من نهر الكوثر ، وهو أشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.

وقد بدأ البخاري باب الحوض بقوله تعالى "إنا أعطيناك الكوثر" (الكوثر: 1) ، وهو إشارة إلى أن المراد بالكوثر (النهر) الذي يصب في الحوض ، فهو مادة الحوض ، كما جاء صريحاً في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قبابُ الدُرِّ المجوَّف ، قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّك ، فإذا طيبهُ أو طينه مسكٌ أذفرٌ" (فتح الباري : 393/11 و 399).

نشاط (3)

ارجع إلى أحد معاجم اللغة العربية واستخرج معاني الكلمات التالية: قُباب الدُر ، مسكٌ أذفر.

ويرى الحافظ ابن حجر أن إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة ، وبعد نصب الصراط ، إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، وهذا الموقع للحوض هو الذي يرجحه الحافظ ابن حجر (انظر فتح الباري : 392/11).

ولكن القرطبي في التذكرة يرى ويرجح أن الحوض سيكون قبل المرور على الصراط فيقول : "والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم فيقدم على الصراط والميزان" (التذكرة للقرطبي : 302).

وقد وردت أحاديث تذكر أن لكل نبي حوضاً ، وأن أعظم الأحواض هو حوض نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول الحافظ ابن حجر : «وقد اشتهر اختصاص نبيّنا صلى الله عليه وسلم بالحوض ، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه : أن لكل نبي حوضاً ... وأخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لكل نبي حوضاً ، وهو قائم على حوضه ، بيده عصا ، يدعو من عرف من أمته ، ألا أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً». (فتح الباري : 393/11).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: وأوردت الأحاديث كذلك الذين يردون الحوض ، والذين يمنعون من الوصول إليه ، فمن كان من أهل الجنة ورد إلى الحوض ، ومن كان من أهل النار ، وأحدث أمراً أو بدعة في الدين منع من الوصول إلى الحوض. والأحاديث كثيرة الواردة في الحوض نختار بعضاً منها:

1- إخرج البخاري عن عبدالله بن زيد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إصبروا حتى تلقوني على الحوض". (فتح الباري : 395/11).

2- وأخرج البخاري عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أنا فَرَطكم على الحوض». (فتح الباري : 395/11) - والفَرَط : بفتح الفاء والراء ، هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء ، فمعنى فرطكم على الحوض : سابقكم إليه كالمهيئ له" - (شرح مسلم للنووي : 53/15).

3- وأخرج البخاري عن عبدالله بن عمرو قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : «حوضي مسيرةُ شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً». (فتح الباري : 398/11).

4- وأخرج البخاري عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن قدر حوضي ، كما بين أيلة - أي العقبة - وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء». (فتح الباري : 399/11).

5- وأخرج البخاري عن أبي هريرة كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَرِدُ عليَّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي فيُجلون عن الحوض ، فأقول : يا رب: أصحابي ، فيقول : إنك لا علمَ لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى». (فتح الباري : 400/11).

6- وأخرج البخاري عن ابن المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يرد على الحوض رجالٌ من أصحابي فيُحلّون عنه ، فأقول: يا رب

أصحابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى». (فتح الباري : 400/11).

7- وأخرج مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فأقول :يا رب مني ومن أمتي ، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم» شرح مسلم للنووي : 55/15).

8- وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل (أحد) صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال: "إني فَرَطٌ لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها". (شرح مسلم للنووي: 57/15).

9.5 الجنة

أخي الدارس ، أختي الدارسة: ها نحن قد وصلنا إلى الحقيقة العظمى من حقائق اليوم الاخر، ألا وهي (الجنة) التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، الذين كانت تجارتهم في الدنيا الإيمان بالله ، والسعي إلى مرضاته، بالجهاد والصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول القرطبي في التذكرة : "وصف الله الجنة في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان ، في غير ماسورة من القرآن ، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وسورة الإنسان، وبين ذلك أيضاً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأوضح بيان". (التذكرة للقرطبي: 438).

والجنة مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ، أعدها الله سبحانه لثواب عباده ، ونعيمها حسي مادي يلقاه الجسد والروح معاً. فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله : "أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرؤا إن شئتم (فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون- السجدة : 17)". (فتح الباري : 247/6).

وقد أكثر القرآن الكريم من ذكر وصف الجنة ونعيمها ، وصفة أهلها في العديد من سوره وآياته، ومن ذلك قوله تعالى:

«وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية ، لا تسمع فيها لاغية ، فيها عين جارية ، فيها سررٌ مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة». (الغاشية: 8-16).

وقوله تعالى:

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين : في سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظلٍ ممدود، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة". (الواقعة : 27-34).

وقوله تعالى:

"وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ، من خشي الرحمن بالغيب ،

وجاء بقلب منيب ، ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد". (ق : 31-35).

وقوله تعالى:

"إن المتقين في مقام أمين ، في جنات وعيون ، يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين". (الدخان : 51-55).

أخي الدارس ، ومن أجل معرفة المزيد عن أوصاف الجنة وأوصاف أهلها ، بادر إلى القيام بالنشاط التالي:

نشاط (4)

ارجع إلى كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، واستخرج كلمة الجنة ، ثم ارجع إلى الآيات الكريمة التي ذكرت أوصافها وأوصاف أهلها.

وقد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما نيعم الله على أهل الجنة من نعيم ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوّة - أي العُود الذي يبخر به - ، ورشحهم المسك ، ولكل واحدٍ منهم زوجتان ، يُرى مُخ سوقهما - دلالة الصفاء - من وراء اللحم من الحُسن ، لا إختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلبٌ واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً". (فتح الباري : 248/6-249).

وعن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أول زمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم كأشدِّ كوكب إضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، لكل امرئ منهم زوجتان ، كل واحدة منهما يرى مُخ ساقها ، من وراء اللحم من الحُسن ، يسبحون الله بكرة وعشياً ، لا يسقمون ، ولا يمتخطون ، ولا يبصقون ، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب ، وقود مجامرهم الألوة". (فتح الباري : 250/6).

وعن أبي بكر بن عبدالله بن قيس الأشعري ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الخيمة دُرةً مجوفة ، طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الاخرون . (فتح الباري : 247/6).

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن في الجنة لشجرة ، يسير الراكبُ في ظلها مائة عام لا يقطعها". (فتح الباري : 251/6).

وأهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل ، حتى إن أهل الدرجات العُلى ، ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم ، وقد بين ذلك الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة يتراءَون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراؤون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال: بلى ، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين". (فتح الباري : 252/6).

والجنة لها أبواب ثمانية، كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي رواه سهل بن سعد قال: "في الجنة ثمانية أبواب ، وفيها باب يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون.. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من انفق زوجين في سبيل الله دعي من باب الجنة" (فتح الباري : 253/6).

والجنة مخلوقة موجودة الآن ، يقول الحافظ ابن حجر معلقاً على عنوان البخاري في صحيحه (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة): «أي موجودة الآن ، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلا يوم القيامة ، ويستدل على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي رواه عمران بن حصين قال: «اطلعت في الجنة ، فرأيت أكثر أهلها الفقراء» والغرض من استدلال ابن حجر كما يقول : والغرض منه هنا قوله (اطلعت) ، فإنه يدل على أنها موجودة حال اطلاعه" (فتح الباري : 247/6).

وأعظم نعمة يتلقاها أهل الجنة من الله عز وجل، هي رضوانه الذي لا يسخط بعدها أبداً ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطينا مالم تُعط أحداً من خلقك ، فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً". (فتح الباري : 353/11).

10.5 النار

أخي الدارس ، أختي الدارسة : النار ، مثلها مثل الجنة ، مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ، أعدها الله سبحانه لعقاب عباده ، والله سبحانه خلقها قبل الخلق ، وهي موجودة الآن.

وعذاب النار، حسي مادي يلقاه الجسد والروح معاً ، وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ناركم جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية؟! قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثلُ حرها". (فتح الباري : 256/6-257).

وفي حديث آخر أخرجه البخاري عن أبي ذر قول النبي صلى الله عليه وسلم : "...فإن شدة الحر من فيح جهنم". (فتح الباري : 256/6).

ومن شدة نار جهنم فإنها اشتكت إلى ربها ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتكت النار إلى ربها ، فقالت: رب أكلَ بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفسٍ في الشتاء ، ونفسٍ في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير». (فتح الباري : 256/6).

وكما هو حال الجنة ، فإن القرآن الكريم قد أكثر من ذكر وصف النار وعذابها ، وصفة أهلها في العديد من سوره وآياته ، ومن ذلك قوله تعالى : «إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً ، لابثين فيها أحقاباً، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً، إلا حميماً وغساقاً ، جزاء وفاقاً".(النبأ: 21-26).

وقوله تعالى:

"إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم". (غافر : 71).

وقوله تعالى:

لهم مقامع من حديد". (الحج : 21).

وقوله تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم". (التحريم : 6).

وقولوه تعالى:

"أذلك خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم ، إنا جعلناها فتنة للظالمين ، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم . (الصافات : 60-67).

وقوله تعالى:

"وجوه يومئذ خاشعة ، عاملةٌ ناصبة ، تصلى ناراً حامية ، تُسقى من عين آنية ، ليس لهم طعام إلا من ضريع ، لا يُسمن ولا يغني من جوع". (الغاشية : 2-7).

وقوله تعالى:

«ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجرٍ من زقوم ، فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ، هذا نزلهم يوم الدين». (الواقعة: 51-56).

وقوله تعالى:

«إن المجرمين في ضلالٍ وسعر ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر». (القمر: 47).

وقوله تعالى:

«إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً». (النساء : 56).

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بعد ذكره للآيات الكريمة السابقة : «فما الحكمة من هذا الوصف التفصيلي؟ إنه بيان وإيضاح للناس كلهم ، أنه عذاب مادي محسوس، تنغمس فيه حواس الكافرين وجسومهم ومشاعرهم». (البوطي: 1402 ، ص 360).

أخي الدارس ، أختي الدارسة: والكفار متفاوتون في العذاب حسب أعمالهم في الحياة الدنيا ، ينقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي قوله : «ولا شك في أن الكفار متفاوتون في العذاب كما علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع أن عذاب من قتل الأنبياء ، وفتك في المسلمين ، وأفسد في الأرض ، ليس مساوياً لعذاب من كفر فقط ، وأحسن معاملة المسلمين مثلاً». (فتح الباري : 355/11).

ومن أنواع العذاب التي ستقع على بعض الكافرين ما بينه عليه الصلاة والسلام من تعظيم جسم الكافر في جهنم من أجل زيادة عذابه ، ففي حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع». (فتح الباري : 354/11) ، وانما عظم خلق الكافر ليعظم عذابه ، ويضاعف ألمه.

وأهون أهل النار عذاباً رجل توضع في أخمص قدميه جمرة ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن النعمان ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، لرجلٌ توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه». (فتح الباري : 361/11). وقد ثبت في حديث آخر أن هذا الرجل هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم (أبو طالب) الذي شفع له عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عنه ، وهذا ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخُدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "وذُكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منه أم دماغه». (فتح الباري: 362/11).

وقد ثبت في أحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكثر أهل النار من النساء، وذلك لأنهن يغلب عليهن الهوى والميل إلي عاجل زينة الدنيا ، والإعراض عن الآخرة ، وسرعة انخداعهن" (فتح الباري : 351/11). ففي حديث أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : «.... ورأيت النار ، فلم أرّ كاليوم منظراً قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا: لمَ يا رسول الله ؟ قال: بكفرهن ! قيل : يكفرن بالله! قال: يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئاً ، قالت: ما رأيت منك خيراً قط». (فتح الباري : 245/9).

يقول الحافظ ابن حجر معلقاً على ما جاء في الحديث السابق: «.. فيه إشارة إلى وجود سبب التعذيب ، لأنها بذلك كالمصرة على كفر النعمة ، والإصرار على المعصية من أسباب العذاب». (فتح الباري : 245/9).

والنار كما أن عذابها للكفار والمصرين على المعصية ، فإنها أو ثرت بالمتكبرين والمتجبرين بينما الجنة أو ثرت بضعفاء الناس ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اختصمت الجنة والنار إلي ربهما ، فقالت الجنة : يا رب مالها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار : يعني أوثرت بالمتكبرين ، فقال الله تعالى للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء....». (فتح الباري: 372/13-373).

ومن أسباب عذاب النار [النفاق] وعدم الالتزام بما يأمر به الإنسان ، وبما ينهي عنه ، وخاصة إذا كان يأمر وينهى بناء على علمه ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أسامة «.... يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه - أي أمعاؤه - في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف ، وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمر بالمعروف ولا وآتيه ، وأنها كم عن المنكر وآتيه». (فتح الباري : 257/6).

وبعد أن يدخل أهل الجنة ، الجنة ، وأهل النار ، النار ، يأتي الله بالموت على هيئة كبش، فيذبح، وهذا ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد: يا أهل الجنة ؟ فيشرئبون وينظرون ، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم ، هذا الموت. وكلهم قد رآه ، ثم ينادي : يا أهل النار؟ فيشرئبون وينظرون ، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم يقول: يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت.....» (فتح الباري: 346/8).

✯ وأما عن أبدية النار وعدم فنائها، فلعلماء أهل السنة والجماعة قولان ذكرهما شارح العقيدة الطحاوية:

الأولى: أن الله يخرج منها من يشاء ، ثم يبقيها شيئاً ، ثم يفنيها ، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثاني: أن الله تعالى يخرج منها من شاء ، ويبقى فيها الكفار ، بقاءً لا انقضاء له.

ومن أدلة القول الأول : قوله تعالى : "قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم". (الأنعام: 128) ، وقوله تعالى :«فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد". (هود: 106-107) ، ولم يأت بعد هذين الاستثنائين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة ، وهو قوله تعالى :«وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ». (هود: 108) أي غير مقطوع.

✯ ويضيق شارح الطحاوية : وهذا القول ، منقول عن عمر ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وغيرهم .... وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لما قضى الله الخلق ، كتب كتاباً ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي"... وما ورد من الخلود فيها - أي النار - ، والتأبيد ، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم ، كله حق مسلم ، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب مادامت باقيه ، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد ، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله ، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه" (شرح العقيدة الطحاوية: 483-485).

وأما أدلة القول الثاني ، الذين يقولون ببقائها وعدم فنائها ، فمنها قوله تعالى: «ولهم عذاب مقيم» (المائدة: 40) ، وقوله تعالى: «لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون» (الزخرف: 43) ، وقوله تعالى : «فلن نزيدكم إلا عذاباً» (النبأ: 30). وقوله تعالى : «خالدين فيها أبداً» (البينة: 8)، وقوله تعالى : «وما هم بخارجين من النار» (البقرة: 167) ، وقوله تعالى :«لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» (الأعراف: 40) ، وقوله تعالى : «لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها» (خاطر: 36) ، وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله ، وأحاديث الشفاعة صريحه في خروج عصاة الموحدين من النار ، وأن هذا حكم مختص بهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان ، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما ، بل بإبقاء الله لهما. (شرح الطحاوية: 485-486).

ويقول الدكتور البوطي مؤكداً على هذا القول ، ومعلقاً على ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذبح الموت بعد دخول أهل الجنة للجنة ، ودخول أهل النار للنار: "وسواء أكان تجسيد الموت وذبحه بهذا الشكل حقيقة ، أم كان ذلك كناية عن القضاء على معنى الموت وإزالته من الوجود ، فإن الحديث على كل حال ينطوي على أبلغ الأساليب المؤكدة لمعنى الخلود في كل من الجنة والنار". (البوطي: 1402 ، ص 361).

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- يقول تعالى «يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة» ما المقصود بالراجفة والرادفة ، وضح ذلك؟

2- اذكر دليلاً من القرآن الكريم يدل على البعث من القبور ، واشرح هذا الدليل باختصار.

3- لماذا يتم حشر دواب الأرض وطيورها؟ وضح ذلك مع ذكر الدليل.

4- ما الحكمة في تقديم إبراهيم عليه السلام بالكسوة يوم الموقف ؟

5- تقسم الشفاعة إلى خمسة أقسام ، اذكرها مع التوضيح.

6- ما المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم (من نوقش الحساب عذب)؟

7- ما هو أول أمر يقضى بين الناس به يوم الحساب ، وضح ذلك مع الدليل؟

8- الناس أثناء مرورهم على الصراط أنواع ، أذكر كيفية مرور الناس عليه حسب انواعهم.

أجب بـ (نعم) أو (لا) على ما يلي:

1- أهل الجنة يتصفون بنفس صفات أهل الأرض؟ ✗

2- الحوض موجود في الجنة ويستمد ماؤه من نهر الكوثر؟ ✓

3- الصراط طريقه واضح ، لأن وهج نار جهنم يضيئه؟ ✗

4- الزمن الذي سيكون بين النفختين (أربعون ؟ ✓

6- أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم

إن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان ، ذلك أن الإيمان به ، وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب ، وثواب وفوز ، وخسران له أشد الأثر في توجيه الإنسان وإنضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل ، وشتان بين إثنين : أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله ، ولا يقيده غير مصلحته الشخصيه ومنفعته الذاتية. وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين فيثاب على الخير ، ويعاقب على الشر.

فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وبشهوته ، والغاية عنده تبرز أية وسيلة وأي خلق وأي عمل ، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح ، وهي الأمور التي لها وزن واعتبار عند الله في ذلك اليوم.

ويشير إلى هذه الحكمة أسلوب القرآن في الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح ، في كثير من الأحيان ... وفكرة رعاية الآخرة ، والاستعداد للحساب والجزاء ، تقترن في القرآن مع كل أمر أو نهي ، ومع كل حكم من أحكام الشريعة ، وكل توجيه أخلاقي ، من ذلك قوله تعالى : «أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين» (الماعون: 1-3) ، وقوله تعالى: "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر" (التوبة: 18) ، وقوله تعالى : "والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون" (الأنعام: 92). (ياسين: 1982، ص 74).

2- الإيمان باليوم الآخر له أثر في تحريك العواطف مثل الخجل والحياء من الله تعالى الخالق المنعم ، والخشية من لقائه وحسابه والرغبة في تجنب سخطه وغضبه ، وفي الوصول إلى مرضاته ومحبته ، وهذه العواطف كلها إذا بقيت شعلتها متوقدة في النفوس ، كانت حافزاً للإنسان على العمل فيما يرضي الله ، وعلى السلوك الصالح في الحياة.

3- الإيمان باليوم الآخر ، يعلم العبد كذلك أن شهوات الدنيا كلها لا تستحق منهم الطلب والجهد والتنافس فيها ، وأن الذي يستحق ذلك إنما هو ما أعد لهم في ذلك اليوم العظيم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل». (التوبة: 38).

4- الإيمان باليوم الآخر يجعل المسلم يؤمن أنه مراقب من الملائكة المرافقين له ، الذين وكلهم الله به دون أن يراهم ، ويقومون بتدوين كل أفعاله الصغيرة والكبيرة ، ثم تظهر هذه التدوينات في يوم آخر في غير الحياة الأولى ، يقول تعالى : «ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» (الإسراء: 13) ، وقوله تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" (الزلزلة : 8).

5- الإيمان باليوم الآخر يكون في أعماق النفس دافعاً قوياً إلى عمل الخير ومكافحة الشر ، ويكون هذا الدافع أقوى من الجزاء الدينوي أو قواعد الزجر والعقاب الموجودة في القوانين ، وذلك "لأن المكذب بيوم الدين ، هو المعتدي الظالم الأثيم ، الذي ينفر من طريق الخير، ويحتال جهده لارتكاب مسالك الشر ، إرضاء لنزوانه وشهواته". (حبنكة الميداني : 1979 ، ص 680).

6- الإيمان باليوم الآخر يكون كذلك سبباً في الإخلاص في العمل ، لأن العمل لا يكون ترقباً لمكافأة ، أو شكر ينتظره من الناس ومن المجتمع ، لأنه يعمل لوجه الله وابتغاء مرضاته.

7- والإيمان باليوم الآخر ، هو الإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة في الجزاء ، وبأن حياة الإنسان على هذه الأرض ليست سدى ، وإنما هي بميزان ، ولو بدت بدون جزاء في هذه الأرض. (المبارك : 1975 ، ص 155-158).

7- الخلاصة

هذه هي الوحدة الثالثة من مقرر العقيدة الإسلامية (2) ، وقد درست في هذه الوحدة (الإيمان باليوم الآخر) ، وما احتوته عن مفهوم اليوم الآخر وأدلته ، وشروط الساعة الصغرى والكبرى ، وعذاب القبر ونعيمه ، وكذلك حقائق اليوم الآخر ، وأثر ذلك في حياة المسلم.

ومن المفيد لأخي الدارس ، أن أوجز أهم الأفكار الرئيسية التي نوقشت في هذه الوحدة:

1- العلاقة بين الإيمان باليوم والآخر والالتزام بالعمل الصالح في الحياة الدنيا.

2- الإيمان بأن الحياة الدنيا ما هي إلا دار امتحان وابتلاء ، ليتم الجزاء في حياة أخرى يظهر فيها العدل.

3- أن القرآن الكريم قد أوضح بشكل ملموس حقائق اليوم الآخر وأحداثه ، وهذا يفسر لنا كثرة أسماء هذا اليوم في القرآن الكريم.

4- أن الله سبحانه وتعالى قد أخفى وقت الساعة عن الناس ، ولكنه سبحانه قد ذكر لهم أشراط الساعة حتى يتنبهوا ويستيقظوا من غفلتهم عند ظهورها.

5- الإيمان بأن فتنة القبر وعذابه ، ستقع على كل من يموت ، وأن القبر فيه حياة تختلف عن حياة الدنيا ، وأن ذلك قد ثبت وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6- الإيمان بأن البعث أمر هين على الله القدير ، الذي خلق الخلق من عدم.

7- الإيمان بأن الحشر سيكون لجميع الخلائق ، من الإنس والجن والدواب والطيور.

8- أن الله سبحانه وتعالى قد اختص نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم بشفاعات عدة، وهذا يدل على مكانته صلى الله عليه وسلم ومقامه.

9- الإيمان بأن الحساب في يوم الدين ، سيكون حساباً عادلاً يقام فيه الشهود ، وتوزن فيه الأعمال بعد ظهورها وإعلانها.

10- على الإنسان أن لا يستهين بأي عمل حتى ولو بدا تافهاً ، لأنه قد يؤدي إلى ثقل كبير في الميزان الذي يوزن به عمله.

11- الإيمان بأن الحوض ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

12- الإيمان بأن عذاب النار مادي محسوس ، وأن نعيم الجنة مادي محسوس ، وأن نعيم الجنة مادي محسوس.

[illegible] من الوحدة الدراسية الرابعة

ها نحن نعد العدة للفراغ من بنود الوحدة الثالثة لنستقبل معاً الوحدة الرابعة والأخيرة من هذا المقرر ، وهي الخاصة بالإيمان بالقدر سادس أركان العقيدة الإسلامية وآخرها ، وسنتعرف في معنى القدر والقضاء وما بينهما من علاقة ، وأدلة الإيمان بالقدر ، ومواقف الفرق الإسلامية من جبرية وقدرية وأهل سنة من مسألة التسيير والتخيير ، أي ما إذا كان العبد يخلق أفعاله أم أن الله هو الذي يخلق هذه الأفعال. وسيلي ذلك بيان موضوع الهداية والضلال، ثم ننهي وحدتنا الجديدة ببيان أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم.

[illegible] التدريبات

التدريب (1)

الآية الأولى التي تبشر الذي يكنزون الذهب بعذاب جهنم هي قوله تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون». (التوبة 35).

أما الآيات التي تنهى عن التطفيف في المكيال وتربطه بعذاب يوم القيامة فهي قوله تعالى: «ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم». (سورة المطففين 1-5).

تدريب (2)

بعض الأمور الدالة على معونة الشياطين للدجال من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

1) قوله صلى الله عليه وسلم عن جنته وناره: (أحدهما رأي العين ماء أبيض ، والآخر رأي العين نار تأجج) ، وفي هذا إشارة إلى أن العين تتخيل أموراً ليست حقيقية ، وهذا بلاشك من السحر الذي يكون بمعونة الشياطين.

2) قوله صلى الله عليه وسلم (أن كنوز الأرض تتبعه كيعاسيب النحل) دلالة على استعانته بالشياطين ، لمعرفتهم بمثل هذه الأمور الخافية على البشر.

3) الحديث الذي ذكر تشكل الشيطان بشلك والدّي الأعرابي ، وطلبهما من الأعرابي أن يؤمن بالدجال.

تدريب (3)

أهم الأحداث بعد نزول عيسى عليه السلام كما وردت في حديث النواس بن سمعان هي:

1- ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي مدينة دمشق.

2- ينزل لابساً ثوبين مصبوغين بالزعفران ، وينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ.

3- يلاحق الدجال فيدركه بباب مدينة اللد في فلسطين.

4- ثم يكون عيسى مع الجند المؤمنين الذين كفروا بالدجال ولم يؤمنوا به ، فيمسح على وجوههم تبركاً وبراً ، وليكشف ما هم فيه من الشدة والخوف.

5- ويوحي الله الى عيسى أن احفظ عبادي في مكان لا يصل إليه أحد وهو جبل الطور، والعباد هم أولئك الجند الذين مسح على وجوههم.

6- ويوحي الله إلى عيسى كذلك أن الله قد أذن بخروج قوم مفسدين هم (يأجوج ومأجوج) بعد أن فتحوا سدهم الذي بناه ذو القرنين ، وهؤلاء القوم لا يستطيع أحد أن يقف أمامهم أو أن يقاتلهم ، لذلك احفظ عبادي إلى مكان آمن.

7- أن عيسى عليه السلام يحاصر هو وصحبه ، ويصيبهم الجوع من شدة هذا الحصار.

8- وبسبب هذا الحصار يدعو الله عيسى أن يخلصهم من يأجوج ومأجوج ، فيرسل الله على رقابهم دودة صغيرة تؤدي إلى موتهم ونهاية فتنتهم.

9- فينزل عيسى وصحبه فيرون حال الأرض من جثث قوم يأجوج ومأجوج ، فيدعو عيسى الله أن يخلصهم منها ، فيخلصهم الله عن طريق طير يرسلها أعناقها مثل أعناق الإبل.

10- ثم يرسل الله المطر في كل أنحاء الأرض ، باديتها وحاضرتها ، فتغسل الأرض ، ثم تعود البركة والخير للأرض ، والأمن السلام إلى ربوعها إلى أن تأتي الريح الطيبة بعد موت عيسى عليه السلام.

معاني الألفاظ الواردة في الحديث: (مهرودتين: أي ثوبين مصبوغين بالزعفران) ، (الجمان: اللؤلؤ) ، (النغف: دود يعيش في أنوف الإبل والغنم) ، (فرسى: قتلى) ، (زهمهم ونتنهم: رائحتهم الكريهة) ، (الزلفة: المرأة في صفائها) ، (بقحفها: قعر قشرتها) ، (الرسل: اللبن) ، (اللقحة: ذات اللبن) ، (الفئام : الجماعة الكثيرة).

تدريب (4)

أهم المفاسد التي يقوم بها يأجوج ومأجوج من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

1- أن أكثر فسادهم إفسادهم في بلاد العرب ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم محذراً (ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب).

2- تكاثرهم وتناسلهم وأعدادهم الهائلة ، ولذلك قال القرآن الكريم (وهم من كل حَدَب ينسلون) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه).

3- أنهم يأكلون الأخضر واليابس ، فلا يمرون على شيء إلا أكلوه ، حتى انهم يأكلون من مات منهم.

4- يشرب أولهم (فقط) بحيرة طبرية ، وهذا يدل على إستهلاكهم الشديد للماء ، مما يؤدي إلى قلته.

5- لشدة تكبرهم وتجبرهم في الأرض ، يزعمون أنهم سيقتلون من في السماء ، فيزيدهم الله تجبراً ويستدرجهم بإرجاع سهامهم مخضبة دماً.

تدريب (5)

الحجج والبراهين التي جاءت في آيات سورة (يس) هي:

1- قوله تعالى «قل يحيها الذي أنشأها أول مرة» ، فقد احتج بالإبداء على الإعادة ، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى ، فكل عاقل يعلم أن من قدر على هذه ، قدر على هذه.

2- قوله تعالى «وهو بكل شيء عليم» ، فقد احتج جل جلاله بعمله ، فإذا كان سبحانه تام العلم ، فهو كامل القدرة؟ فكيف اذن يتعذر عليه أن يحيى العظام وهي رميم.

3- قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون» ، فقد أخبر سبحانه بأنه يخرج هذا العنصر (أي النار) الذي هو في غاية الحرارة ، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة ، فالذي يخرج من الشيء ضده ، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ، ولا تستعصي عليه ، هو الذي يحيي العظام وهي رميم:

4- قوله تعالى «أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم» ، فقد احتج سبحانه على منكري البعث : بأن الذي أبدع السموات والأرض ، على جلالتهما ، وعظم شأنهما ، وكبر أجسامهما ، وسعتهما ، وعجيب خلقهما ، أقدر على أن يحيى عظاماً إذا صارت رميماً ، فيردها إلى حالتها الأولى. (انظر شرح العقيدة الطحاوية: 460-461).

تدريب (6)

★ أنواع الشفاعات التي ذكرها عليه الصلاة والسلام ، والتي سيقوم بها يوم القيامة:

1. يقرع باب الجنة ، ويستفتح لأهلها بالدخول.
2. يشفع في دخول الجنة لمن لا حساب عليه من أمته.
3. شفاعته لمن دخل النار من أمته أن يخرجوا منها.
4. شفاعته لمن قال (لا إله إلا الله) وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة أو برة ، أن يخرج من النار.
5. شفاعته لأهل الكبائر من أمته ، أن لا يخلدوا في النار.
6. شفاعته لعمه أبي طالب في تخفيف عذاب النار ، فيكون في ضحضاح من النار ، بدل الدرك الأسفل من النار.
7. دخول أصحاب الأعراف الجنة بشفاعته عليه الصلاة والسلام.

تدريب (7)

★ أوصاف الصراط الذي سيمر عليه الناس يوم القيامة

1. الصرط جسر منصوب على جهنم.
2. أن مسافة الصراط طويلة جداً.
3. انه أحد من السيف وأدق من الشعر.
4. على جوانبه كلاليب ، تخطف الناس ، وهي مثل شوك السعدان.
5. أن طريق الصراط مظلمة جداً ، لا ينيرها إلا عمل الإنسان.

المصطلحات

أشراط الساعة : جمع شرط ، وهي العلامات أو الآيات التي يعقبها قيام الساعة.

البعث : هو إعادة الإنسان روحاً وجسداً يوم القيامة كما كان.

الحساب : هو إطلاع الله عباده قبل انصرافهم من المحشر على كل ما اقترفوه في حياتهم الدنيا من خير أو شر.

الحوض : هو مجمع الماء ، والمقصود به حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يصله إلا من نجا من عذاب النار.

حياة البرزخ : يراد بالبرزخ الفترة ما بين الدنيا والآخرة ، وعليه فإن حياة البرزخ هي الحياة الفاصلة بين الدنيا والآخرة ، وفيها تكون فتنة القبر.

الدابة : هي مخلوق عجيب عظيم يخرج من الأرض بقدرة الله تعالى ، يكلم الناس ويدفعهم على جباههم بالإيمان أو الكفر ، ويكون خروجها قرب قيام الساعة.

الدجال : لقب يطلق على ذاك الرجل الذي يظهر عند قرب الساعة ، وقد لقب به لكثرة تدجيله وكذبه ، وقدرته الخارقة على تلبيس الحق بالباطل.

الدخان : علامة من علامات الساعة ، ويظهر بعد موت عيسى عليه السلام ، فيأخذ بأنفاس الكافرين ، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام.

صحائف الأعمال : أي كتب الأعمال التي يسجل فيها أعمال الإنسان من خير أو شر.

الصراط : جسر منصوب على متن جهنم ، أدق من الشعر وأحد من السيف ، يمر عليه الناس جميعاً ، فمنهم من يمر مروراً سريعاً ، ومنهم من يهوي في النار.

الصور : بوق ينفخ منه عندما يريد الله إنهاء الحياة على وجه الأرض ، ويتولى إسرافيل عليه السلام النفخ فيه.

الموقف : هو المكان الذي يقف فيه الناس انتظاراً للقضاء الفصل بينهم يوم القيامة.

الميزان : هو أداة ينصبها الله تعالى لوزن أعمال العباد يوم القيامة تحقيقاً للعدل في الحكم

يأجوج ومأجوج : اسمان عبر بهما القرآن الكريم عن أمة كبيرة من الناس فاسدة مفسدة ، تنشر الفساد عند خروجها قرب قيام الساعة وبعد نزول عيسى عليه السلام.

1- القرآن الكريم

2- الإمام أحمد بن حنبل ، المسند - بيروت ، المكتب الإسلامي 1413هـ/ 1993م.

3- الأشقر ، عمر ، اليوم الأخر (1) القيامة الصغرى - الكويت : مكتبة الفلاح ، ط1 ، 1986.

4- الأشقر ، عمر ، اليوم الآخر (2) القيامة الكبرى - الكويت : مكتبة الفلاح ، ط1 ، 1988.

5- الألباني ، ناصر الدين ، أحكام الجنائز وبدعها - بيروت : المكتب الإسلامي ، ط1 ، 1969.

6- الألباني ، ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة - بيروت : المكتب الاسلامي ، ط1 .

7- ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية - بيروت: المكتب الإسلامي ، ط6 ، 1400هـ.

8- ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط - مكتبة الحلواني ومكتبة الملاح ، ط1 ، 1972.

9- ابن حجر ، أحمد ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري - بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ط4 ، 1988.

10- ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة 1414هـ/ 1993م.

11- ابن قيم الجوزية ، الروح ، تحقيق د.بسام العموش - الرياض: دار ابن تيمية ، ط1 ، 1986.

12- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق د.محمد إبراهيم البنا ورفاقه - القاهرة: دار الشعب.

13- ابن ماجه/ سنن ابن ماجة - دار إحياء التراث/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

14- أبو داود/ سنن أبو داود - دار الكتب العلمية / بيروت.

15- البوطي ، محمد سعيد رمضان ، كبرى اليقينيات الكونية - دمشق : دار الفكر ، ط2 ، 1402هـ.
16- التبريزي ، الخطيب ، مشكاة المصابيح - دمشق : المكتب الإسلامي ، ط1 ، 1961.
17- الترمذي/ سنن الترمذي - دار الكتب العلمية / بيروت 1408هـ/1987م.
18- الحاكم / المستدرك - دار الفكر / بيروت 1398هـ/1978م
19- حبنكة الميداني ، عبدالرحمن ، العقيدة الإسلامية وأسسها - دمشق : دار القلم ، 1979.
20- داود ، محمد عيسى ، إحذروا المسيح الدجال - القاهرة: المختار الإسلامي ، 1991.
21- السيوطي ، صحيح الجامع الصغير ، تحقيق الألباني - بيروت: الكتب الإسلامي. ط1 ، 1969.
22- القرطبي ، محمد بن أبي بكر ، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ، المدينة المنورة: المكتبة السلفية.
23- الطبراني/ المعجم الكبير - مطبعة الأمة/بغداد - نشر وزارة الأوقاف العراقية/ تخريج حمدي السلفي.
24- عبدالمقصود ، أشرف ، الحياة البرزخية - القاهرة : مكتبة التراث الإسلامي ، 1988.
25- الكاتب ، أحمد عصام ، عقيدة التوحيد في فتح الباري - بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ط1 ، 1983.
26- المبارك ، محمد ، نظام الإسلام (العقيدة والعبادة) - بيروت: دار الفكر ، 1975.
27- النسائي/ سنن النسائي - دار البشائر الإسلامية/بيروت 1406هـ/1986م.
28- النووي ، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي - بيروت : مؤسسة مناهل العرفان ، بدون تاريخ.
29- ياسين ، محمد نعيم ، الإيمان اركانه ونواقضه - عمان : ط3 ، 1982.

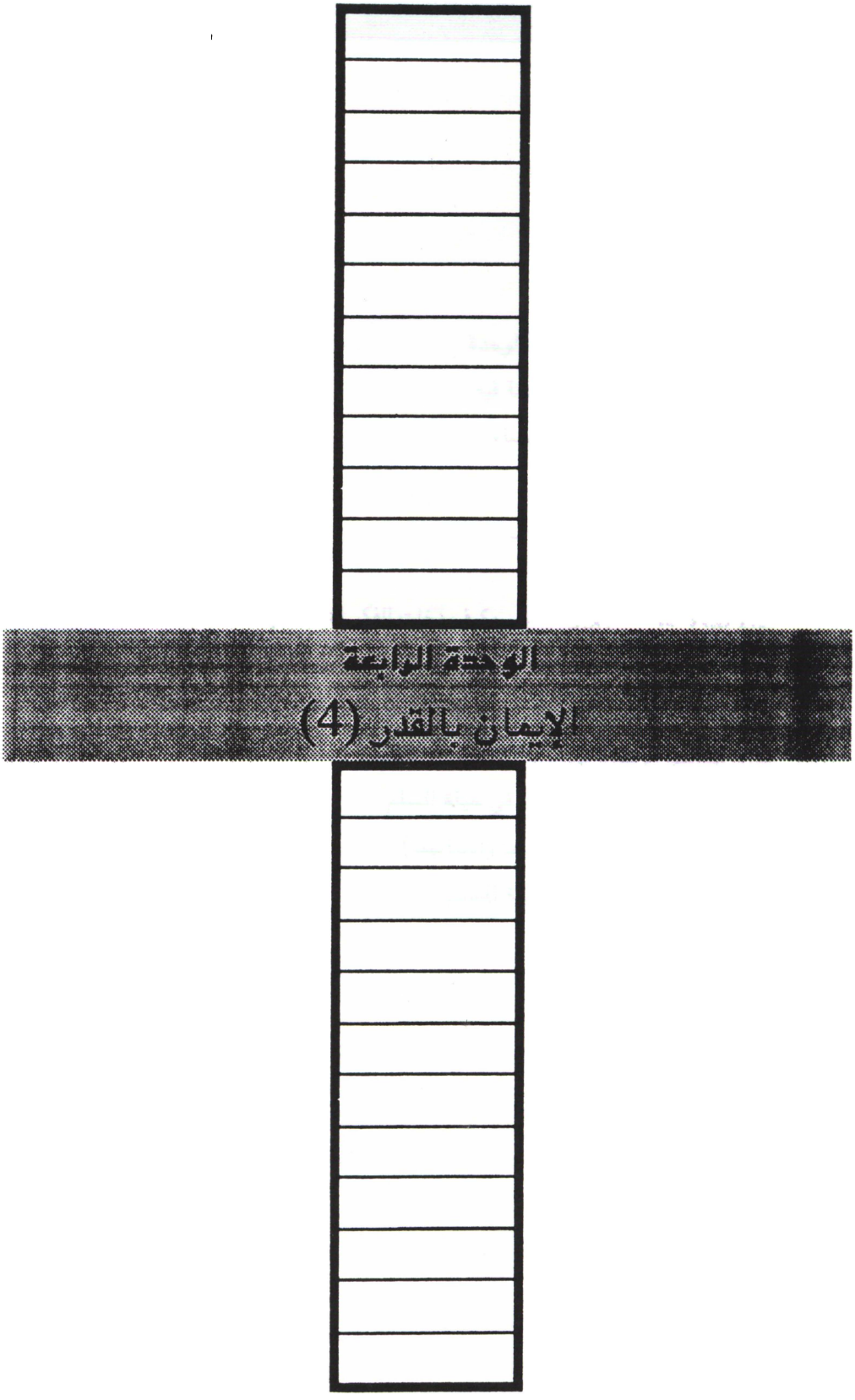
الوحدة الرابعة
الإيمان بالقدر (4)

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
1. المقدمة	197
1.1 تمهيد	197
2.1 اهداف الوحدة	198
3.1 اقسام الوحدة	198
4.1 القراءات المساعدة	198
5.1 ما تحتاج اليه في دراسة الوحدة	199
2. مفهوم القدر وأدلته وعقيدة أهل السنة فيه	199
1.2 مفهوم القدر وعلاقته بالقضاء	199
2.2 أدلة الايمان بالقدر	206
3.2 عقيدة أهل السنة في القدر	208
3. افعال العباد بين التسيير والتخيير	213
1.3 نشأة مسألة الجبر والاختيار وكيف دخلت الفكر الاسلامي	214
2.3 الانسان والابتلاء	217
3.3 الصلة بين قدرة الله تعالى وبين افعال العباد (هل أفعال العباد مخلوقة)	220
4.3 المذاهب الرئيسة في مسألة التسيير والتخيير	223
4. الهدى والضلال وأثر الايمان بالقدر في حياة المسلم	237
1.4 الهدى والضلال : (مفهومهما واسبابهما)	237
2.4 أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم.	243
5. الخلاصة	246
6. إجابات التدريبات	247
7. مسرد المصطلحات	249
8. المراجع	250

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرني أن أقدم بين يديك الوحدة الرابعة والأخيرة من مقرر العقيدة الاسلامية وموضوعها الايمان بالقدر.

ولعلك تعلم أن موضوع القضاء والقدر من أكثر الموضوعات التي ثار حولها الجدل الطويل بين المذاهب الاسلامية بل يكثر فيها الحديث بين الناس وبخاصة من أولئك المقصرين الذين يحاولون أن يسوّغوا لتقصيرهم فيضعوا المسؤولية على القدر.

هذا الموضوع كان في العهد الأول للإسلام يعني الايمان بأن كل شيء مقدر من عند الله ، فالله تعالي خالق كل شيء وقادر على كل شيء ، وعليم بكل شيء قبل أن يكون كيف يكون. ولكن البحث في هذه المسألة تحول على يد الفرق والمذاهب المتعددة الى مسار آخر حول الهدى والضلال وحول التسيير والتخيير في افعال العباد.

ولذلك وجدت نفسي ملزما أن أبسط هذا الموضوع لأقدمه ميسرا بين أيدي الدارسين الأعزاء ليكونوا على بينة من أمره فتتضح لهم صورة الحق الذي ذهب اليه أهل السنة والجماعة بحيث يغدون قادرين على أن يردوا آراء المذاهب الأخرى التي ضلت ضلالا بعيدا في مسائل القضاء والقدر.

تناولت في هذا الموضوع الحديث عن مسائل متعددة منها بيان معنى القدر لغة واصطلاحا ومعنى القضاء لغة واصطلاحاوالفرق بينهما ومعناهما اذا اجتمعا في مصطلح واحد.

ثم بينت أدلة وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى مبينا عقيدة أهل السنة في الايمان بالقدر بشكل عام.

وتطرقت بعد ذلك بشيء من التفصيل للحديث عن مسألة افعال العباد بين التسيير والتخيير وبينت المذاهب المختلفة فيها ، فاوضحت مذهب الجبرية ومذهب القدرية نفاة القدر، ومذهب اهل السنة والجماعة وبينت كيف كان هذا المذهب معتدلا متزنا متفقا مع نصوص الكتاب والسنة في فهمه لهذه المسألة.

وكذلك كان الأمر بالنسبة لمسألة الهدى والضلال التي ضل فيها الكثيرون وبينت أن الله تعالى خالق الهدى والضلال ومنه الهداية والاضلال والانسان هو الذي يهتدي أو يضل، والله سبحانه وتعالى يهدي جميع عباده هداية بيان وارشاد ويهدي خاصته المؤمنين السالكين طريق الهداية هذاية ايمان والهام ، وهو سبحانه فعال لما يريد.

ووختمت الموضوع بالحديث عن أثر الايمان بالقدر في سلوك المسلم وحياته اليومية وما له من أثر على أخلاقه والتزامه وطمأنينته وارتياحه من الوقوع في مشكلة الاختيار وما ينتج عنها من قلق مزدوج (قلق من وقلق على) قلق مما اختاره وقلق على ما لم يختره فكانت عقيدة القدر هي الحل لكل هذه المشكلات عند المؤمن وقد وردت في ثنايا هذا الموضوع تدريبات متعددة قصدت بها استثارة الدافعية

لدى الطالب للتعلم اثناء قراءة الوحدة واضفاء نوع من التشويق بالتنويع والخروج من الرتابة والملل ويجد الطالب إجابات لهذه التدريبات في نهاية الوحدة، هذا اضافة الى أسئلة التقويم الذاتي والتعيينات .

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك أخي الدارس بعد دراسة هذه الوحدة ان تصبح قادرا على أن:

1. توضح مفهوم القدر وادلة الايمان به.
2. تميز بين مفهوم القدر ومفهوم القضاء.
3 تبين عقيدة أهل السنة في الايمان بالقدر.
4. تقارن بين مذهب أهل السنة ومذهب علماء الكلام في التسيير والتخيير.
5. توضح مفهوم كل الهدى والضلال.
6. تبين آثار الايمان بالقدر في حياة المسلم.

3.1 اقسام الوحدة

تتضمن هذه الوحدة الاقسام الرئيسية التالية:

القسم الأول- وفيه نوضح مفهوم القدر والقضاء وأدلة الايمان بهما وعقيدة اهل السنة فيهما. ويرتبط هذا القسم بالأهداف الثلاثة الأول.

القسم الثاني : وهو خاص بتوضيح مذاهب الفرق المختلفة في نظرتها الى افعال العباد بين التسيير والتخيير . وقد جاء هذا القسم ليحقق الهدف الرابع.

أما القسم الثالث: والذي يبين فيه مفهوم كل من الهدى والضلال واسبابهما واثر الايمان بالقدر في حياة المسلم فيرتبط بالهدفين الخامس والسادس.

4.1 القراءات المساعدة

تعزيزاً للمادة التعليمية التي نضعها بين يديك ، ننصحك عزيزي الدارس بالرجوع الى أحد الكتب التالية:

1 الحنفي، ابن ابي العز، شرح العقيدة الطحاوية .

2. ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل . الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة، ط 1 ، 1323 هـ .

3. الأشقر ، عمر . القضاء والقدر. ط 2 ، الكويت ، مكتبة الفلاح 1995.

5.1 ما تحتاج اليه في دراسة الوحدة.

ستجد ، عزيزي الدارس ، في اثناء دراستك لهذه المادة اتجاهات متباينة في فهم عقيدة القدر ، وإنك بحاجة في هذه الحالة الى دراسة المادة دراسة متأنية تتمكن معها من محاكمة الأدلة التي يعرضها كل فريق أو كل فرقة في المسائل المطروحة ، ودليلك في ذلك هو الرجوع الى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففيهما الهداية والنور الذي يضيء لك السبيل ، وفيهما ما يوصلك الى حظيرة الأمان والايمان القويم.

2 [illegible] وعقيدة أهل السنة

عزيزي الدارس ، الايمان بالقدر هو الركن الأخير من أركان الايمان ، فما معنى القدر؟ وهل الايمان بالقدر يعني الايمان بالقضاء أم انهما امران مختلفان؟ ثم ما أدلة الايمان به؟ وما عقيدة أهل السنة في القدر؟

نضع بين يديك هذه الأسئلة لنجيب عنها ضمن المباحث التالية:

1.2 مفهوم القدر وعلاقته بالقضاء

ويشتمل هذا الفصل على توضيح معنى القدر في اللغة والاصطلاح ومعنى القضاء في اللغة والاصطلاح، والفرق بين القضاء والقدر.

1.1.2 معنى القدر لغة واصطلاحا

أولا:- معنى القدر لغة:

القدر والقدر (بتسكين الدال وتحريكها) مصدر قدر، وقد ذكر له ائمة اللغة عدة معان منها:

1. التعظيم كما في قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره " (الانعام 91) قال في مختارة الصحاح أي ما عظموه حق تعظيمه (الرازي ، مختار الصحاح) .
2. القضاء وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور ومنه ليلة القدر أي الحكم وهي الليلة التي تقدر فيها الارزاق وتقضى كما قال سبحانه " فيها يفرق كل امر حكيم" (الدخان/4) وانشد الاخفش لهدبة بن خشرم:

ألا يالقومي للنوائب والقدر

وللامر يأتي المرء من حيث لا يدري

(وقد ذكر هذا المعنى الرازي في مختاره ، وابن منظور في لسان العرب) .

3. التقدير : قدر الشيء أي قدّره من التقدير، وبابه ضرب ونصر ، وفي الحديث" فإن غم عليكم فاقدروا له" (صحيح مسلم، كتاب الصيام، 6/13) بمعنى إن غم الهلال فاقدروا له ثلاثين يوما.

وهذا المعنى ذكره الرازي في مختار الصحاح.

وقدرت عليه الثوب قدرته (بالتخفيف) فالقدر أي جاء بالمقدار.

④ العلم والتدبير : كما في قوله تعالى " إلا امرأته قدّرنا إنها لمن الغابرين، كما قال الزجاج ، وقيل : دبّرنا انها لمن الغابرين أي الباقين في العذاب . وقدر القوم امرهم أي دبروه (إبن منظور، لسان العرب).

⑤ القسمة : قدر الرزق يقدره إذا قسمه ، ومنه قوله تعالى "وقدر فيها أقواتها" (فصلت/ 10) (لسان العرب).

⑥ الغنى واليسار: يقال رجل ذو قدرة أي يسار (الرازي مختار الصحاح).

⑦ التضييق : ومنه قوله تعالى "فظن أن لن نقدر عليه" (الانبياء / 87) أي فظن نضيق عليه، ومنه قوله تعالى "فقدر عليه رزقه (الطلاق/ 7) (ابن منظور/ لسان العرب)

⑧ مبلغ الشيء . قال في مختار الصحاح: قدر الشيء مبلغه وقال ابن منظور : قدر كل شيء ومقداره أي مبلغه ، ومنه قوله تعالى " ما قدروا الله حق قدره" (الحج/ 74) أي ما عظموه حق تعظيمه.

⑨ التروي والتفكير في تسوية امر وتهيئته . (نقله ابن منظور عن التهذيب).

قال الرازي : تقدر له الشيء أي تهيأ (مختار الصحاح)

⑩ النية والعقد عليها (نقله ابن منظور عن التهذيب).

⑪ القوة : ذكر هذا المعنى في لسان العرب.

نشاط (1)

عزيزي الطالب: ارجع الى معجم لسان العرب لابن منظور ومعجم القاموس المحيط للفيروز ابادي واستخلص منهما المعاني الواردة للقدر وقارن بينهما وتعرف على المعاني التي انفرد بها كل منهما.

ثانيا: معنى القدر اصطلاحا

ورد القدر في الكتاب والسنة على جميع المعاني اللغوية السابقة وقد أورد ابن منظور وغيره من أئمة اللغة الشواهد من نصوص الكتاب والسنة على كل معنى من هذه المعاني.

وقد ابرزت السنة النبوية القدر على انه اصطلاح شرعي ودعت الى الايمان به وجعلته ركنا أساسيا من اركان الايمان، فما معنى القدرفي الاصطلاح الشرعي.

لقد جاء القدر في القرآن الكريم بمعنى المقدار الذي قدره الله تعالى في سابق عمله أو بمعنى النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود ومن ذلك قوله تعالى " إنا كل شيء خلقناه بقدر" (القمر/ 49) وقوله سبحانه "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم" (الحجر / 21) .

كما جاءت كلمة القدر ليقصد بها العلم الأزلي الحتمي في الانجاز كما في قوله تعالى "وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر " (القمر/ 12) أي على أمر قد سبق في علم الله وتحتم تحقيقه.

أما التعريفات التي ذكرها العلماء لمصطلح القدر فمنها ما عرفه الإمام النووي بقوله "واعلم أن

مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الاشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى ثم نقل عن الخطابي قوله: والقدر اسم لما صار مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد(النووي، محي الدين، شرح صحيح مسلم،1 / 154-155

وعرفه أبو الحسن الاشعري بأنه ايجاد الله الاشياء على مقاديرها المحددة بالقضاء في ذواتها وصفاتها وافعالها واحوالها وازمنتها وامكنتها واسبابها كايجاد الله الانسان فعلا على وجه الارض طبق ما سبق في قضائه سبحانه (الميداني، عبد الرحمن ، العقيدة الاسلامية وأسسها ، ص 729) .

وعرفه البيهقي في الاعتقاد بقوله" الايمان بالقدر هو الايمان بتقدم علم الله سبحانه بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات ، وصدور جميعها عن تقدير منه بعد أن خلق لها خيرها وشرها "البيهقي ، أحمد بن الحسين ، الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ، تصحيح الشيخ أحمد مرسي، ص 54) وعرفة ابن حجر في الفتح بقوله " المراد ان الله تعالى علم مقادير الاشياء وازمانها قبل ايجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صار عن عمله وقدرته وارادته" (العسقلاني ، ابن حجر، فتح الباري، 18/1)

وللشيخ علي الطنطاوي توضيح جميل لمفهوم القدر حيث يقول "الذي يفهم من الآيات التي ذكرت القدر انه هو السنن التي سنها الله لهذا الكون ، والنظام الذي سلكه به، والقوانين الطبيعية التي سيره عليها" (الطنطاوي، على، تعريف عام بدين الاسلام/ 151) .

أما الدكتور الدسوقي فيعرف القدر بقوله "القدر هو تحديد ماهيات وخصائص واعراض الخلائق مع تحديد حدوث الخلائق زمانا ومكانا وكيفية افعالها في زمان ومكان محددين كذلك" (الدسوقي، فاروق ، القضاء والقدر في الاسلام، 324/1)

وإذا امعنت النظر عزيزي الدارس في هذه التعريفات وجدتها متقاربة تفيد أن القدر يتناول قضيتين اساسيتين هما الأولى: علم الله الأزلي الذي حكم فيه ايجاد الأشياء التي اراد أن يوجدها حسب مواصفات حددها سبحانه وكتب ذلك كله في اللوح المحفوظ.

الثانية: هي خلق الله هذه الاشياء المقدرة وايجادها على النحو الذي سبق علمه وسبقت كتابته فيأتي الواقع مطابقا للعلم السابق المكتوب.

ومن هذا نفهم أن قدر الله هو تقديره العائد الى ارادته سبحانه والتي تعود اليها كل المخلوقات ولحدائها وحركتها وسكونها وهذا القدر سابق لهذه المخلوقات وتأتي عند حدوثها مطابقة في خصائصها وقابلياتها واستعداداتها لما قدر الله في علم الله الأزلي لها.

تدريب (1)

من خلال التعريفات التي عرفتها للقدر يتبين لك ان القدر يتناول قضيتين اساسيتين ما هما؟

2.1.2 معنى القضاء لغة واصطلاحا

أولا: معنى القضاء لغة:

القضاء مصدر قضي - قال ابن منظور وأصله قضاي لأنه من قضيت الا ان الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والجمع اقضية ولهذه الكلمة في معاجم اللغة معان متعددة ، نقلها صاحب اللسان عن ائمة اللغة فقال : قضاء الشيء إحكامه وامضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق.

قال : قال أهل الحجاز القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها.

وعن الزهري : القضاء في اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشيء وتمامه، وكل ما أحكم علمه او أتم أو ختم أوأدي أداء أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى، ثم يقول : وقضى الشيء قضاء : صنعه وقدره ، ومنه قوله تعالى" فقضاهن سبع سماوات في يومين" (فصلت /12 أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن واحكم خلقهن.

والقضاء بمعنى العمل، ويكون بمعنى الصنع والتقدير وقوله تعالى "فاقض ما انت قاض" (طه/ 72) معناه فاعمل ما أنت عامل قال أبو ذؤيب.

وعليهما مسرودتان قضاهما

داود أو صنع السوابغ تبع

قال ابن السيرافي : قضاهما أي فرغ من عملهما كما ذكر ابن منظور من معاني القضاء العهد والوصية وقضى عليه عهداً أوصاه وانفذه. (ابن منظور ، لسان العرب، قضى).

ثانيا: معنى القضاء في الاصطلاح

عزيزي الدارس : بعد أن عرفت المعاني اللغوية للقضاء ، أعرض لك المعنى الاصطلاحي مشتملاً على استعمالات القرآن الكريم والسنة النبوية لهذه الكلمة وعلى تعريفات العلماء لها.

(1) استعمالات القضاء في الكتاب والسنة

لقد جرى استعمال القضاء في الكتاب والسنة على كل المعاني اللغوية السابقة . وقد ذكر ابن منظور الشواهد من الكتاب والسنة على جميع المعاني اللغوية التي ذكرها.

① فعلى معنى الخلق استشهد بقوله تعالى " فقضاهن سبع سنوات" (فصلت/ 12) .

② وعلى معنى الحتم والاتمام بقوله تعالى "ثم قضى أجلاً" (الانعام/ 2) وعلى معنى الإعلام القاطع بقوله تعالى "وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب (الاسراء/ 4) . كما اورد هذه الآية أيضا على معنى العهد.

③ وعلى الفصل في الحكم بقوله تعالى :"ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم" (الشورى/21).

واستشهد كذلك على معنى الفصل في الحكم بما ورد في السنة النبوية في صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد".

وأورد قوله تعالى "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (طه/ 114) ، على معنى الإنهاء والنفاذ، كما أورد على هذا المعنى قوله تعالى"وقضينا اليك الأمر" (الحجر/ 66).

كما استشهد بقوله تعالى "فلما قضينا عليه الموت" (سبأ / 14) على معنى الإتمام أي اتممنا عليه الموت (ابن منظور) لسان العرب، 15 / 186 - 188 . كما نجد ان القرآن الكريم استعمل لفظ القضاء على معنى الحكم والقضاء بين المتخاصمين مثل قوله تعالى "ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت" (النساء/ 65) .

وقد ذكر المفسرون معاني كثيرة لمشتقات كلمة القضاء التي وردت في القرآن الكريم حوالي ستين مرة وكل هذه المعاني تدور حول المعاني اللغوية السابقة.

نشاط (2)

عزيزي الدارس ، اجمع الآيات القرانية التي وردت فيها مشتقات كلمة القضاء مستعينا بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

فقد ذكر القرطبي في تفسيره معاني عدة للقضاء منها الأمر ، والخلق والحكم ، والفراغ والإرادة، والعهد - واستدل على كل معنى منها بشاهد من القران الكريم (القرطبي، ابو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لاحكام القرآن ، 10 / 237) .

ويمكن القول إن هذه المعاني كلها تنبيء عن حسم الامر وانجازه فامر الله لا يقع إلا ومعه الحسم والانجاز ، وكذلك خلقه وحكمه وارادته وحسمه كلها تقع في حسم وانجاز.

وفي السنة النبوية وردت كذلك مشتقات كلمة القضاء تحمل نفس المعاني السابقة.

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة" (رواه الترمذي بإسناد حسن، جامع الترمذي) كتاب القدر، حديث رقم 2147) وهي هنا على معنى الإبرام والحكم الحتمي.

كما ودت كلمة القضاء كثيرا في السنة في معرض الحديث عن الأقضية في الفرائض والطلاق والديات والأيمان والمعاملات . كلها بمعنى الحكم أو الوفاء والاتمام. ومنه القضاء في العبادات والقضاء في الديون والبيوع.

(2) تعريفات القضاء عند العلماء:

لقد اتخذ القضاء في العقيدة الاسلامية مفهوماً خاصاً، وذكر له العلماء تعريفات كثيرة منها:

ما نقل عن ابي الحسن الأشعري أنه: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث كإرادته تعالى الأزلية خلق الانسان على الأرض" (الميداني) ، عبد الرحمن حبنكة. ص 729) .

وقد أخذ على هذا التعريف أنه ليس هناك دليل لغوي أو اصطلاحي يدل عليه، إذ أن تعريف القضاء بانه الإرادة باعتبار تعلقها التنجيزي القديم في الأزل يحتاج الى بيان ، فالإرادة الأزلية لخلق الانسان على الأرض لا تعتبر قضاء بمعناه المتفق مع المعاني اللغوية السابقة التي تدور حول حسم الأمروانجازه.

(ب) ما نقل عن ابي منصور الماتوريدي ان القضاء هو الخلق الراجع الى التكوين كخلق الله الانسان على ما هو عليه طبق الإرادة الأزلية" (الميداني، عبد الرحمن،العقيدة الاسلاميةوأسسها، 730).

وهذا التعريف يعني ان القضاء هو ايجاد الله تعالى المخلوقات على وفق علمه وارادته سبحانه.

وقد جعل الماتريدية للإنسان إرادة جزئية تقع ضمن الإرادة الأزلية لله عز وجل ، وهي قدرة أودعها الله سبحانه في الانسان تجعله حراً فيما يختار وتمكنه من فعل الغير أو عدم فعله، وعليها يكون التكليف. ويفترقون في هذا عن الأشعرية الذين يقولون إن الفعل مخلوق لله تعالى ، والعبد له الكسب دون أن يكون له تاثير فيه، وعلى هذا الكسب يكون التكليف وما يترتب عليه الثواب والعقاب" (الخياط ، القضاء والقدر، 48) .

1.2.3 الفرق بين القدر والقضاء

أخي الدارس ، اختي الدارسة: بعد توضيح المعنى اللغوي والاصطلاحي لكل من القدر والقضاء لابد من توضيح الفرق بين هذين المصطلحين اللذين ارتباطا معا فيما بعد في مصطلح واحد مما ادى إلى اشكال عند الكثيرين في التفريق بينهما.

ولا بد من الاشارة كذلك الى أن اجتماع القضاء مع القدر في مصطلح واحد لم يات في القرآن الكريم او السنة المطهرة ولا ورد ذكرهما معاً على السنة الصحابة أو التابعين ولا كذلك كلام العرب قبل ذلك .

لقد بدأ ظهور الاصطلاح باقترانهما ، في فترة متأخرة تاثرت فيها العقيدة الإسلامية بالفلسفات الوافدة عند ترجمة الفلسفة اليونانية التي عرفت مفهوم الجبر والاختيار الذي طغى على موضوع القضاء والقدر.

وقد جرى استخدام الكلمتين على لسان الجيل الأول على أنهما من الألفاظ المشتركة أي من ذوات اللفظ الواحد والمعنى المتعدد فكل كلمة منهما تعني معاني متعددة سبق بيانها ، ولم يعرف اجتماعهما في مصطلح واحد عندهم.

على أنهما مع اختلاف معانيهما وتلازمهما في الاصطلاح فيما بعد لم يفيدا بوجه من الوجوه ذلك المعنى الذي تبحث المتكلمون على أساسه مسالة القضاء والقدر.

ومن خلال البحث عن الفرق بين اللفظين من حيث استعمالهما في النصوص وأفهام العلماء نجد أن القدر يتناول جانب التصميم والأساس ، بينما القضاء جانب التنفيذ والبناء يقول ابن الأثير : وجماع القول في هذا أنهما امران لا ينفك أحدهما عن الاخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه" (ابن الأثير، جامع الأصول، 104/ 10) ويوضح الشيخ علي الطنطاوي هذا الفرق بمثال العمارة التي يراد بناؤها فيوضع لها التصميم والمخطط من قبل المهندس المختص، وفي هذا المخطط يتم تعيين مساحة البناء وعلوه وسماكة جدرانه وكمية المواد من حديد واسمنت وحجر ونسبة كل منها، وما يكون فيها من أبواب ونوافذ، والمهندس يقدر ذلك كله ويحدده ، وهذا مثال القدر.

وبعد ذلك يأتي المقاول لينفذ ما قدره المهندس وهذا مثال القضاء ، وكلاهما من آلله وحده، (الطنطاوي) تعريف عام بدين الاسلام، 152) .

وبناء على ذلك يمكن ان نعد القدر قديماً لأنه من صفات الذات والقضاء حادثا لأنه من صفات الفعل المتعلقة بمشيئة الله وارادته.

وقد ورد في السنة النبوية ما يؤيد هذا التفريق بين القضاء والقدر، ففي حديث الاستخارة "فاقدره لي ويسره لي.....واقدر لي الخير حيث كان" (صحيح البخاري) ، الدعوات (48) حديث 6382) فقد جاء القدر في هذا الحديث على معنى الأمر الذي يراد تقديره وتصميمه ، وهذا ظاهر في قوله (فاقدره) أي اجعله لي قدراً وحظاً مقسوما لي.

أما القضاء فنجده في قوله صلى الله عليه وسلم "تعوّذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء" (البخاري، القدر، 13 /6616) وهنا ترى أن القضاء جاء في معرض الأمر الذي يراد تنفيذه ، فكان هذا التعوذ الذي ارشدنا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن نتعوذ بالله من سوء تنفيذ هذا الأمر المقدر .

وعلى نفس هذا المعنى ما ورد في الدعاء المشهور" اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف به" أي اللطف في طريقة تنفيذه.

ومن ذلك ايضا ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم " لا يرد القضاء إلا الدعاء" (جامع الترمذي، القدر ، 6 ٩ والمراد بالقضاء في الحديث الأمر النافذ ، والدعاء يخفف حالة التنفيذ.

وبعد معرفة هذا الفرق بين القدر والقضاء لابدّ من الإشارة الى انهما لفظان متلازمان أخذا اصطلاحا واحداً هو القضاء والقدر، لا يتحقق أحدهما دون الآخر وحسب هذا التفريق بين القضاء والقدر فإن القدر سابق على القضاء ، فهو إرادة الله الأزلية بينما القضاء هو حدوث الفعل وفق هذه الإرادة ، وهذا ما ذهب اليه الخطابي رحمه الله في شرح صحيح مسلم حيث قال " القدر معناه الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من اكتساب أفعال العبد وصدورها عن تقدير منه ، (النووي، شرح صحيح مسلم ، 1 : 155) فلا حادث إلا وقد قدره الله سبحانه ، أي سبق به علمه وتعلقت به إرادته.

وقد ذهب الإمام أبو حامد الغزالي لمثل هذا الرأي فقال : القدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر والقضاء هو الخلق والفرق بينهما أن القدر أعم والقضاء أخص فتدبير الأوليات قدر وسوق تلك الأقدار بمقاديرها وهيئاتها إلى مقتضياتها هو القضاء ، فالقد ر اذا تقدير الأمر بدءاً والقضاء فصل ذلك الأمر وقطعه كما يقال قضى القاضي" (الخطيب، عبد الكريم، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، ص 150 نقلا عن فرائد اللآلي من رسائل الغزالي ص 156) .

يقول الأستاذ الخطيب "ونحن نميل الى رأي الغزالي الذي يرى القدر أعم والقضاء أخص لأن آيات القرآن الكريم توحي بهذا الفهم لكل من القضاء والقدر ثم يقول : ونستطيع أن نتصور أن القدر هو الأسباب التي أودعها الله سبحانه في المخلوقات بحيث لوجرت الأسباب الى غاياتها لنتج عنها مسبباته التي تلازمها والتي لا تتخلف ابداً ، فالنار سبب الضوء والدفء والاحراق فإذا اوقدت النار أخرجت ضوء واعطت دفئا واحرقت ما تتصل به من الأشياء التي اودع الله فيها من الأسباب ما يجعلها قابلة للاحتراق . والماء ينبت الزرع ويروي الظمأ فإذا نزل بأرض ألقي فيها بذر كان من شأن الأرض والبذر والماء أن يخرجا نباتا اذا لم تكن الأرض قد فسدت أسبابها والبذرة قد فسد تكوينها .

فتلك الأسباب المودعة في الأشياء هي القدر، والمسببات التي تحدث من تلاقي الأسباب بعضها ببعض هي القضاء فإذا تلاقت الأسباب فتوافقت أو تدافعت فهي في دائرة القدر ، أما ما وقع عن هذا اللقاء من مسببات فهو القضاء . (الخطيب ، عبد الكريم ، القضاء والقدر، ص 151) .

تدريب (2)

لقد اتضح لك ان القدر يتناول جانب التصميم والأساس ، وأن القضاء يتناول جانب التنفيذ والبناء وضح ذلك بمثال؟

2.2 أدلة الايمان بالقدر

عزيزي الدارس : من المعلوم من الدين بالضرورة أن الايمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى ركم من أركان الايمان وقد اتفق أهل السنة على أن كل شيء في هذا العالم بقضاء الله وقدره سبق به علمه وتعلقت به إرادته وهو سبحانه خالقه وفق علمه وارادته.

والأدلة على وجوب الايمان بالقدر واردة في الكتاب والسنة والاجماع.

2.2.1 الأدلة من الكتاب (القرآن الكريم)

من الآيات الدالة على وجوب الأيمان بالقدر، قوله تعالى " إنا كل شيء خلقناه بقدر"(القمر/ 49)

- وقوله سبحانه في قصة نوح عليه السلام " وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر" (القمر / 12) بمعنى : امر قدره الله وقضاه " الشنقيطي ، اضواء البيان 7 / 719).

وقوله سبحانه "وخلق كل شيء فقدره تقديرا" (الفرقان / 2)

بمعنى انه سبحانه قدر كل شيء خلقه تقديرا. وقد جاء في آيات اخرى ما يدل على نفس المعنى ، مثل قوله تعالى "الذي خلق فسوى والذي قدّر فهدى " (الأعلى/ 3 - 4) وقوله تعالى "وكل شيء عنده بمقدار " (الرعد / 8)

وقد قال الشنقيطي في هذه الآيات قول ابن عطيه " تقدير الأشياء هو حدها بالأمكنه والأزمان والمقادير والمصلحة والأتقان" ثم قال في معنى قوله تعالى "فقدره تقديرا" " قلت المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له" ثم نقل عن الكشاف مثالا هو : أنه سبحانه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوّى الذي تراه فقدّره للتكاليف والمصالح المنوطه به في باب الدين والدنيا ، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقة لما قدّره له غير متجاف عنه" الشنقيطي، اضواء البيان، 6 / 268) .

2.2.2 الأدلة من السنة النبوية الشريفة

الأحاديث الدالة على وجوب الأيمان بالقدر كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

1) حديث جبريل في صحيح مسلم وغيره ومن هذا الحديث "قال : يا رسول الله ما الإيمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله"(صحيح مسلم ، الإيمان/ حديث1).

2) ما أخرجه ابو داود عن ابن الديلمي قال : اتيت ابي بن كعب فقلت له : قد وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني لعل الله ان يذهبه من قلبي ، فقال لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل ارضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو انفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تعلم بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال : ثم اتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك ، قال: ثم اتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ثم اتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك" (سنن ابي داود ، باب القدر ، رقم 4699) .

3) ما أخرجه الترمذي عن على بن ابي طالب كرّم الله وجهه أن رسول الله عليه وسلم قال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر" (جامع الترمذي/القدر/رقم 2232) .

4) ما أخرجه الترمذي عن عطاء بن أبي رباح قال: لقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته، ما كانت وصية أبيك لك عند الموت؟ فقال لي دعاني فقال لي: يا بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره وإن مت على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب قال: ما اكتب قال: اكتب القدر فكتب ما كان وما هو كائن الى الأبد" (جامع الترمذي / القدر / 2156) .

5) حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه" (جامع الترمذي / القدر / رقم 2145) .

6) حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من سعادة ابن ادم رضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله" (جامع الترمذي / القدر / رقم 2152) .

والأدلة من السنة في هذا الباب كثيرة وانما اقتصرت على الأحاديث الصحيحة الواردة في الأيمان بالقدر والرضابه ، وسترد أحاديث أخرى في بعض مسائل القدر في ثنايا هذه الوحدة.

3.2.2 دليل الإجماع

فقد أجمعت الأمة على الإيمان بالقدر وعدّه ركناً من أركان الإيمان لا يتحقق بدونه ، وتلقت الأمة في كل عصورها بالقبول والتسليم . حتى القدرية والجبرية فإنهم لم ينكروا القدر من اساسه ولكنهم ضلوا في فهمه على الوجه الصحيح.

تدريب (3)

اكتب حديثين تستدل بهما على وجوب الإيمان بالقدر؟

3.2 عقيدة أهل السنة في القدر

عزيزي الدارس ، قبل أ ن أقدم لك عقيدة أهل السنة في القدر، أود أن أوضح مسالتين مرتبطتين بهذا الموضوع ، كان لهما أثر في تكوين عقيدة أهل السنة في القدر.

والمسالتان هما: النصوص الواردة في ذم الخوض في القدر وعلاقة الايمان بالقدر مع صفات الله تعالى .

1.3.2 ذم الخوض في القدر

مع أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان إلا أن هناك نصوصا جاءت في النهي والتحذير من الخوض فيه، هذه النصوص جعلت أهل السنة يكتفون بأن يفهموا القدر مرتبطا بصفات الله تعالى مثل صفات القدرة والارادة والعلم والحكمة وانه سبحانه يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يسأل عما يفعل .

ومن هذه النصوص الواردة في ذم الخوض في القدر ، ما اخرجه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال : فكأنما تفقأ في وجهه حبّ الرمان من الغضب ، فقال لهم : مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم". (مسند الامام احمد، 2 / 196) .

ومن ذلك أيضا ما أخرجه الإمام مسلم عن ابي هريرة قال جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عليه السلام فقالوا إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال أوجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان" (صحيح مسلم ، القدر/ رقم 2656)

هذه النصوص وأمثالها جعلت الكثيرين من علماء المسلمين يحجمون عن الخوض في هذا الموضوع وخوفا من وقوعهم في الجدل المذموم واكتفوا بايمانهم بأن كل شيء بقدر الله.

والحق أن الجانب المذموم في مسالة القدر هو الاحتجاج به على فعل المعصية والتقصير في الطاعة ، أما مجرد البحث للوصول الى الحق وللتعريف على ما ورد في نصوص الكتاب والسنة فهذا لا يدخل في دائرة المنع أو الحضر ، بل الواجب على المسلم ان يفهم عقيدته

والقدر أحد اركانها أما أن يتخذ القدر ذريعة للمعصية والكفر، وحجة للمقصرين ليتنصلوا من المسؤولية كما هو الحال عند الكثيرين من الذين يجادلون في القدر فهذا هو الأمر المحظور ، وهذ هو ما نازع به مشركو قريش - فقد اخرج الامام مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدو فنزلت الآية "يوم يسحبون في النار على وجوههم ذو قوامسّ سقر، إنا كل شيء خلقناه بقدر" (القمر / 48 - 49) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، حديث رقم 2656 .

كما كان النهي عن الخوض في القدر لأنه غالبا ما يؤدي الى النزاع والاختلاف - يؤيد ذلك رواية الترمذي عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى إحمّر وجهه فكانما فقىء وجنتيه حب الرمان، فقال : أفبهذا أرسلت اليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه" (جامع الترمذي / القدر / 1) .

والاحتجاج بالقدر على المعاصي والتقصير مردود من وجهين:

الأول: لأن الحساب والعقاب يكون على العمل والدوافع والبواعث اليه، وهذا العاصي لم يطلع على اللوح المحفوظ ليرى معصيته مكتوبة عليه فيفعلها تنفيذا لحكم القدر، وإنما تبع الشهوة وطلب اللذة العاجلة واستجاب لنداء الشيطان، وهذا ما أحتج به المشركون الذين قالوا " لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء" فردّ سبحانه عليهم بقوله "قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون" (الانعام 148) بمعنى من أين عرفتم قبل أن تشركوا أن الشرك مقدر عليكم؟

الثاني: لوكان هذا المحتج بالقدر صادقا لرضي بكل ما قدّر له من فقر وجوع ومرض وفقد حبيب أو مال. والمشاهد أنه يعمل ويتعب لجمع المال ودفع المرض واسكان الجوع فلماذا سخّر كل قواه لجلب المصلحة ودفع الضرر والألم؟ ولم يسخر عقله لقمع الشهوة ومنع نفسه من الحرام الذي ترغب فيه وهو يعلم عاقبة ذلك من العذاب. (الطنطاوي، تعريف عام بدين الاسلام، 160).

ولنا أن نسأل هؤلاء المقصّرين الذي يحاولون البحث عن مسوّغات لتقصيرهم ، لماذا يحتجون بالقدر على المعصية ولا يحتجون بالقدر على الطاعة ولماذ لا يتدخل القدر عندهم في أمور حياتهم الاعتيادية ؟ لماذا لا يتدخل القدر عند الناس في استلام رواتبهم والسعي وراء مصالحهم؟ ولكن إذا قيل للإنسان تعال للطاعة وللمساهمة في عمل الخير يدخل موضوع القدر محتجا به على تقصيره؟ لماذا لا يتقاعسون عن الكسب في الدنيا وتحصيل طعامهم وشرابهم مثلما يتقاعسون عن طاعة الله؟

ولقد تعامل أصحاب رسول الله عليه وسلم مع مسألة القضاء والقدر حسب هذا الفهم فقد روي أن شيخا من اتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأله عند انصرافه من وقعة صفين، أكان المسير بقضاء الله وقدره؟ فقال كرم الله وجهه " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما هبطنا واديا ولا علونا تلعة إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي ، مالي من الأجر من شيء ؟ فقال عليّ : بلى أيها الشيخ ، عظم الله لكم الأجر في مسيرتكم وانتم سائرون وفي منقلبكم وانتم منقلبون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ فكيف والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا، فقال له علي: لعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما ، ولو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولما كان المحسن بثواب الاحسان أولى من المسيء ولا المسيء بعقوبة أولى من المحسي ، تلك مقالة إخوان الشياطين وعبدة الأوثان وخصماء الرحمن وشهود الزور، وأهل العمى عن الصواب في الأمور، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا، ولم يكلف جبراً ولا بعث الانبياء عبثاً " ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار" فقال الشيخ : وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا؟ فقال : أمر الله لذلك وارادته، ثم تلا : " وقضى ربك الآ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا (الاسراء / 27) .

فنهض الشيخ مسرورا بما سمع وانشد يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعتـــه يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالاحسان إحسانا

(عبد الحميد ، د. عرفان ص 258 نقلاً عن كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 15) .

2.3.2 صلة القدر بصفات الله تعالى

وهذه هي المسألة الثانية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بفهم اهل السنة لعقيدة القدر .

لقد ادرك أهل السنة أن فهم مسألة القدر في العقيدة الاسلامية قائم على أساس اتصاف الله تعالى بصفاته العليا - ومن خلال معرفتنا بصفاته سبحانه تدرك أنه سبحانه خالق الأشياء يخلق ما يشاء بارادته وقدرته وهو سبحانه مدبر أمر مخلوقاته بحكمته ، كما أنه سبحانه عليم بما خلق وعلمه أزلي مطلق سابق لخلق الأشياء ووجودها.

فإذا فهمنا هذه الصفات سهل علينا أن نفهم عقيدة القدر التي تعني رد الأمور الى الله وحده.

ولذلك فقد اضطر القدرية وعى رأسهم المعتزلة الذين اضطربت افهامهم لعقيدة القدر أن ينفوا صفات الله وهذا النفي لصفات الله تعالى أدى بهم الى هذا التخبط في فهم عقيدة القدر فصار من العسير عليهم ان يدركوا أن الخلق والامر بيد الله وحده وأن قدر الله يتعلق بالاشياء والأحياء كلها خيرها وشرها.

ومن أبرز الصفات التي تتعلق بعقيدة القدر مباشرة صفات" القدر والارادة والعلم. فالله سبحانه على كل شيء قدير، وهذه القدرة تتعلق بالخلق فهو سبحانه القادر على الموجودات الخالق لها، ولا يمكن أن يتحقق الخلق بغير الإرادة فكان لا بد أن نعلم أن الله تعالى فعال لما يريد وهذه الإرادة مرتبطة بالحكمة فهو سبحانه يخلق الأشياء بحكمته - يفعل ما يريد بحكمته وقد يستطيع الانسان أن يتعرف على هذه الحكمة في بعض الأشياء وقد لا يستطيع اكتشاف هذه الحكمة لقصور عند هذا الانسان ، ولذلك كان لا بد أن يذعن مستسلما للإرادة الكونية التي لا دخل له في صنعها.

ولا شك أن المتصف بهذه القدرة على الخلق والايجاد لا بد أن يكون عالما بما يخلق قبل أن يخلق " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" (الملك / 114) وصفة العلم هذه من شأنها أن تكشف كل شيء على حقيقته وليس من الضروري أن يكون لهذه الصفة تاثير في الوجود أو العدم .

فإذا تعلقت إرادة الباري جل شأنه بإيجاد ممكن ما في زمن ما كشفت صفة علمه سبحانه أن ذلك الشيء ممكن سيوجد لا محالة في الوقت الذي حددته إرادة الله مهما كان هذا الوقت بعيدا في حساب الزمن لدى المخلوقات " (الميداني ، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية، ص 746)

إن إرادة الخالق سبحانه لا تكون إلا موافقة لكمال الحكمة ، وهذه الحكمة تتجلى واضحة في كل ما يتعلق بإرادة الله وجودا أو عدماً ، فتظهر في إرادته سبحانه بجانب الخلق والتكوين مطابقة لأكمل صورة من صور الإبداع الحكيم والاتقان الرائع . لذلك نرى كل مخلوق من مخلوقات الله قد خلقه الله بقدرته العظيمة وفق مشيئة المطابقة لوجه الحكمة من وجوه الاحتمالات الممكنة التي يحيط بها علمه تعالى المحيط بكل شيء " صنع الله الذي أتقن كل شيء " (النحل /88) .

كما تبرز هذه الحكمة الجلية في مشيئته تعالى بجانب امتحان عباده ، مطابقة لأكمل صورة من صور الامتحان ، ثم كلفهم ما يدخل ضمن استطاعتهم من جهة ، وبما يحق لهم مصالحهم ومنافعهم من جهة ثانية ، دون ان يكون ذلك ملزما ولا مكرهاً عليه. وإنما يتم بمحض إرادته

تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" (النحل / 92) .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الإرادة التي هي صفة أزلية من صفات الله تعالى هي إرادة قادرة أولاً على كل شيء شاءت أن تتعلق به من الممكنات وهي مطلقة ثانياً، وتشمل كل ما يقع من خير أو شر "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" (التكوير/ 29) "ولو شاء ربك ما فعلوه " (الأنعام / 122) .

أخي الدارس : لقد شكلت هاتان المسألتان أرضية اساسية وخلفية مهمة تم بناء عقيدة أهل السنة في القدر على أساسهما.

ورغم أن الصحابة والتابعين لم يتناولوا هذه المسألة إلا من زاوية الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى والايمان بكل صفات الله المرتبطة بهذا الموضوع وفضلوا عدم الخوض في المسألة أكثر من ذلك حتى لا يقعوا في المحظورات الواردة في نصوص النهي عن الخوض في هذه المسألة .

إلا أن أهل السنة والجماعة بعد أن فتح المعتزلة هذا الباب وربطوا المسألة بموضوع إرادة الانسان واختياره وأفعاله وجدوا أنفسهم مضطرين للرد على المعتزلة وتنفيذ مقولتهم في إرادة الانسان المطلقة.

وكان الإمام ابو الحسن الأشعري أول من تصدى لآراء المعتزلة . وقد استطاع الأشعري أن يجعل لله ما يليق دون أن يتحيف حق الانسان ، فالانسان عنده يمتاز بأنه يستطيع أن يضيف الى نفسه ما يخلقه الله فيه من الأفعال وأن يعتبر ذلك من كسبه" (الخطيب، عبد الكريم / القضاء والقدر بين الفلسفة والدين/ 183) .

وستجد عزيزي الدارس مسألة الكسب الأشعري مفصلة عند الحديث عن أفعال العباد حيث سنبين مذاهب الجبرية والقدرية وأهل السنة .

وأود هنا أن أبين مجمل عقيدة أهل السنة في القدر بشكل عام وقد استطاع صاحب العقيدة الطحاوية أن يعطي خلاصة وافية لهذه العقيدة .

قال الطحاوي " خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالا ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وعلم ما هم عاملون قبل يخلقهم ، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعلمه ، وهو متعال عن الأضداد والانداد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، آمنا بذلك كله، وأيقنّا أن كلاً من عنده" شرح العقيدة الطحاوية / 147 - 156) وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم ، والسعيد من سعد بقضاء الله تعال والشقي من شقي بقضاء الله تعالى . وأصل القدر سرّ الله في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرّب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً أو كما قال في كتابه "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " الانبياء / 23) فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم كتاب الله ، ومن رد حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين" (شرح العقيدة الطحاوية / 275 - 276).

ونؤمن باللوح والقلم بجميع ما فيه من رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة .

وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل شيء كائن من خلقه، وقدر ذلك بمشيئة تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير ولا محول، ولا زائد ولا ناقص من خلقه في سماواته وارضه ، وذلك من عقد الأيمان وأصول الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته كما قال في كتابه العزيز"وخلق كل شيء فقدره تقديرا" (الفرقان / 2) " وكان أمر الله قدراً مقدوراً (الأحزاب / 38) فويل لمن صار له الله في القدر خصيما وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس بوهمه في محض الطيب سرا كتيما وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيما 2296 - 306 والخير والشر مقدران على العباد (ص 476) وأفعال العباد هي بخلق الله تعالى وكسب من العباد (493)وكل شيء يجرى بمشيئة الله عز وجل وعلمه وقضائه وقدره، وغلبت مشيئة المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً (ص 502) .

ويمكن أن نجمل هذه العقيدة بالنقاط التالية:

1) الايمان بعلم الله تعالى المسبق وتقديره الأزلي للمخلوقات وما ينتج عنها من أفعال وحركات ، وقد ثبت في الحديث الصحيح "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء" (صحيح مسلم، القدر، حديث رقم 2653)

2) مشيئة الله نافذة لا رادّ لها ، وارادته متعلقة بكل شيء من خير وشر، مع التفريق بين الإرادة الكونية الشاملة وبين الارادة الشرعية المشتملة على الاوامر والنواهي ، فما أمر الله به فهو الخير الذي يحبه لعباده ويرضاه لهم ويثيبهم عليه وما نهى عنه فهو الشر الذي يكرهه ويعاقب عليه بارادته الطوعيه، وهو محل التكليف وموضع الابتلاء حسبما اقتضت مشيئته الله تعالى الكونية الشاملة.

3) الهدى والضلال بيد الله، كلاهما مخلوقان لله بل كل ما في الوجود مخلوق له، خلقه بمشيئته وقدر به، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ، ويغني ويفقر، ويضل ويهدي، ويسعد الشقي ويؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويشرح صدر من يشاء للإسلام، ويجعل صدر من من يشاء ضيقا كأنما يصعّد من يشاء ضيقا كأنما يصعد في السماء ، وهو يقلب القلوب كيف يشاء ، وهو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم، وكرّه اليهم والكفر والفسوق والعصيان (ابن تيمية، الفتاوي / 8 / 78).

4) القدر سرّ الله تعالى في خلقه ، كتبه القلم على اللوح المحفوظ ، ولم يطلع سبحانه حداً من خلقه عليه، وما كتب لا بد أن يقع، وما على العباد إلا أن يعلموا وليس لهم أن يسألوا عما كتب عليهم وانشغال العبد بالعمل هو ما طلبه الله تعالى ووجّه عباده اليه، والانشغال في البحث عما كتب وما لم يكتب مع ترك العمل من وساوس الشيطان حيث تفرغ الشيطان اللعين للإغراء وصرف الناس عن العمل إن استطاع.

5/ الاعتراف الكامل بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه سبحانه خالق كل شيء ، وقد خلق العباد وخلق معهم أفعالهم، وأفعال العباد هي بخلق الله تعالى ، وكسب من العباد، وعلى هذا الكسب يكون الثواب والعقاب "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" (البقرة/ 286).

"فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثال ذرة شراً يره" (الزلزلة / 7 - 8).

تدريب (4)

يحاول بعض الجهلة المقصرين في الطاعات وأعمال الخير أن يسوّغوا تقصيرهم بحجة أن هذا قدر الله عليهم، فكيف ترد عليهم؟

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. اذكر ثلاثة من المعاني اللغوية للقدر وثلاثة أخرى للقضاء.
2. عرف القدر اصطلاحا مبينا عناصره الأساسية من خلال التعريف .
3. عرف مفهوم القضاء اصطلاحا.
4. وضح العلاقة بين القدر والقضاء .
5. اذكر دليلا من القرآن وآخر من السنة بخصوص الايمان بالقدر.
6. بم تعلل نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخوض في القدر؟
7. يحتج بعضهم بالقدر على المعاصي والتقصير ، بم ترد على هؤلاء ؟
8. بين صلة صفات القدرة والارادة بموضوع القدر؟
9. ما الفرق بين الإرادة الكونية والإدارة الشرعية؟

3. أفعال العباد بين التسيير والتخيير

عزيزي الدارس : بعد أن تعرفت على مفهوم القضاء والقدر وأدلة الأيمان بهما وعقيدة أهل السنة في القدر باعتباره ركنا أساسيا من اركان الايمان.انتقل بك الى الحديث عن المسألة التي أصبحت صلب موضوع القضاء والقدر وهي مسألة الانسان بين التسيير والتخيير أو بين الجبر والاختيار.

وقبل أن أوضح لك المذاهب المتباينة التي تناولت هذا الموضوع لا بد أن أضع بين يديك معلومات اساسية تشكل قاعدة أو أرضية ثابتة لا تستطيع أن تخوض في آراء الجبرية أو القدريةدونها.

هذه المعلومات تدور حول تاريخ البحث في هذه المسألة ومن أين جاءت الى الفكر الاسلامي . وحول طبيعة هذا الانسان وحدود إرادته وعلاقة هذه الارادة الانسانية بإرادة الله سبحانه وتعالى، واختيار الله تعالى لهذا الانسان ليكون محل الابتلاء ومناط التكليف الخاضع لمبدأ الجزاء والثواب

والعقاب . وحول الصلة بين قدرة الله تعالى المطلقة وبين أفعال العباد وهل هي مخلوقة لله أو الانسان بحده.

هذه قضايا مهمة وعلى من يريد بحث مسألة التسيير والتخيير أن يفهمها مسبقا قبل أن يعرف آراء المذاهب واختلافاتهم نحوها.

1.3 نشأة مسألة الجبر والاختيار وكيف دخلت الاسلامي

مما لا ريب فيه أن مسألة الجبر والاختيار لم تكن ابتكاراً للفكر الاسلامي فالجيل الأول في صدر الاسلام لم يكن يحب الخوض في هذه المسألة ولم يبد اهتماما بها.

(1) كما أن المعتزلة الذين كانوا أول من بدأ الخوض في هذه المسألة لم يأتوا بها من فراغ أو من بنات أفكارهم فهي مسألة معروفة في الفلسفة اليونانية قبل الإسلام وحتى الخلاف او التعارض الذي نراه بين الجبرية والقدرية في العهد الاسلامي في حرية الانسان وارادته موجود بذاته تماما وبنفس التعارض في الفلسفة اليونانية القديمة فالأبيقوريون يرون أن الإرادة حرة في الاختيار، والانسان يفعل جميع الأفعال بارادته واختياره دون أى أكراه والرواقيون يرون أن الإرادة مجبرة على السيرفي طريقها لا يمكن أن تتعداها، والانسان لا يفعل شيئا بإرادته ، وإنما هو مجبر على فعل أفعاله (قنبس ، عبد الحليم محمد، مسألة القضاء والقدر، ص 31)

كما أن المسيحية الشرقية قد خاضت في هذه المسألة وذهبت الى مذهب القدرية ومن أبرز من ذهبوا الى ذلك يوحنا الدمشقي، بينما ذهب اليعاقبة الى الجبرية ونفي الارادة الانسانية .

(2) وقد ذكرت المراجع الاسلامية القديمة أن مذهب القدرية دخل الى البيئة الاسلامية عن طريق النصارى.

(3) فقد ذكر المقريزي أن أول من تكلم بالقدر في الإسلام هو معبد الجهني أخذ ذلك عن نصراني يقال له أبو يونس سقسوية ويعرف بالأسواري" (العسقلاني ، ابن حجر، تهذيب التهذيب، 10 / 225) .

(4) ويقول ابن قتيبة في المعارف "غيلان الدمشقي كان قبطيا قدرياً لم يتكلم أحد قبله في القدر ودعا اليه الا معبد الجهني" (زادة ، طاش كبري، مفتاح السعادة، ص 1 :35) .

وكذلك كان الامر في الفكر اليهودي فقد دار نقاش حول القدر والجبر والاختيار، فمال القراؤون (إحدى فرق اليهود الى القول بالجبر والقدر، وصار الربانيون (فرق يهوية) الى القول بالاختيار" (عبد الحميد. د. عرفان، دراسات في الفرق، والعقائد الاسلامية، ص 253) .

وروى مسلم في صحيحه أن أول من قال بالقدر في البصرة معبد الجهني ، وكان يزعم أن لا قدر وأن الأمر أنف" (شرح النووي على صحيح مسلم 1 / 150

وهناك روايات مختلفة تدل على أن المسألة كانت دخيلة على المجتمع السلامي وأن النصرانية كانت مصدرا اساسيا من مصادرها.

فقد روي اللالكائي (صاحب كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس بالجابية (من أرض الشام) فقال في خطبته من يضلل الله فلا هادي له، وكان

الجثاليق (أحد رؤساء النصارى) بين يديه فقال إن الله لا يضل أحدا وعندما كررها عمر بن الخطاب ، نفض الجثاليق ثوبه ينكر قول عمر، فقال له عمر بعد أن ترجم له كلامه "كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك والله يضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله ... إ ن الله خلق الخلق،.... وكتب أهل الجنة وما هم عاملون وكتب أهل النار وما هم عاملون ثم قال هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان" (اللالكائي، شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، 3 : 659) .

(٣) قال الأوزاعي "أول من نطق في القدر رجل من العراق يقال له سوسن ، كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر فاخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد (المرجع السابق، 3 / 750) . ولقد لقيت هذه المقولات الدخيلة معارضة شديدة من الصحابة الأحياء في ذلك الوقت كابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وابي هريرة وأنس بن مالك ولهم أقوال كثيرة في الرد عليها أوردها البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق.

(٤) لكن هذه المقولات استطاعت أن تجد لها موطئ قدم في المجتمع الاسلامي عند رؤوس الاعتزال وائمته كواصل بين عطاء وعمرو بن عبيد وغيلان الدمشقي والنظام.

فقد زعم واصل بن عطاء أن الشر لا يجوز اضافته الى الله لأن الله حكيم ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحتم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه.... وزعم النظام من المعتزلة أن الله لا يوصف بالقدرة على الشروروالمعاصي وليست هي مقدورة لله" (الشهرستاني ، ابو الفتح ، الملل والنحل , 54 1 :47) .

ومن هنا ظهر من سموا بالقدرية وقد سمو بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه.

وقد أيد كثير من الباحثين الغربيين القول بأن المسيحية وفلسفتها في مفهوم الارادة الانسانية كان لهما اثر في الرأي الذي ذهب اليه القدرية.

ومن أوائل من قال بهذا االرأي المستشرق الألماني "فون كريمر" الذي يقول "إن حركة القول بالقدرة الانسانية في خلق الافعال نشأت بتأثير من تعاليم الكنيسة الأغريقية واراء اساتذتها وبخاصة يوحنا الدمشقي.

ويقول ماكس هوتن " علم العقيدة المسيحية أو علم الكلام المسيحي في الشرق يؤكد قبل كل شيء الاختيار الانساني ومسؤولية الانسان الكاملة في تصرفاته.... ولما كانت هذه الأدلة مقنعة للمسلمين الأحرار رجال المعتزلة، رأوا من أنفسهم لا محالة اتباعه ووجوب الأخذ به ، لأجل هذا نشأت فكرة الاختيار في المدرسة العقلية من مدارس علم العقيدة الاسلامية" (عبدالحميد / د. عرفان/ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، 260) .

ويقول "دي بوير" في كتابه تاريخ الفلسفة في الاسلام "لا شك أن العقائد الإسلامية في تكوينها تاثرت بعوامل نصرانية أبلغ التاثر ، فتأثرت العقائد الإسلامية في تكوينها بمذاهب الملكانية واليعاقبة في دمشق ، كما تأثرت في البصرة وبغداد بالمذاهب النسطورية والفنوصية".

ويقول "وليم طومسون" "هناك تشابه كبير يبلغ حدّ التماثل الكلي بين آراء الخوارج والقدرية

العدلية الذين اعتنقوا مبدأ التوحيد القاضي بتفويض الله القدرة للعبد وصيرورة الانسان مساويا لله في الخلق في هذا العقل، وحراً في تصرفاته من الضوابط الإلهية ، وبين العقيدة المسيحية فيالقول بالاختيار كما تصورها وصاغها آباء الكنيسة الشرقيون (عبد الحميد ، د. عرفان ، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، هامش صفحة 261) .

ومن الانصاف ان لا نذهب بعيداً في هذه المسألة فنجعل هذا التاثير الخارجي العامل الرئيسي في بروز هذه الأفكار ونشوء هذه المذاهب الاسلامية.

ولقد بالغ المستشرقون كثيرا في هذه القضية لأنهم انطلقوا من فرضية خاطئة أرادوا أن يبرهنوا لها ويثبتوها وهي أن الحضارة اليونانية هي أصل العلوم الاسلامية وأن العرب المسلمين كانوا ناقلين لا مبتدعين في كافة المعارف الانسانية.

ومع هذا وذاك فلا بد أن نعرف أن البحث في مشكلة الاختيار الانساني والارادة الانسانية وعلاقتها بالإرادة الإلهية اسهم فيها عامل ذاتي داخلي كان الحافز الاساسي للبحث . هذا العامل هو التعارض الظاهري بين النصوص في هذا الموضوع ، فهناك نصوص في الكتاب والسنة. يفهم من ظاهرها أن الانسان مجبر على أفعاله وأن الله سبحانه خالقه وخالق أفعاله، وهناك في المقابل نصوص يفهم منها أن للإنسان اكتسابا بفعله وارادته واختيارا يسأل عنه. فنقرأ قوله تعالى "ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين".(السجدة / 13) وقوله تعالى "والله خلقكم وما تعلمون" الصافات / 96) وقوله سبحانه "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" (التوبة / 15) إلى غير ذلك من الآيات الكريم الكثيرة في هذا السياق.

وفي المقابل نقرأ قوله تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة" (المدثر/ 38) وقوله سبحانه "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف / 29) وقوله سبحانه "إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا" (الانسان / 30) إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي يفهم منها أن الانسان مسؤول عن أعمال وقادر على اختياره للخير أو الشر.

والأمر كذلك في السنة النبوية فنقرأ ما رواه الامام مسلم في في صحيحه أن رسول الله قال " إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم" (صحيح مسلم/ القدر/ حديث رقم 2662) .

وغير ذلك من الأحاديث الدالة في ظاهرها على أن المعصية والكفر هما مخلوقان لله وان العبد سيسير وفق ما كتب له.

ونجد كذلك في المقابل الأحاديث التي تحمل الانسان مسؤولية افعاله لأنه يختارها بنفسه مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي "يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " صحيح مسلم ، كتاب البر والأدب والصلة، حديث رقم / 2577) .

إن التعارض الظاهري بين هذه النصوص فتح المجال امام هذه المذاهب المختلفة وراح كل فريق يحشد من النصوص الموافقة في ظاهرها لرأيه يؤيد بها ما ذهب اليه واذا ما ووجه بالنصوص الأخرى

المعارضة بحث لها عن تاويل معقول او غير معقول ، وتشكل في في المسالة رأيان متعارضان تماما هما رأي الجبرية الذين سلبوا الانسان إرادته واختياره وحروره من مسؤوليته ، ورأي القدرية من المعتزلة والجهمية الذين بالغوا في حرية الانسان واختياره ومسؤوليته .

ولقد اسهمت العوامل السياسية في ترعرع هذين المذهبين فقد شهد العصر الأموي في منتصفه الأخير ترعرع المذهب الجبري ذلك لأن بعض خلفاء بني امية رأوا في المذهب الجبري مساعداً لهم في ممارساتهم التعسفية فكان يريحهم ان يستسلم الناس لهم على أنها قدر إلهي عليهم ويدل على هذا ما روي أن معبداً وعطاء بن يسار دخلا على الحسن البصري فقال يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون اموالهم ويقولون انما تجري اعمالنا على قدر الله تعالى". (المسعودي ، مروج الذهب 26/2)

كما انتشر المذهب القدري في العصر العباسي أيام المأمون ومن بعده حيث تنفس المعتزلة الصعداء وفتحت لهم الأبواب على مصراعيها لينشروا فكرهم كما يريدون.

3.2 الإنسان والابتلاء

عزيزي الدارس : بين يدي دراستك لموقع الانسان بين الجبر والاختيار لا بد لك أن تعرف طبيعة الانسان وحدود استطاعته ولماذا اختاره الله عز وجل ليكون محل التكليف والابتلاء وتعرف كذلك أين الجبر وأين الاختيار في هذ ه التجربة الابتلائية.

هذا الانسان مخلوق متميز عن غيره من المخلوقات ، فمن بين مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصى اختار الله سبحانه هذا الانسان في جرمه الصغير وتكوينه العجيب وجعل فيه من صفات النطق والبيان والارادة والتفكير ما لم يتيسر لغيره من المخلوقات .

لقد وهب الانسان من الخصائص والمزايا الكثير الكثير الى حدّ أنه لم يستطع أن يتوصل الى حقيقة هذه المزايا ، وأخذت دراسة الانسان وعالمه المادي والروحي ولا زالت تأخذ جانبا كبيرا من جهد الانسان وتفكيره ، يفكر في ذاته من هو؟ وما طبيعته؟ ما هو السر الذي يحمله ؟ ما العقل ؟ ما الروح؟ ومن أين أتى؟ ولم أتى؟ والى أين سيذهب ؟ وما علاقته بالأشياء والأحياء والأحداث من حوله؟ وهل هو مطلق الحرية فيما يفعل أو يترك ؟ أم أن هناك قوة تتحكم في ارادته واختياره؟

كل هذه التساؤلات طرحها العقل الانساني في تاريخه الطويل.

وقد أجاب القرآن الكريم عن كل هذه التساؤلات وحل هذه الألغاز وأعطى رؤية واضحة عن طبيعية الانسان وحياته بداية ونهاية وبين موقعه في هذا الوجود ومصيره بعد هذا االوجود.

لقد بين القرآن الكريم أن الانسان ليس هذا الجسد المادي الظاهر فحسب بل هو جسد وروح وعقل ولكل خصائصه واحتياجاته.

ورغم محاولات الفلاسفة الاجابة على هذه التساؤلات التي طرحها العقل البشري إلا أنها لم تستطع أن تقدم الجواب الشافي علاوة على اختلافها وتناقض إجاباتها ، فقد زادت الحيرة والشكوك حتى أصبح الشك بذاته فلسفة (ديكارت والغزالي) وظهرت نظريات اللاادريةوالعدمية وعبثية الكون،

وانتجت الفلسفة الحديثة فلسفة الوجودية القائمة على القلق والتشاؤم والحيرة والتردد وخاضت في مسألة الاختيار والحرية الانسانية واعطت فكراً سلبياً يدعو الى التفلت والفوضى والثورة والتمرد على كل القيم والفضائل مما أنتج قطعان الهيبز والبتلز في المجتمعات الغربية.

وقد عبر بعض الشعراء عن هذه الفلسفة الحائرة وابرزهم إيليا أبو ماضي في قصيدته اللاأدرية المشهورة:

جئت لا أعرف من أيـن ...ولكني أتيـــــت
ولقد أبصرت قدامـــي طريقاً فمضيـــــت
وسابقي سائـــــرا إن شئت هذا أم ابيـــت
كيف جئت ؟ كيف أبصر ت طريقي لست ادري
أجديد أم قديـــــم أنا في هذا الوجود؟
هل أنا حر طليـــــق أم أسير في قيـــود
هل أنا قائد نفســـي في حياتي أم مقـود
أتمنى أننـــــي أدري ولكن لســـــت ادري

وبين القرآن الكريم أن الله سبحانه حينما خص هذا المخلوق دون غيره بهذه الخصائص العظيمة لم يكن ذلك عفوية أو عبثية وإنما كان تهيئة له وتمهيدا ليتمكن من حمل امانه التكليف التي أبت السموات والأرض والجبال حملها، لا إباء رفض وإنما إباء إشفاق وإباء اعتراف بعدم استطاعتها حملها - وضدك تصدى لها هذا الانسان الذي عرف انه مهيأ لذلك قادر على تحمل المسؤولية فحملها وخضع للتجربة الابتلائية ودخل الامتحان الصعب الذي عرف تبعاته مسبقا وأوتي من الخصائص والصفات ما جعله قادرا على دخول الامتحان فعلاً.

وحدوث الابتلاء يجرى على العبد إجباريا إلاانه مطالب حيال هذا الفعل الاجباري بسلوك خلقي معين نابع من ارادته وواقع باختياره وفاعليته . فالابتلاء بمعنى الامتحان والاختبار والتمحيص يعني دخول العبد الموقف الابتلائي دخولا اضطرارياً جبرياً يواجه العبد بسلوكين متضادين عليه أن يختار واحدا منها فهو حيال الابتلاء بالآلام والشدائد والمحن والحرمان يجد أمامه سلوكين أما الصبر والرضى بقضاء الله وقدره وهذا هو السلوك الناجح ، وإما الجزع والاعتراض والسخط وذلك هو سبيل الكافرين إزاء هذا الموقف وحيال الابتلاء بالنعيم والمتعة يستطيع العبد أن يسلك واحدا من اثنين : إما الشكر لله بالقلب واللسان والجوارح بأداء حق النعمة والقيام بما كلفه الله من تشريعات مالية واقتصادية حيال الآخرين وإما الغرور والتأله والبخل ونسبة الفضل إلى نفسه كما فعل فرعون وقارون (الدسوقي) ، د. فاروق ، القضاء والقدر في الاسلام ، 1 / 179) .

في هذه التجربة الابتلائية الحتمية للإنسان يتبدى الجانبان الجبري والاختياري في حياة هذا الانسان. فدخول موقف الابتلاء ووضع الانسان امام هذا الموقف من خلق الظروف والأحوال والأحداث والطبائع والماهيات التي تؤدي الى الوضع الذي يجد المرء فيه نفسه أمام سلوكين متضادين إنما يتم ذلك كله بطريقة جبرية ليس للإنسان فيها أدنى لختيار. ثم تأتي المرحلة الثانية من أفعال التجربة

الابتلائية وتتمثل في تحرك ارادة العبد لاختيار احد السلوكين او الفعلين المتضادين، أو للاختيار بين الفعل والترك ثم قيام الاستطاعة البشرية بتنفيذ ما تم اختياره ، وعند ذلك تقع المسؤولية على الانسان لأنه قدّم بلرادته السلوك الذي اختاره.

وفي حياة الانسان بشكل عام يتبدى الجانبان الجبري والاختياري بلمسهما في كل وقت كل من نظر في حاله وواقع اعماله، فهو يجد الجانب الجبري في نفسه متمثلا فيما يحمل من صفات وراثية تساهم في تكوين شخصيته ونفسيته وطباعه من ذكاء ومزاج وغرائز وعواطف ومواهب وقدرات بالاضافة إلى شكله ولونه ، وما الى ذلك من قضايا يعترف انه لم يكن له أي دور في واحد منها.

ويرى في المقابل الجانب الاختياري من حياته متمثلاً في اختياراته اليومية للأفعال فعلاً أو تركاً.

هذه هي التجربة الابتلائية للانسان مقدمتها جبر ونتيجتها اختيار.

ولقد بين القرآن الكريم أن الله عز وجل ومنذ أن خلق هذا الانسان جعل العلاقة بينه سبحانه وبين هذا الانسان متمثلة في حقيقة الابتلاء فقد خلقه سبحانه واخضعه للابتلاء من اللحظة الأولى كما في قضية آدم عليه السلام وتجربته الابتدائية مع ابليس وهكذا الحال عند كل انسان "إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل وإما شاكرا إما كفورا" (الانسان / 302) وذكر لنا القرآن الكريم قصة من ابتلاهم بالخير أو بالشر أفرادا أو جماعات، مثل ابتلاء صاحب الجنتين في سورة الكهف وقصة اصحاب الجنة في سورة القلم ، وقصة اصحاب السبت من بني اسرائيل في سورة الأعراف ثم ابتلاء بني اسرائيل بنعم كثيرة ذكرهم بها انبياؤهم عليهم الصلاة والسلام ثم ابتلاؤهم بالتيه والسنين والجراد والقمل والضفادع والدم وما الى ذلك من آيات.

وبناء على هذه الابتلاءات ونتائجها رتب الله سبحانه وتعالى عملية الجزاء في الدنيا وفي الآخرة "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور" (الحج / 41) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين" (القصص / 83) إلى غير ذلك من آيات كثيرة في كتاب الله وفي مواضع متعددة وبخاصة في التعقيب على إهلاك الأمم الغابرة ممن كذبوا رسلهم وعتوا عن امر ربهم ، فنقرأ في تعقيبه سبحانه على قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف " فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين" (الأعراف / 64)

ونقرأ في قصة عاد مع نبيهم هود عليه السلام " فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين " (الأعراف /77) .

والخلاصة أن هذا الانسان الذي اختصه الله تعالى دون غيره من المخلوقات من حيث طبيعة تكوينه (الروح والعقل والجسد) ولكل متطلباته وصفاته واستعداداته ومن حيث البيان والنطق مما يؤهله للتعبير عن فهمه وحاجاته ومن حيث الارادة المحدودة التي عدّت محل الابتلاء والتكليف والمسؤولية . كل هذه الامور جعلت الانسان متنقلا بين الجبر وبين الاختيار علما بأن مواطن الجبر ومواطن لاختيار عنده واضحة حسب ما بينت العقيدة الاسلامية .

3.3 الصلة بين قدرة الله تعالى وبين أفعال العباد (هل أفعال العباد مخلوقة)

عزيزي الدارس : لقد تبين لك أن الانسان الذي وقع عليه الاختيار ليكون محل التكليف والابتلاء كان لا بد أن يمتاز عن غيره من المخلوقات ببعض المزايا ولعل أبرز هذه المزايا الإرادة والقدرة على الفعل . وقد يفهم بعضهم للوهلة الأولى أن هناك تعارضا بين الإرادة الكلية الشاملة لله تعالى وبين هذه الارادة الجزئية المحدودة للانسان ومن ثم كانت هذه النقطة مثار جدل طويل بين المذاهب التي خاضت في موضوع التسيير والتخيير وأفعال العباد.

ومن يرى تميز الإنسان عن المخلوقات بل وهيمنته وتحكمه فيها وتسخير هذه المخلوقات لمصالحه وحياته، ويرى كذلك هذه الحرية المنظورة في أعماله فهو يفعل الخير ويفعل الشر ويعصى ربه ويطيعه يظن أن هناك تضاربا وتعارضا بين الإرادتين ، والحقيقة ، عزيزي الدارس ، أنه لا تعارض إطلاقا لأن ارادة الانسان واستطاعته على القيام بفعله هي جزء من ارادة الله تعالى ومشيئته وهي منبثقة من إرادة الله حين شاء سبحانه أن يكون الانسان خليفة في الأرض بمعنى أنه أعطاه سيادتها واستثمارها ، وهذه الاستطاعه الانسانية تقوم على ركيزتين تستلزمها خلافته في الأرض ، الأولى : تكمن في طبيعة وماهية الكائنات والمخلوقات التي استخلف الله الانسان علها وفي السنن والنواميس التي تسير عليها هذه المخلوقات حسب ما شاء الله تعالى لها أن تكون. والثانية: تكمن في النفس البشرية ذاتها وهي الاستطاعة الذاتية للإنسان على الفعل حيث خلق الله الانسان بطبيعة تكمنه من هذا الفعل وهذا الاختيار.

ونلاحظ هنا أن إرادة الله تعالى هي المتحكمة في الركيزتين فالله سبحانه هو الذي خلق هذه المخلوقات وفق كيفية جعلها فيها مسخرة لهذا الانسان " وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ في الأرض مختلفاً الوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر ..." الى آخر الآيات الكريمة من سورة النحل 12 - 18 " .

وهكذا خلق الله هذه المخلوقات جميعا من أجل هذا الانسان ولا معنى لوجودها ، سوى أنها مسخرة وخاضعة ومخلوقة لخدمة الانسان وتحقيق خلافته وسيادته عليها لابتلائه واختياره فالله يقول "ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة " (النحل / 61) وقوله ما ترك عليها من دابة يعني أن زوال الانسان يستتبع زوال بقية المخلوقات على الأرض بفنائه. (الدسوقي، د. فاروق ، القضاء والقدر في الاسلام، 1 / 237) .

والله سبحانه هو خالق هذا الانسان وهو الذي مكنه من الاختيار والفعل لتحقق إرادة الله تعالى في التكليف والابتلاء لهذا الانسان المختار لهذه الغاية.

إلى أي من الركيزتين نظرنا نجد الأرادة الآلهية المتحكمة والقدرة الإلهية الخالقة "الا له الخلق والأمر" : وحين يتحدث القرآن الكريم عن صفة الخلق لله تعالى يبين أن القدرة الإلهية فيها مطلقة وشاملة "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون " (البقرة / 21) .

بل صرحت الأيات الكريمة في أكثر من موضع بخلق الله سبحانه وتعالى لكل شيء في هذا الوجود "بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل" (الانعام 101 / 102) .

وهو سبحانه في هاتين الآيتين يثبت لنفسه خلق كل شيء قد تم خلقه ويثبت أنه لا زال يخلق كل شيء يجري في الزمان.

فالآيات الكريمة تثبت الخلق لله وحده وتنفيه عمن سواه " واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم خيرا ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا" (الفرقان / 3) .

ولا شك أن أفعال العباد لا تخرج عن كونها شيئا من الأشياء التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، فهو سبحانه قد خلق هذا الانسان وخلق ما حوله من أحياء واشياء وسخرها له وخلق كل الأعمال والأحداث فما من شيء في الوجود خارج عن قدرته سبحانه وتعالى.

ومن ثم فإن أول ما يتبادر الى الذهن أن أفعال العباد مخلوقه لله حيث أنها لا تعدو أن تكون شيئا ، وقد أثبت القرآن الكريم أن الفعل والعمل شيء وذلك في قوله تعالى "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرلكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" (البقرة / 216) فالقتال فعل وعده القرآن الكريم شيئا.

وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى بنص القرآن الكريم حيث يقول سبحانه "والله خلقكم وما تعملون" (الصافات/ 96) .

وقد ذكر الإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد نصوصا كثيرة من السنة تدل في نتيجتها على أن افعال العباد مخلوقة. ومن أوضح هذه النصوص ، قوله صلى الله عليه وسلم "إن الله يصنع كل صانع وصنعته" (البخاري ، خلق أفعال العباد) ص 17) .

كما ذكر البخاري عن طاووس قال "ادركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقولون كل شيء بقدر حتى العجز والكيس" البخاري ، خلق أفعال العباد / 17) .

كما ذكر الإمام مسلم في صحيحه عن طاووس قال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس" (صحيح مسلم ، القدر).

وروى البخاري "وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس إنا كل شيء خلقناه بقدر حتى العجز والكيس، قال سمعت عبيد الله بين سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة. قال البخاري حركاتهم واصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة" (البخاري ، محمد بن اسماعيل ، خلق أفعال العباد، ص 18).

ومن الأدلة القاطعة على خلق الله تعالى لأفعال عباده قوله تعالى "إنا كل شيء خلقناه بقدر" (القمر / 49) .

وقد رد ابن حزم رحمه الله على من رد على هذا الدليل بدعوى الخصوص أي بتخصيص ذلك لكل شيء مخلوق ، وقد استدلوا على ذلك بآيات أخرى مثل قوله تعالى "تدمر كل شيء بأمر ربها فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم" (الأحقاف / 25) قالوا : فمع أن مساكنهم تقع ضمن كل شيء إلا

انها قد استثنيت وبذلك يمكن استثناء أفعال العباد من (كل شيء) " في قوله تعالى "إنا كل شيء خلقناه بقدر".

قال ابن حزم : وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قوله تعالى "تدمر كل شيء بأمر ربها بيان جلي على أنها إنما دمرت كل شيء أمرها الله تعالى بتدميره لا ما لم يأمرها فهو عموم لكل شيء أمرها به .... ثم لو صح برهان في بعض هذا العموم أنه ليس على ظاهره وإنما أريد به الخصوص لما وجب من ذلك أن يحمل كل عموم على خلاف ظاهره بل كل عموم على ظاهره حتى يقوم برهان بأنه مخصوص أو أنه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص أو بالنسخ إلى ما لم يقم برهان بأنه منسوخ أو مخصوص ، ولو كان غير هذا لما صحت حقيقة في شيء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبدا لأنه لا يعجز أحد في أمر من أوامر الله تعالى وفي كل خبر من أخباره عز وجل أن يحمله على غير ظاهره وعلى بعض ما يقتضيه عمومه وهذا عين السفسطة والكفر والحماقةونعوذ بالله من الخذلان ، ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى " "إنا كل شيء خلقناه بقدر" (القمر / 49) (الظاهري ، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ 3 / 60) .

تدريب (5)

لقد أنكر المعتزلة خلق الله تعالى لأفعال عباده وقالوا ، إنها لا تدخل ضمن قوله تعالى "الله خالق كل شيء" إلا أنها ليست شيئا ، فما هو الدليل من القرآن الكريم على أن الفعل شيء؟

عزيزي الدارس " إن قول أهل السنة بأن أفعال العباد مخلوقة لا يعني صحة ما ذهب اليه الجبرية بأن الله سبحانه وتعالى خلق العباد وخلق افعالهم وجردهم من أي امكانية للاختيار أو الإرادة ومن ثم رفع المسؤولية عن هذا الانسان.

ولقد عرض القرآن الكريم هذه القضية مكتملة حيث أوضح أن قدرة الله تعالى مطلقة فلا يكون شيء في هذا الكون صغر أم كبر ومن ذلك أفعال العباد إلا بقدرته سبحانه ، وف الوقت نفسه أعطى الانسان حرية الاختيار بين ما خلقه الله تعالى من خير أو شر ورتب عليه المسؤولية نتيجة اختياره . والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق عند هذا الانسان هذه القدرة على الاختيار وهو الذي هيأ له اسباب الاختيار وهداه الى ما اختاره وأكتفى في هذا المجال بذكر قوله تعالى "من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا، ومن اراد الأخرة وسعى لها سعيا وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، ومما عطاء ربك محظورا" (الاسراء / 20- 18) .

بقي أن نقول عزيزي الدارس إن خلق الله لأفعال عباده مذهب جمهور الأمة الاسلامية . قال ابن حزم "اختلفوا في خلق الله تعالى لأفعال عباده ، فذهب أهل السنة كلهم ، وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل كالمريسي وابن عون والنجارية والأشعرية والجهمية وطوائف من الخوارج والمرجئة الشيعة الى أن جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ، ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من

المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه ابو يحيى حفص الفرد" .

(الظاهري ، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل 3 / 54) .

4.3 المذاهب الرئيسة في مسألة التسيير والتخيير

إليك أخي الدارس عرضا للمذاهب الرئيسة التي دارت حول مسألة التسيير والتخيير.

4.3.1 مذهب الجبرية

ظهر هذا المذهب في مرحلة مبكرة من التاريخ الاسلامي ، فقد انتشر بين العامة في أوائل عهد الدولة الأموية ، وأول من قال به الجعد بن درهم ثم أخذ عنه الجهم بن صفوان الراسبي المتوفى سنة 128 هـ حين ثار على الدولة الأموية فقتله سلم بن آحوز المازني والي الأمويين في خراسان.

ولقد حاول بعض المستشرقين أن يحمل المسؤولية بكاملها في ظهور المذهب الجبري لحكام بني أمية ، حتى ذهب بعضهم من أمثال جولدزيهر في كتابه (العقيدة والشريعة) الى أن معاوية - رضي الله عنه - حين استقر له الأمر اراد أن يثبت في أذهان الناس أن امرته على المسلمين انما كانت بقضاء الله وقدره فاشاع الفكرة وشجع مذهب الجبر، وأخذ هو وخلفاء بني امية من بعده.يبثون الفكرة بمختلف الوسائل ، إذ رأوا أن القول بالجبر يسوغ كل ما يأتون من مظالم فعملوا على أن يفسر الناس كل ظلم يقع عليهم بقضاء الله وقدره" (عبد المجيد ، د. عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، ص 263 نقلاً عن : جولدزيهر ، العقيدة والشريعة، ص 97) .

ومع أن هؤلاء المستشرفين وجدوا من المراجع الاسلامية القديمة ما يبنون عليه هذا القول من أمثال ابن قتيبة الذي ذكر في كتاب (المعارف) ما يروى أن عبدالملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد أمر أن ينادى في الناس "بأن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ".

إلا أن هؤلاء المستشرفين قد بالغوا مبالغة شديدة وغير منصفة في تحميل الأمويين مسؤولية ظهور هذه الأفكار منطلقين من دافع الحقد على الاسلام والمسلمين ومحاولين أن يثبتوا أن النظام الإسلامي ما تمكن من الاستمرار بذاتيته وصلاحيته أن يكون نظاما شاملا يعالج قضايا الناس ويحل مشكلاتهم وإنما استمر بالقوة.

وأن المنطلقات الشخصية والصراع على السلطة هو الذي كان يحكم مسيرة الدولة الاسلامية منذ انتهاء عصر النبوة.

والحق أن مثل هذه الروايات ينقصها التوثيق والتدقيق ولا أظن أن رجلا فقيها مثل عبد الملك ابن مروان يمكن ان يستغل الناس الى هذا الحد بل كان يملك من الجرأة أن يبين للناس سبب قتله لهذا المبتدع.

ويمكن القول بأن بعض حكام الأمويين ممن تجاوزوا في تعاملهم مع المناوئين الخارجين على سلطتهم قد استغلوا فكرة الجبر التي انتشرت في ذلك الوقت من قبل بعض المبتدعة المنحرفين من أمثال الجهم بن صفوان ولاقت قبولا عند الجهلة والعامة الذين يروق لهم تنصلهم من المسؤولية تماما

باسناد الامور الى الله تعالى.

ورأى هؤلاء الحكام أن فكرة الجبر التي يتقبلها العامة يمكن ان تساعدهم في عدم اعتراضهم على تصرفاتهم وممارساتهم الخاطئة .

ويدل على هذا ما روي ان معبد وعطاء بن يسار دخلا على الحسن البصري وقالا: يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون اموالهم ويقولون انما تجري اعمالنا على قدر الله تعالى" (زادة ، طاش كبرى، مفتاح السعادة، 3 / 33) .

ويبدو أن الشيعة كان لهم دور في هذه الروايات التي تحمل بني أمية مسؤولية شيوع فكرة الجبر حيث يقول المرتضى في كتابه المنية والأمل "وأما المجبرة فقد بينا فيما سبق أنما حدث مذهبهم في دولة معاوية وملوك بني مروان فهو حادث مستند الى مالا ترضى طريقته" (الدسوقي، د. فاروق ، القضاء والقدرة في الاسلام 2 / 131) .

والراجح أن حكام بني أمية لم يبتكروا مذهب الجبرية ولم يعملوا على نشره ولكن بعضهم استفاد من شيوعه في تسويغ مخالفاته وممارساته مع مناوئيه.

إن هذه القضية الأساسية في الإسلام وهي أن كل شيء بإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته قد استغلها الكثيرون لأغراض وأهداف دنيوية وخبيثة فهي كلمة حق ارادوا بها باطلاً.

ونستطيع أن نؤكد أن انتشار المذهب الجبري في العصر الأموي يعود الى فئتين عملتا على ترويج هذا المذهب وهما:

الأولى مرتكبو الشرور والمعاصي والظلم الذين يريدون التنصل من مسؤولياتهم وتسويغ أفعالهم متعللين بالمشيئة الإلهية والقدر.

والثانية: فئة مخلصة لله ولرسوله ولكنها قاصرة عن فهم حقائق الاسلام فتأثروا ببعض الحقائق دون بعض ، وقالوا كل شيء بقضاء الله وقدره ومشيئته وليس للأنسان في امره ارادة أو اختيار وهؤلاء هم ضحايا الزنادقة والمشككين والمنتفعين من انتشار هذا المذهب.

في ظل هذه الأجواء السياسية وفي ظل التوجه الفكري الجديد الذي بدأ ينتشر ببروز المدرسة العقلية وعدم الاقتصار على الوحي وبداية عهد التأويل للنصوص . تمكن المذهب الجبري من الانتشار بعد أن وجد له مفكرين ومروجين.

خلاصة المذهب الجبري والرد عليه:

قال الشهرستاني الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته الى الرب تعالى.

ثم ذكر ان الجبرية اصناف فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً ، والجبرية المتوسطة أن يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة (الشهرستاني ، ابو الفتح، الملل والنحل) هامش الفصل في الملل والنجل 1 / 108).

وعدّ الشهرستاني الجهمية من الجبرية الخالصة وذكر قول الجهم بن صفوان في القدرة الحادثة أن الانسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور في افعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وينسب

إليه الأفعال مجازا كما ينسب الى الجمادات كما يقال اثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيمت السماء وأمطرت وازهرت الأرض وانبتت الى غير ذلك . والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر، قال واذا ثبت الجبر فالتكليف ايضا كان جبراً (الشهرستاني، ابو الفتح، الملل والنحل، 1 / 110 - 111) .

فالجبرية لا يرون للعبد ارادة مطلقا ويرون أن أفعال الانسان اضطرارية وان ما يفعله ليس له فيه ارادة وانما هو أشبه بآلة تعمل بلا وعي ولا عقل ، فالإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار، افعاله التي يفعلها خلقها الله فيها كما خلقها في سائر الجمادات ونسبتها اليه من باب المجاز لا من باب الحقيقة كما هو الشأن في نسبة الأفعال الى الجمادات ويذلك يكون الانسان مسيرا مسلوب الارادة لا فرق بينه وبين سائر المخلوقات من جمادات اوحيوانات .

وبعد أن ذكر شارح الطحاوية خلاصة المذهب الجبري والمذهب القدري قال ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين ولكنها تتكافأ وتتساقط ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر ولكن أذكر شيئا مما استدل به كل من الفريقين ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل به من الباطل (شرح العقيدة الطحاوية 494) .

ثم ذكر شارح الطحاوية بعض أدلة الجبرية ورد عليها رداً واضحا ومن ادلتهم التي ذكرها قوله تعالى "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " (الانفال / 17) فنفى الله عن نبيه الرمي واثبته لنفسه سبحانه فدل على أنه لا صنع للعبد ، قالوا : والجزاء غير مرتب على الأعمال بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله.قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة" (أخرجه الإمام مسلم في صحيحه 50 / 17 / 75 بلفظ لا يدخل احداً منكم عمله الجنة ....الخ).

وقد رد شارح الطحاوية على هذه الأدلة التي استدل بها الجبرية أما الدليل الأول وهو قوله تعالى " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " (الانفال / 17) قال فهو دليل عليهم لأنه تعالى أثبت لرسوله صلى الله عليه وسلمرمياً بقوله : إذ رميت فعلم أن المثبت غير المنفي وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء فابتداؤه الحذف وانتهاؤه الإصابة وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ والله أعلم : وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب ، والا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى ، وما صمت إذ صمت، وما زنيت إذ زنيت وما سرقت إذ سرقت ، وفساد هذا ظاهر.

وأما الدليل الثاني وهو ترتب الجزاء على الأعمال ، قال : فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة ولله الحمد والمنه، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات ، فالمنفي في قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد بعمله باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله ، بل ذلك رحمة الله وفضله ، والباء التي في قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون" (السجدة / 17) وغيرها باء السبب أي بسبب عملكم

والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فرجع الكل الى محض فضل الله ورحمته " (شرح العقيدة الطحاوية / 495) .

أخي الدارس ..... اختي الدارسة ، لقد حدثنا القرآن الكريم عن مسلك الجبرية قبل أن ينشأ مذهبهم مبينا انه مسلك للمشركين والملحدين عبر العصور، فيقول سبحانه "سيقول الذ ين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون" (النحل / 148 - 149) ويقول سبحانه "وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين " (النحل / 35) .

فهؤلاء ينسبون شرورهم للمشيئة الإلهية ويتعللون بها منكرين إرادتهم واختيارهم واستطاعتهم تنصلا من المسؤولية ، وهذا عين ما ذهبت اليه الجبرية ومؤداه هو هذا التنصل من المسؤولية وهذه هي طبيعة البشر حال كونهم مشركين او عصاة أن ينتهجوا في تفكيرهم نهجا من شانه التعلل بقضاء الله وقدره يحاولون أن يسوّغوا به كفرهم أو اقترافهم للمعاصي وإصرارهم على الكفر.

ولذلك رأينا هذا المذهب الذي اتخذ المشركون والعصاة مسلكه من قبل ، رأينا المبتدعة والزنادقة هم الدي يعملون على نشره بين العامة أمثال الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري حيث ضحى به بواسط في العراق وقال : ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم الله لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيراً ثم نزل عن المنبر (ابن تيمية) مجموع الفتاوى ، 8 / 142) .

وعن الجعد أخذ الجهم بن صفوان الذي أنشأ مذهب الجهمية ، وسلكوا مسلك الجبرية وراحوا ينشرونه بين العامة الذين استراحوا لإيجاد مسوّغ لمعاصيهم وتقصيرهم.

يقول ابن تيمية في الرد على الجبرية ومن وافقهم وسلك مسلكهم "وهؤلاء لا يحتجون بالقدر إلا إذا كانوا متبعين لأهوائهم بغير علم ، ولو كان القدر عذراللخلق للزم أن لا يلام أحد ولا يذم ولا يعاقب لا في الدنيا ولا الآخرة ولا يقتص من ظالم أصلا بل يمكن للناس أن يفعلوا ما يشتهون مطلقا ومعلوم أن هذا لا يتصور أن يقوم عليه مصلحة أحد لا في الدنيا ولا في الأخرة بل هو موجب الفساد العام وصاحب هذا لا يكون إلا ظالماً متناقضا، فإذا آذاه غيره أو ظلمه طلب معاقبته ولم يعذره بالقدر وإذا كان هو الظالم احتج لنفسه بالقدر فلا يحتج احد بالقدر إلا لاتباع هواه بغير علم ولا يكون إلا مبطلاً لا حق معه" (ابن تيميه أحمد عبد الحليم، الفتاوى ، 8 / 454) .

إن الانسان لا يمكن أن يكون هكذا كالريشة في مهب الريح لا دخل له في فعله وحركته ، ولقد قرر الاسلام حرية الانسان وحمله مسؤولية اعماله وبين انه محاسب عليها إن خيراً وإن شراً "كل امرىء بما كسب رهين" (الطور / 21) .

" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" . (الزلزلة / ٧)

ويستحيل عقلا أن يتوجه امر التكليف الإلهي لكائن لا يملك في نفسه القدرة على اختيار طاعته. وقد ثبت في النصوص القاطعة أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يكلف نفسا إلا ما اتاها)

ومن لا يملك حرية الإرادة في اختيار عمله لا يكون هذا الاختيار من وسعه او مما اتاه الله.

وليس من العدل ولا الحكمة ان يؤاخذ الله مخلوقا على عمل لم يكن هذا العمل مظهراً من مظاهر اختيار المخلوق وارادته ، ولذلك نلاحظ في النصوص الإسلامية ان المؤاخذة والجزاء مقرونان بالأعمال الإرادية ومتى سلبت الإرادة عن عمل من الأعمال ارتفع التكليف وارتفعت المسؤولية "لا يؤخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم" (البقرة / 225) .

والخلاصة ان المذهب الجبري يتعارض مع النقل ومع العقل.

4.3.2 المذهب القدري

نشأة المذهب القدري

يكاد يجمع مؤرخو الفرق ان معبداً الجهني التابعي الصدوق (كما وصفه الذهبي في ميزان الاعتدال) أول من قال من المسلمين بنفي القدر وكان ذلك في آخر أيام الصحابة فتبرأ منه عبدالله بن عمرو وسائر الصحابة.

قال الشهرستاني "وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر ايام الصحابة بدعةمعبد الجهيني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الى القدر، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان تلميذ الحسن البصري" الشهر ستاني الملل والنحل ، 1 / 31) .

ويمكن القول أن القدرية قد نشأت وانتشرت رد فعل مباشر لتفشي القول بالجبر وبخاصة على الصعيد السياسي مما جعل الراقصين لبعض الانحرافات المخالفة للشريعة في عهد بعض امراء بني أمية يبدأون اصلاحهم بمحاولة هدم التسويغ العقيدي الذي استخدمه الولاء وهو القول بالجبر والتعلل بمشيئة الله في كل ما يقع من العباد على العباد....

لذلك نجد القدريين الأوائل تأكيدهم القدرة البشرية على الفعل والمسؤولية في الاختيار إنما يحملون الطاغين من الحكام تبعة اعمالهم ويستنهضون المظلومين من المحكومين للخروج عليهم استراداداً لحقوقهم" (الدسوقي / د. فاروق 2 / 147) .

ويظهر هذا جليا من قول معبد الجهني وعطاء بن يسار للحسن البصري "يا ابا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون اموالهم ، ويقولون إنما تجري اعمالنا على قدر الله تعالى" (طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة 3 / 33) .

فنفيه للقدر كان نوعاً من الاحتجاج على الفهم الجبري الخاطىء للقدر الذي استغله بعض حكام بني أمية لتنفيذ مآربهم والقضاء على معارضيهم.

ولكن معبداً وقع في الخطأ وذهب الى النقيض ولم يقف عند العقيدة السليمة في القدر هذه العقيدة اتي تقوم على إثبات تقدير الله لكل شيء وإثبات الحرية الانسانية بالقدر الذي يحمل الانسان المسؤولية على أعماله، وإذا كانت الجبرية قد أغفلت الجانب الثاني من هذه العقيدة فإن القدرية قد تمكست به وأغفلت الجانب الأول وكلاهما وقع في الخطأ.

ومع هذه العوامل الداخلية لظهور مذهب القدرية فإن هناك عوامل خارجية تدخلت مستغلة تفشي القول بالجبر اسهم فيها بعض اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فقد ذكر الأوزاعي ان أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر، أخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد" (العسقلاني ، ابن حجر، التهذيب، 10 / 225) ولما عظمت فتنة الجهني في البصرة عذبه الحجاج وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة 80 هـ ، ويروي الذهبي أن مقتله كان لأسباب سياسية بسبب اشتراكه في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث.

(الذهبي ، ميزان الاعتدال، 3 / 183 طبعة القاهرة 1907).

أما غيلان بن مسلم القبطي الدمشقي فكان ابوه مولى لعثمان بن عفان ويعد في رأي اكثر كتاب الفرق المبشر الحقيقي بمذهب القدرية وقد صلبه هشام بن عبد الملك على باب دمشق" (عبد الحميد ، د. عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، 265).

خلاصة المذهب القدري

كان المذهب القدري كما ذكرنا رداً على الجبرية التي انتشر مذهبها بين العامة ، ويظهر هذا من الرسالة التي بعثها غيلان الدمشقي إلى عمر بن عبد العزيز يقول فيها "فهل وجدت يا عمر حكيما يعيب ما يصنع ؟ أو يعذب على ما قضى ؟ أو يقضي ما يعذب عليه؟ أو هل وجدت رشيداً يدعو الى الهدى يُضلّ عنه؟ أن هل وجدت رحيما يكلف العباد فوق الطاعة ؟ أم يعذبهم على الطاعة ؟ أم هل وجدت عدلا يحمل الناس على الظلم والتظالم؟ وهل وجدت صادقا يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم؟

وهذا الخطاب يتضمن الأسس الفكرية التي ترتكز عليها القدرية وهي:

أولا: إن الدعوة الى الجبرية هي دعوة لانتشار المعاصي .

ثانيا: أن المعاصي والمصائب والشرور التي يقترفها العباد ليست بإرادة الله ولا قضائه وقدره، بل العباد هم مصدرها الأصيل.

ثالثا: أن الله منزه عن الشرور والأثام وهي ليست منه لأنه نهى عنها وعابها ونقضها.

رابعا: الانسان قادر على أفعاله مطيق لما كلفه الله ونهاه .

خامسا: إن الله سبحانه وتعالى عادل لا يقضي على العباد أمراً ويعذبهم عليه ولا يكلفهم بأمر لا يمكنهم منه.

وهذه على ما يبدو أسس قوية تقوم عليها حرية انسانية وارادة بشرية مختارة ناجية من طائلة الإلهية المتمثلة في القدر وفاعلية تحمل الانسان تبعه عمله الخلقي كاملة فما دام الانسان سليماً صحيح الجوارح خاليا من الآفات فهو عنده مستطيع قادر (الدسوقي ، د. فاروق ، القضاء والقدر في الإسلام) (2 / 152)

هذه هي الفكرة العامة التي كان يروجها ايضا المذهب القدري . غير ان هذا المذهب قد أخذ منحنيين منحنى القدرية الخالصة او المغالية ومنحنى القدرية العامة الذي تبناه المعتزلة وتمكنوا من نشره بشكل واسع وغلاة القدرية لم يقفوا عند اثبات القدر والارادة للانسان فحسب ، بل تطرفوا فنفوا "القدر" بمعنى العلم والتقدير ، فيروى عن معبد الجهني قوله " لا قدر والأمر أنف" أي أن الانسان هو

الذي يقدر اعماله ويتوجه اليها بإرادته ثم يوجهها بقدرته، ومعنى هذا ان الله تعالى لا يقدر هذه الأعمال ازلاً ولا دخل لإرادته وقدرته في وجودها فلا يعلمها إلا بعد وقوعها (عبد المجيد ، د. عرفان ، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية / ص 276) .

وهذا الاتجاه المغالي من القدرية الخاصة هوالذي انصب عليه النكير من الصحابة والأئمة حيث قال شارح الطحاوية "والقدرالذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه - وأن الذين جحدوه هم القدرية المحضة، هو ما قدّره الله من مقادير العباد، وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء ، كقول ابن عمر رضي الله عنهما ، لما قيل له يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ، قال : اخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني برآء " (شرح العقيدة الطحاوية / ص 305) .

إن هذا الغلو في قدرة الانسان عند غلاة القدرية يتعارض مع توحيد الله تعالى وينتقص من قدرته سبحانه وتعالى في الخلق والعلم ويجعل الانسان نداً لله.

ويمكننا القول إن القدرية الخالصة قد انقرضت كما انقرضت الجبرية . ولكن المعتزلة أحيوا هذا المذهب من جديد وبثوب جديد.

مذهب المعتزلة:

مذهب المعتزلة في مسألة افعال العباد نابع من أصل من أصولهم الخمسة وهو العدل ومن خلال هذا الأصل تبنوا مذهب القدرية نفاة القدر وقالوا إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به ، ولو خلقه في العباد لما عذبهم على فعله ، ولوعذبهم لكان ذلك جوراً، والله تعالى تعالى عادل لا يجور.

وأول من ابتدع مذهب الاعتزال واصل بن عطاء ، وكانت مسألة القدر من أكثر المسائل التي كان يجاهر بها حيث كان يقول "إن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف اليه شر وظلم ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ، ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه، فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية ، وهو المجازي على فعله والرب تعالى أقدره على ذلك كله، وأفعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم. قال : ويستحيل أن يخاطب العبد ب (افعل) وهو لا يمكنه أن يفعل وهو يحسّ من نفسه الاقتدار والفعل"

(الشهرستاني ، ابو الفتح، الملل والنحل، 58/1 - 59) .

وبذلك يرى واصل بن عطاء أن حكمة الله تعالى وعدله تقتضي أن لا تتعلق قدرة الله تعالى بالشر وتقتضي كذلك ان لا تتدخل ارادة الله تعالى في افعال ، العباد فالعباد يخلقون افعالهم بأنفسهم وحتى ينسجم التكليف مع الثواب والعقاب ترك العباد وشأنهم يختارون ما يريدون ليس لله في أفعالهم المكتسبة خلق ولا تقدير لا بإيجاد ولا بنفي ولو لم يكن الانسان مستقلا بايجاد فعله لبطل الثواب والعقاب إذ ليس الفعل مستندا اليه مطلقا حتى يمدح أو يذم ولكي يتحقق العدل الإلهي لا بد أن تتحقق حرية الانسان المطلقة في اختيار الخير أو الشر دون أي مؤثر خارجي .

ويذهب النظام من شيوخ المعتزلة الى أكثر من ذلك فهو لا يكتفي بالقول بأن الله بمقتضى عدله وحكمته منزه عن إرادة الشر والمعصية وأن الخير والشر من الانسان بل يزيد على ذلك فيقول : إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالى ، والله تعالى يقدر على

فعل ما يعلم أن فيه صلاحاً لعباده ولا يقدر أن يفعل لعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم ..... وقال : لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على أن يزيد عذاب أهل النار شيئا ولا على أن ينقص منه شيئا وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ولا أن يخرج أحداً من الجنة وليس ذلك مقدوراً له " (الشهر ستاني) الملل والنحل / 1 / 67 - 68) .

ولم يحتمل اصحاب النظام بشاعة قول صاحبهم ورأوا فيها الانتقاص من قدرة الله تعالى فقالوا بانه سبحانه قادر على الشرور والمعاصي لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة (الشهر ستاني ، الملل والنحل 68/1) .

وراح المعتزلة يبحثون عن النصوص التي يبدو من ظاهرها ولغير المتمعن في فهمها وسياقها او يلوون اعناق النصوص احيانا يؤولونها لتتلائم مع مسلماتهم واحكامهم التي وضعوها أولا ثم راحوا يبحثون لها عن ادلة يقنعون بها العامة لقبول فكرتهم الخاطئة من بدايتها الى نهايتها.

(١) فهم يستدلون مثلاً بقوله تعالى "فتبارك الله احسن الخالقين " (المؤمنون / 14) ومع أن الخلق هنا بمعنى التقدير إلا أنهم فهموا منها أن هناك خالقين غير الله وهم البشر يخلقون افعالهم وعندما يعترض المعتزلة نص مثل قوله تعالى "الله خالق كل شيء " (الرعد / 18) يقولون بانها لا تشمل أفعال العباد.

يقول شارح الطحاوية "وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم "كل" الذي هو صفة من صفاته يستحيل عليه أن يكون مخلوقا وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم "كل" ، وهل يدخل في عموم "كل" إلا ما هو مخلوق ؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم ، ودخل سائر المخلوقات في عمومها ، (شرح العقيدة الطحاوية ، 496).

(٢) والشبهة التي يرددونها هي قولهم "كيف يستقيم الحكم بتعذيب المكلفين على ذنوبهم وهو الذي خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟.

ويجيب شارح الطحاوية على هذه الشبهة بقوله "إن ما يبتلي به العبد من الذنوب وإن كان خلقاً لله تعالى فهي عقوبة له على ذنوب قبلها فالذنب يكسب الذنب ومن عقاب السيئة السيئة بعدها فالذنوب كالأمراض التي ويورث بعضها بعضاً. والذنب الأول عقوبة على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له وفطره على محبته وتاليهه والانابة اليه كما قال تعالى "فاقم وجهك للدين حنيفا"، فطرة الله التي فطر الناس عليها" (الروم/ 30) فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه من محبته الله وعبوديته عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي ، فإنه صادف قلبا خاليا قابلا للخير والشر ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر ، كما قال تعالى "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين " (يوسف / 24) .

والإخلاص خلوص القلب من تاليه ما سوى الله تعالى ، فخلص لله فلم يتمكن منه الشيطان، (شرح العقيدة الطحاوية / 497 - 498) .

ولقد أخطا المعتزلة خطأ شنيعا حين ظنوا أنهم بسلبهم قدرة الله تعالى عن خلق افعال العباد وبخاصة السيئة القبيحة منها، منزهون لله عن النقائص، وما دروا أنهم انهم نسبوا إلى الله تعالى في

ذلك نقصاً هو العجز في إرادته وقدرته سبحانه فأي نقص أكثر من نسبة العجز له سبحانه وتعالى عن إرادة الشر أو حتى أيقافه من قبل خالق الانسان؟

إن قول المعتزلي بإرادة الله تعالى للخير دون الشر يتعارض مع الإيمان الفطري الذي يعتقد أن الله تعالى لا يعجزه شيىء في الأرض ولا في السماء . وعندما دخل الأعرابي البسيط على خلقة فيها عمرو بن عبيد المعتزلي يطلب منه أن يدعو الله تعالى أن يرد له ناقته التي سرقت ، دعا له عمرو بن عبيد بما يتلاءم مع مذهبه الاعتزالي بأن الله يريد الخير دون الشر فقال "اللهم انك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها اليه ، فقال الأعرابي " لا حاجة لي في دعائك ، قال : ولم ؟ قال " أخاف - كما أراد ان لا تسرق فسرقت - أن يريد ردها فلا ترد " (شرح العقيدة الطحاوية / 278) .

فكان هذا الرد الفطري من الأعرابي ردا قويا مفحما لأنه يتجاوب مع فطرة المسلم في صلته مع ربه سبحانه وتعالى.

وعلى مستوى العلماء كذلك كان الأمر ، فعندما دخل القاضي عبد الجبار الهمذاني - أحد شيوخ المعتزلة - على الصاحب بن عباد وعنده الاستاذ ابو اسحق الاسفراييني - احد أئمة السنة قال القاضي : سبحان من تنزه عن الفحشاء ، فقال الاستاذ فوراً : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ، فقال القاضي أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الاستاذ : أيعصى ربنا قهرا؟ فقال القاضي " أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالردى أحسن إلي أم أساء ، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء ، فبهت القاضي".

ومما تقدم يمكن أن نقول إن المعتزلة قد بالغوا في رفع قيمة الإنسان متأثرين بالفلسفة اليونانية التي قدست عقل الانسان وجعلت منه إلهاً مستقلا بسلطان وجوده يصارع الخير والشر بمفرده، وهم بذلك جاروا على الإنسان وخلوا بينه وبين نفسه وجعلوا علاقة الإنسان مع ربه قائمة على المحاسبة الجدية بغير رجاء فجعلوا صالح اعماله حقاً ملزماً لله يطالبه العبد به في غير حياء.

وظنوا أن الإنسان يمكن أن يدخل الجنة بغير رحمة الله بل بحق له ملزم لله وهو عمله الصالح وهذا يتعارض مع علاقة العبد مع ربه التي نلمسها من خلال معرفة اسماء الله تعالى وصفاته .

وحينما حاولوا أن يدافعوا عن عدل الله بإضافة أفعال الانسان خيرها وشرها إلى الأنسان وقعوا في محظور أكبر هو نسبة العجز لله تعالى حين لا يقدر على خلق الشر.

4.3 3) مذهب أهل السنة

عزيزي الدارس: عرفت مما سبق أن كلاً من الجبرية والقدرية قد أخطأ في فهمه لمسألة أفعال العباد ووقف كل منهما موقف النقيض للآخر حيث ضل كلاهما الطريق فذهب واحد ذات اليمين وذهب الآخر ذات الشمال، فبينما جرّد مذهب الجبرية الإنسان من حريته وارادته وقدرته على الكسبوالفعل وجعلوه كالريشة في مهب الريح وسلبوه ارادته تماما فما أفعاله وحركاته إلا كحركات المرتعش اللاإرادية. ذهب أهل القدرية إلى الطرف الآخر المناقض تماما فحملوا الانسان مسؤولية فعله وغالوا في ذلك إلى أن جعلوه خالقا لأفعاله واعتدوا على ألوهية الله تعالى وربوبيته حيث الصقوا به العجز عن

خلق أفعال العباد ، ومن اعتدل منهم قليلاً ، أو على الأصوب خفف جنوحه وانحرافه - كالمعتزلة - جعلوا قدرة الله تعالى محصورة في الخير والشر.

"والسبب في هذا الضلال أن كل واحد من الفريقين رأي جزءاً من الحقيقة وعمي عن جزء منها، فكان مثله مثل الأعور الذي يرى أحد جانبي الشيء ، ولا يرى الجانب الآخر فالقدرية نفاة القدر قالوا " إن الله لا يريد الكفرو الذنوب والمعاصي ولا يحبها ولا يرضاها ، فكيف نقول إن خلق افعال العباد وفيها الكفر والذنوب والمعاصي والجبرية آمنوا بأن الله خالق كل شيء وزعموا أن كل شيء خلقه فقد أحبه ورضيه" (الأشقر، د. عمر ، القضاء والقدر، 103) .

إن عقيدة أهل السنة تمثل الوسطية والتوازن بين هذين المذهبين فهم ينسبون للإنسان قدرة وإرادة ولكنهم لا يبالغون فيها ليجعلوها خالقة مطلقة . "فهم يثبتون قدرة العبد وإرادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازا ، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، فالله تعالى مقدر أفعال العباد وهم الذين احدثوها" (ابن قيم الجوزية، ، شمس الدين ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص 53) .

فمذهب أهل السنة هو المتوسط بين الجبر والقدر، فالعبد له قدرة ولكنه لم يفوض اليه الأمر أن يفعل بها ما يشاء دون إرادة الله سبحانه ، بل هو مقيد بأن لا يفعل بها ما شاء إلا إذا شاء الله تعالى " وما تشاؤون إلا أن يشاء الله " (التكوير / 29) .

ومجمل عقيدة أهل السنة تقوم على الايمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى وأن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ليكون .

يقول ابن ثيمية : مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان: وهو أن الله خالق كل شيء ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير افعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو القادر على كل شيء ، ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد وكل في ذلك أفعال العباد وغيرها ، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر آجالهم وارزاقهم واعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يعيبرون اله من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن يكون". (ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوى ، 8 / 449) .

ثم يقول ابن تيمية ومما اتفق عليه سلف الأمة وائمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر..... أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليهمع قولهم أن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله". (ابن تيمية، مجموع الفتاوي ، 8 / 459) .

وهذا الفهم الواضح المعتدل هو الذي فهمه الصحابة رضوان الله تعالى عنهم في هذا الموضوع، فقد كتب الحسن البصري الى الحسن بن على رضي الله عنه يسأله عن القضاء والقدر فكتب اليه الحسن:

من لم يؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاع استكراهاً ، ولا يعصى بطلبه، لأنه تعالى مالك لما ملكهم ، وقادر على ما اقتدهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، وإن عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ماعملوا ، فإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك ، ولو جبرهم على المعصية لأسقط عنهم العذاب ، ولو أهملهم كان ذلك عجزا في القدرة ولكن له فيهم خفي المشيئة غيّبها عنهم فإن عملوا بالطاعة فله المنّة عليهم ، وإن عملوا بالمعصية فله الحجّة عليهم والسلام" (الميداني ، عبد الرحمن ، العقيدة الاسلامية وأسسها، ص 771).

ومثل هذا ما قاله الامام علي كرم الله وجهه فيما رواه عنه الأصبهاني وابن عساكر "أمر الله تعالى بالخير تخييرا، ونهى عن الشر تحذيراً ، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرها، ولم يملّك تفويضا - أي لم يملك عباده القدرة على الأفعال تفويضاً - فهو امر بين امرين، لا جبر ولا تفويض" (الميداني ، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص 771).

إن مذهب أهل السنة الوسطي المتزن جاء متلائما مع نصوص الكتاب والسنّة الواردة في مسألة أفعال العباد وموفقاً بين النصوص التي يظهر للوهلة الأولى أنها متعارضة ومجيباً على كل الشبهات والتساؤلات التي طرحها كل من مذهبي الجبرية والقدرية.

فافعال العباد هي أفعالهم حقيقة وإن كانت مخلوقة لله تعالى فهي خلق الله وكسب العباد.

فالله سبحانه وتعالى خالق كل شيء خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه خالقها وخالق حركتها وسكونها .

"وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئته ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم واعمالهم ، وهو تعالى الذي منحهم إياها واقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ويحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون ، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم (الحكمي ، حافظ ابن أحمد ، معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد ، 348 2 / 347 -) .

والنصوص المؤيدة لهذا المعنى الذي ذكره أهل السنة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، قوله تعالى "إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما" (الدهر/ 29 - 30) .

فقد جعل الله تعالى للإنسان مشيئة ترشده وتهديه الى سبيل الحق والرشاد الذي بينه له ربه سبحانه وتعالى في ذكره وعلى لسان رسله عليهم الصلاة والسلام، ثم بين أن هذه المشيئة الإنسانية ليست خارجة عن المشيئة الإلهية الكونية المطلقة، ومثلها تماما قوله تعالى "إن هو إلا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين" (التكوير / 27 - 29) .

تدريب (6)

يمثل مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة أفعال العباد وهل العبد مسير أو مخيرٌ ، الوسطية بين الجبرية والقدرية ، وضح ذلك باختصار.

4.3 موقف الأشاعرة والماتريدية.

مع أن الإمامين أبا الحسن الأشعري وأبا منصور الماتوريدي هما من أئمة الهدى ومن أهل السنة والجماعة الذين حرصوا على سلامة العقيدة واتباع كتاب الله وسنة رسوله ، واتبعهما في منهجهما الجماهير الكثيرة من المسلمين في المشارق والمغارب ، إلا أن لكل منهما في موضوع أفعال العباد موقفا خاصا كان موضع منافشة ونقد ، خصوصا موقف الأشاعرة ، (السائح ، عبد الحميد، عقيدة المسلم وما يتصل بها ، ص 154) .

الكسب الأشعري:

لقد تصدى الإمام الأشعري رحمه الله لمذهب الجبرية القائلين بأن الله خلق فعل العبد كما خلق جسمه وشكله، وجبره على ما يفعل ، فكانت أفعال العباد كلها اضطرارية كحركات المرتعش والعروق النابضة ، وبيّن بطلانها، وتصدى كذلك لما ذهب اليه نفاة القدر من القدرية الذين جعلوا العباد خالقين لأفعالهم وآمنوا بخالق غير الله، ولم يعجبه هذا القول.

لم يقف عند ما ورد عن سلف الأئمة في مسألة أفعال العباد بل ابتكر نظرية جديدة في الموضوع عرفت باسم نظرية الكسب تندّر بها العلماء بين مؤيد ومعارض ، فمن معجب ضرب المثل دقتها قائلا: أدق من كسب الأشعري ومن عائب لها عدها نوعاً من الخيال قائلاً : محالات الكلام ثلاثة: طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم ، وكسب الأشعري. (الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين. 2 / 166) ، وخلاصة هذه النظرية أن الله أوجد أفعال العبد وليس لقدرة الانسان أي تأثير أو دخل في وجودها ، ومع ذلك فهو مكتسب لها حيث تقترن ارادة العبد للفعل مع خلق الله للفعل.

وأمام غموض نظرية الكسب ومفهومها فقد راح بعض علماء الأشاعرة يحاول تبسيطه فقال التفتازاني "والحق ان الكسب ظاهر والخفاء في التعبير ...وملخص الكلام ما أشار اليه الامام الغزالي ، وهو أنه لما بطل الجبر المحض بالضرورة وكون العبد خالقا لأفعاله بالدليل ، وجب الاقتصاد في الاعتقاد ، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى لختراعا، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يُعبّر عنه عندنا بالاكتساب ، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون على وجه الاختراع . إذ قدرة الله تعالى في الأزل متعلقة بالعالم من غير اختراع ثم تتعلق به عند الاختراع نوعا آخر من التعلق ، فحركة العبد باعتبار نسبتها الى قدرته تسمى كسباً له، وباعتبار نسبتها الى قدرة الله تعالى خلقا ، فهي خلق للرب ووصف للعبد، وكسب له، وقدرته خلق للرب ووصف للعبد وليس بكسب له (1) " (التفتازاني ، سعد الدين شرح المقاصد ، 4 / 226) .

وقد حاول التفتازاني ومن قبله الدفاع عن نظرية الكسب التي اخترعها الأشعري م،ضحين الفرق بين الكسب والخلق ، بأن الخلق لله ويكون حين تتعلق قدرة الله بالفعل ، وأن الكسب من العبد ويكون حين تتعلق قدرة الانسان بالفعل ، وأن الكسب من العبد ويكون حين تتعلق ، قدرة الانسان بالفعل - كما حاول الشيخ عبد الغني النابلسي توضيح هذا الفرق في المسألة فقال:

"وليس العبد المكلف كذلك ، بل له كسبٌ ولا جبر فيه، والقدرة المخلوقة في العبد على طبق ارادته المخلوقة فيه كناية عن قوتين عرضيتين تظهران في القلب وتنشران في الاعضاء فيخلق الله تعالى عندهما لابهما ولا فيهما ذلك الأمر الذي توجهتا عليه فينسب اليهما بحسب الظاهر انه كسبهما، والكل خلق الله على كل حال ولا يتصور المجبر في ذلك ، لأن العبد ليس منه ممانعة أصلا ولا في خلق الإرادة فيه والقدرة ، بل فيه القبول لكل ما يخلق الله تعالى فيه، والقبول ينافي الجبر على مالا يخفى" (النابلسي/ عبد الغني ، رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد اهل السنة للمقري التلمساني، ص 59) .

وقد حاول الشيخ النابلسي بهذا الشرح أن يدفع عن الأشعري تهمة الجبرية التي اسقطها عليه الكثيرون ممن رأوا في الكسب الأشعري جبراً في النتيجة حتى قالوا إن حقيقة مذهب الأشعري هو مذهب الجبر بعينه ، قال ابن رشد إ ن ما قاله الأشعري يتفق مع قول الجبرية وإن اختلفت الألفاظ (السانح، عبد الحميد ، عقيدة المسلم، ص 156) .

والحق أن ما ذهب اليه الأشاعرة من تفسير الكسب على الوجه المشار اليه مناف للغة ولاستعمال القرآن الكريم . أما اللغة فقد قال الجوهري الكسب هو الجمع وهو طلب الرزق وأما القرآن فقد استعمل الكسب على ثلاثة أوجه :

① عقد القلب وعزمه قال تعالى " ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان " (المائدة / 89) أي عقدتم عليه العزم بالقصد والنية.

② كسب المال من التجارة أو الزراعة أو الصناعة " يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم، ومما اخرجنا لكم من الأرض " (البقرة / 267) .

③ السعي والعمل. لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " (البقرة / 276) .

فالكسب يرجع الى ما يكسبه الانسان من عمل القلب أو الجوارح والاقتران الذي فسر الأشعري به الكسب - وهو اقتران إرادة الانسان للفعل مع خلق الله للفعل - هذا الاقتران لا نستطيع أن نقول أنه من عمل المكلف . وبذلك فإن الأشعري دخل بكسبه دائرة الإبهام فلا هو مع الجبريين ترك أمر الفعل للإنسان وحده ولا هو مع سلف الأمة الذين جعلوا شأن خلق الأفعال لله وحده وحملوا الانسان مسؤولية الاختيار التي أعطاها الله تعالى له ابتلاء منه واختباراً.

رأي الماتوريدية:

أما الماتوريدية فقد نسبوا للإنسان استطاعة اختيارية هي مناط الثواب والعقاب (السائح ، عبد الحميد .، عقيدة المسلم / 857) .

وقد تجنب الماتوريدية ما وقع فيه الأشاعرة ونقطة الخلاف فقط هي أنهم سموا قدرة الانسان التي خلقها الله للانسان ومكنه بها من آداء افعاله ، سماها الماتوريدية استطاعة لا قدرة.

اسئلة التقويم الذاتي (2)

1. سم أول من تكلم في القدر من المفكرين المسلمين .
2. ما العلاقة التي تربط الفكر المعتزلي بالفكر اليوناني في مسألة الجبر والاختيار؟
3. يظهر في مواقف الابتلاء جانبان : جانب جبري وآخر اختياري اضرب مثالاً توضح فيه ما ذكرنا .
4. يرى أهل السنة أن افعال العباد مخلوقة، فما الذي يميز مذهبهم عن المذهب الجبري في هذه المسألة؟
5. من خلال دراستك عن المذهب الجبري أجب عما يلي:
   أ. ما اسم مؤسس هذا المذهب من المسلمين.
   ب. يذهب بعض المستشرقين الى أن للأمويين دوراً في ترويج هذا المذهب ، فعلى أي أساس بنى هؤلاء مذهبهم ؟ وكيف ترد عليهم.؟
   جـ. ما موقف هذ المذهب من خلق افعال العباد؟
   د. استدل الجبرية على مذهبهم بقوله تعالى " "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " كيف ترد عليهم استدلالهم هذا؟

6. من خلال دراستك لمذهب القدرية، اجب عما يلي:

أ. ما الفرق بين القدرية الغالية والقدرية المعتدلة (المعتزلة)؟

ب. ما موقف المعتزلة من مسالة خلق الشر في هذا الوجود؟

جـ. كيف تاول المعتزلة قوله تعالى " الله خالق كل شيء ؟

7. من خلال دراستك لمذهب أهل السنة أجب عما يلي:

أ. بين موقف أهل السنة من خلق أفعال العباد؟

ب. اذكر دليلا استدل به أهل السنة على مذهبهم؟

جـ. ما مفهوم نظرية الكسب التي نادى بها الأشعري ؟

د. ما الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية فيما يتعلق بقدرة الإنسان على خلق افعاله؟

أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم

ينصب حديثنا الأساسي في هذا القسم على موضوع الهدى والضلال أما بالنسبة لحديثنا عن أثر الايمان بالقدر في حياة المسلم فهو بحث تكميلي اردنا به أن نختم بحثنا .

1.4 الهدى والضلال : مفهومهما ، واسبابهما

مفهوم الهدى والضلال في القرآن الكريم

وردت كل من كلمة الهدى وكلمة الضلال ومشتقاتهما في مواضع كثيرة جاءت في القرآن الكريم، ولدى تتبع هذه النصوص القرآنية نجد انها جاءت على معان أربعة ذكرها الشيخ الميداني في العقيدة الاسلامية ، ص 783 - 791 :

أولا: الهداية بمعنى الدلالة والارشاد والتعليم ، والضلالة بمعنى الجهل بالحقيقة والعمى عن طريقها.

وعلى هذا يكون الإضلال بمعنى الإبقاء في الجهل ، أو بمعنى الإغواء الذي يصوّر الباطل بصورة الحق، وهو ما يقوم به الموسوسون المضللون من الإنس أو الجن.

ومن النصوص الدالة على هذا المعنى ما ورد بأن القرآن الكريم هدى للناس أو المؤمنين المتقين. ومنها ما جاء في سورة الضحى خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم " ووجدك ضالاً فهدى " (الضحى/7) أي وجدك جاهلا بالمعارف الدينية فعلمك إياها.

وفي كلمة الضلال جاء قوله تعالى " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه الى عذاب السعير" (الحج / 3 - 4) .

أي : من جعل الشيطان وليه فإنه يضله بمعنى يغويه ويوسوس له ويصور له الباطل بصورة الحق ويزينه له ويهديه الى عذاب السعير أي يوصله الى هذا المصير السيء بسبب ما يوسوس له ويزين لقلبه.

ثانيا: الهداية بمعنى وجود الشيء والعثور عليه والضلالة بمعنى الضياع.

ومنه قوله تعالى حكاية عن الدهريين - "وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد ، بل هم بلقاء ربهم كافرون " (السجدة / 10) .

أي أإذا ضعنا في الأرض وتفتت اجزاؤنا أنخلق خلقا جديدا .

ثالثا: وتستعمل أضل بمعنى أثبت الضلالة وحكم بها .

ومما ورد في نصوص القرآن من أن الله يهدي من يشاء إنما هو بمعنى يثبت لهم الهداية ويحكم لهم بها ومشيئته سبحانه لابد أن تكون موافقة لعلمه وحكمته وعدله. ومما جاء في النصوص مشعشعاً أن الله يضل من يشاء بمعنى يثبت لهم الضلالة ويحكم بها ، ومن ذلك قوله تعالى "فما لكم في المنافقين فئتين بمعنى يثبت لهم الضلالة ويحكم عليهم بهاك ومن ذلك قوله تعالى "فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا. (النساء / 88).

والآية خطاب لبعض المسلمين الذين كانوا يميلون الى بعض المنافقين يدافعون عنهم أحيانا ويحاولون أن يثبتوا لغيرهم من المؤمنين أن هؤلاء المنافقين ليسوا خارجين عن خط الإسلام فكانت الآية عتابا للمنافقين بالضلالة بما كسبوا .

وعلى ذلك أيضا قوله تعالى "بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم، فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين (الروم / 29).

وهؤلاء ظلموا باتباعهم أهواءهم بغير علم فكانوا من الضالين الظالمين لأنفسهم فحكم الله عليهم بالضلالة .

رابعا: ويأتي التعبير في القرآن الكريم باسناد الهداية الى الله بمعنى أنه يوافق العبد الى سلوك سبيل الهداية بعد أن تصدق إرادة العبد الحر في أن يكون من أهلها ويوفقه الله الى سلوك سبيلها.

كما يأتي التعبير باسناد الإضلال الى الله بمعنى انه يسهل لعبده سلوك سبيل الضلالة ويمد له فيها، وذلك بعد أن تتجه إرادة العبد الحرة بشكل حازم الى سلوك سبيل الضلالة وتتم عزيمته على ذلك.

ومما جاء في ذلك قوله تعالى "قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا.

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباوخير مردا" (مريم/- 76 75).

فهنالك مدّ من الله لمن اختار طريق الضلالة ، وهناك زيادة في الهدى لمن اختار طريق الهداية.

ومن ذلك التثبت للمؤمنين والإضلال للظالمني الواردان أن في قوله تعالى "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء " (ابراهيم / 27) .

ومن ذلك ايضا شرح الصدر للمؤمن وتضييقه للكافر "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " (الأنعام / 125) .

ومذهب أهل السنة أن الهدى والضلال بكل ما ورد لهما من معان في اللغة وفي كل الحالات التي جاءت في النصوص القرآنية كل ذلك من الله تعالى .

قال الطحاوي "يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ، ويخذل ويبتلي عدلاً".

قال الشارح : هذا رد على المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله ، وهي مسألة الهدى والضلال . قالت المعتزلة : الهدى من الله بمعنى بيان طريق الصواب والإضلال : تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال في نفسه (شرح العقيدة الطحاوية، 155).

فعقيدة أهل السنة أن لا ننسب الهدى أو الضلال الى الله بمعنى مخصص محصور بل بكل معانيها من الله وما ذهب اليه المعتزلة بحصر المعنى في بيان الطريق غير الصحيح ويتعارض مع النصوص الكثيرة التي جاءت مطلقة، وما ذهب اليه المعتزلة مبنيٌّ على أصلهم الفاسد أن أفعال العباد مخلوقة ، ولو كان الهدى منحصراً في معنى بيان الطريق لما خاطب الله تعالى نبيه قائلا "إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء" (القصص / 56) .

فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم غير مبيّن لطريق الصواب إلى قومه، أم أنه صلى الله عليه وسلم بيّن بكل وضوح طريق الحق الى أمته؟

كذلك لو كان الهدى بيان الطريق لما صح تقييده بالمشيئة في آيات كثيرة منها قوله تعالى "ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها" (السجدة / 13) ، وقوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم" (الأنعام / 39) .

وقد احتج المعتزلة بقوله تعالى "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى" (فصلت / 17) ، وبقوله تعالى "إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً" (الدهر / 2 - 3) .

وقد رد ابن حزم رحمه الله على احتجاج المعتزلة بهاتين الآيتين بقوله: إن الله تعالى أخبر في الآيتين أنه هدى ثمود فلم يهتدوا، وهدى الناس كلهم السبيل ثم هم بعد ذلك إما شاكر وإما كفور، وأخبر سبحانه في آيات أخرى أنه هدى قوماً فاهتدوا ولم يهتد آخرين فلم يهتدوا "ولقد بعثنا في كل أمه رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى قوماً فاعتدوا ولم يهد آخرين فلم يهتدوا " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة " (النحل / 36) فقد اهتدى بعض الناس لا كلهم. فالهدى الذي اعطاه الله عز وجل جميع الناس هو غير الذي اعطاه بعضهم ومنعه فلم يعطهم اياه وهذا امر معلوم بضرورة العقل وبديهته . (الظاهري ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، 3 / 44)).

وكما زعم المعتزلة أن الهداية على معنى واحد هو الدلالة والإرشاد فقد زعموا أن الإضلال بمعنى التسمية والمجازاة فقط، فما ذكر من أن الله أضل عبداً فإنما يعني أنه سماه ضالاً ، او أنه جازاه على ضلالته.

وقد رد ابن طاهر البغدادي على هذا الزعم الباطل فقال: "وقد اخطأوا في تاويل من طريق اللغة ومن طريق المعنى ، أما من طريق اللغة فلأن من سمى غيره ضالاً أو نسبه الى الضلالة فإنما يقال فيه أنه ضلّله بالتشديد ولا يقال أضله. وأما من طريق المعنى فمن جهة أن الإضلال من الله لو كان

بمعنى التسمية والحكم لوجب أن يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أضل الكفرة لأنه سماهم ضالين وحكم بضلالتهم ووجب أن يقال : إن الكفرة والشياطين قد أضلوا المؤمنين والأنبياء لأنهم قد سموهم ضالين، ولو كان الإضلال من الله بمعنى العقاب على الضلالة لكان كل من أقام الحد على الزاني والسارق والقاتل والقاذف وشارب الخمر قد أضلهم لأنه قد جازاهم على ضلالة من الله تعالى على ما ذهبنا اليه دون ما ذهبت القدرية اليه" (البغدادي ، ابن طاهر، اصول الدين، ص - 142 141) .

وما أجمع اليه أهل السنة من السلف والخلف أن الله سبحانه وتعالى يضل من يشاء منهم ، وأن من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدي والإضلال بيد الله لابيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدي ، فالهداية والإضلال وفعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه.

وقد ذكر ابن القيم اربع مراتب للهدى والضلال واستدل على كل مرتبة منها بآيات من القرآن الكريم (ابن القيم ، شمس الدين ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، ص 65) . وهذه المراتب هي:

الأولى: الهدي العام وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها وشاهده قوله تعالى "الذي خلق فسوى والذي قدّر فهدى" (الأعلى / 2 - 3) وقوله سبحانه "الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى".

الثانية: هداية البيان والدلالة والتعليم وهذا خاص بالمكلفين ، وهذه المرتبة لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق ، ومن ذلك قوله تعالى "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى" وقوله تعالى "وما كان الله ليضل قوما بعد إذهداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون" (التوبة / 115) .

فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فاضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء بعد أن عرفوا الهدى ثم أعرضوا عنه فأعماهم عنه .

الثالثة: هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل . وهذه هي المرتبة التي أنكرها القدرية ومنهم المعتزلة.

وعلى هذا النوع منالهداية آيات كثيرة واضحة في معناها لا تحتمل التاويل، مثل قوله تعالى " ان تحرص عل هداهم فإن الله لا يهدي من يضل" (النحل / 27) (من يضلل الله فلا هادي له" (النساء 143) من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم" (الانعام 39) "أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون" (الجاثية 23) إلى آخر ذلك من آيات كثيرة ضمن هذه المرتبة.

وهذا النوع من الهداية التي يخلقها الله تعالى في قلوب عباده خاص بمن يستحقها وفق علم الله تعالى الذي لا يسأل عما يفعل. أجمع أهل السنة على قولهم بهذ ا النوع من الهداية لتصريح الأدلة القرآنية به ، وهم يؤمنون بأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فمن أضله فبعدله ومن هداه فبفضله، (البغدادي، ابن طاهر ، اصول الدين، ص 141) .

✓ (الرابعة :) الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة ، كما في قوله تعالى «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم» (الصفات 22) وقوله تعالى «والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم» (سورة محمد/4) فهذه هداية بعد قتلهم يمعنى سيهديهم إلى طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة. (ابن القيم ، شفاء العليل ، ص 84).

تدريب (7)

ما الفرق بين هداية البيان وهداية الالهام ، أذكر دليلين من القران الكريم على نسبتهما لله تعالى!!

أخي الدارس : لا شك أنك تسمع ما يردده بعض المقصرين الذين آثروا الجدل على العمل وهم يسوغون تقصيرهم ومعاصيهم ، فإذا سألت الواحد منهم عن سبب تركه للصلاة مثلا قال لك حتى يهديني الله فإن هداني الله صليت.

إن مثل هذا الكلام لا يتفق مع فهم أهل السنة للإيمان بالقدر إطلاقا ولا يتفق مع ايمانهم باسماء الله وصفاته التي لا تفيدهم ولا ترفع المسؤلية عنهم.

إن هداية الله لا تعني البيان أو الإرشاد الى طريق الحق عامة شاملة لجميع الناس جاء بها الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وينطق بها الدعاة عبر العصور ويسترشد بها أهل الاستقامة ومن صفت قلوبهم وفتحت أبوابها للحق.

وهداية الإلهام والإعانة التي يمنحها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين ، فإنه سبحانه وتعالى لا يعطيها عبثاً أو عشوائية وانما يعطيها لمن يستحقها وهو سبحانه أعلم بمن يستحقها "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين" (العنكبوت / 69) .

وهذه الهداية لا تأتي إلا لمقبل على الخير ، فالمعونة أن تجد واحدا مقبلاً على عمل وبعد ذلك تعينه انت على العمل " (الشعراوي، محمد ، القضاء والقدر، ص 47) .

إن هداية الإيمان التي يهبها الله لمن يستحقها من عباده ممن سلكوا سبيلها وطلبوا من الله الحصول عليها يسألونه دائما "اهدنا الصراط المستقيم" (الفاتحة / 5) . إنما هي كمثل شخص كريم ودود سألته عن الطريق الى البيت الذي تريد فأرشدك إلى طريقه فطلبت منه العون فحملك على سيارته وأخذ بيدك الى هدفك وهذه لا تكون إلا لمن قبل الإرشاد أولا وطلب العون ثانيا. وإذا كان الرسل والدعاة يقومون بهداية الارشاد فإنهم لا يملكون هداية التوفيق والإعانة ، لأن الله تعالى لا يهبها إلا لمن يعلم أنه يستحقها وهو طالب لها.

وخالق الهداية والضلالة ، هو الله سبحانه خالق الأفعال التي تجري على جوارح العباد، والأفعال منها الطيب ومنها الخبيث السيء والافعال كلها متعلقة بالخطاب الإلهي ، فما كان منها متعلقاً بطلب الكف فهو السيء وما كان منها متعلقا بطلب الفعل فهو الحسن الطيب، والله سبحانه لا يأمر بما

هو سيء "قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون" (الأعراف / 28) وأمر بالطيب الحسن "واعملوا صالحاً " (سبأ / 11) .

وجعل الله سبحانه للهداية معالم وبينات ، ورغب الناس فيها ودعاهم وحثهم عليها وأثابهم الجنة عليها، وجعل للضلالة بينات ومعالم ، ورهب الناس منها ، وحذرهم من عاقبتها في الآخرة من عذاب النار " (شقرة، محمد ابراهيم، رفع الجهالة والغرر عن مسألة القضاء والقدر، ص 95) .

فحاشاه سبحانه أن يظلم أحداً فيضله وهو بريء ، وحكمته سبحانه لا تتفق مع إعطاء الهداية لمن لا يستحقها فكل شيء عنده سبحانه بقدر موزون يضع الأمور في نصابها.

فمن توجه الى الله تعالى صادقا بقلبه يسأله العون والهداية فلن يخيبه الله، وفي الحديث القدسي " ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم" (المناوي ، عبد الرؤوف الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية / ص 41).

"والمهم أن تعلم أن الله عز وجل قد جعل من صدق اتجاه الانسان الى معرفة الحق ثم من مظاهر تذلله ودعائه له عقلاً ثانيا يهذبه لإدراك ألوهية الله والانصياع الى الحق الذي من ورائه ، أما من عقد العزم من أول الطريق على معاندة ما لا يرغب فيه من المبدأ والسلوك وإن كان حقا في ذاته وأن يتصامم عن وحي العقل الذي في رأسه ، وأن لا يلبي إلا نداء شهواته وأهوائه ثم مضى يسلك نفسه في هذا العزم والتصميم فإن سنّة الله جرت بالنسبة لهؤلاء أن يزج بهم في مزيد من الغواية ...وأن يبتليهم بمزيد من الانصراف عن موعظة المذكرين، "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق " (الأعراف / 146) .

"ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة (البوطي ، د. محمد سعيد ، كبرى اليقينيات الكونية ، ص 167) .

وخلاصة القول أعلم - عزيزي الدارس أن الإنسان يكون مهتديا بسلوكه الطريق الموصل الى السعادة ، ويكون ضالاً بسلوكه طريق الشر.

نعم إن الله بيده الهدى والضلال وقلوب العباد بيده يقلبها كيف يشاء ، وعلمنا القرآن الكريم أن ندعو فنقول "ربنا انك انت الوهاب" (آل عمران / 8) .

ولكن ذلك لا يعني الجبرية وأن العبد ليس له دور في طذلك مطلقا وان العبد ليس له عمل يكون به مهتديا أو ضالاً بل الحق ان العبد مهتد أو ضال بفعل نفسه الذي لا يخرج عن قضاء الله وقدره "من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها " (الإسراء /15)

وعلى هذا فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره .، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه، فاهتداء العبد هو أثر "من يهد الله فهو المهتد" (كهف / 17) ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد (ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل، ص 174) .

نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا سواء السبيل .

نشاط (4)

ارجع الى القرآن الكريم واجمع كل ما ورد من آيات قرآنية حول الهداية وحول الضلال وتأمل كيف بينت الآيات القرآنية أن الهداية والإضلال فعل الله، وأن الاهتداء والضلال فعل العبد.

2.4 أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم

الإيمان بالقدر ركن من اركان الايمان لا يتم الإيمان عند العبد إلا به، وما أخذ الإيمان بالقدر هذا الاهتمام الكبير في العقيدة الإسلامية إلا لما له من أثر كبير على حياة المسلم وبناء شخصيته الإسلامية البناء السليم المتوازن في هذه الحياة.

(١) إن الإيمان بالقدر يعني المعرفة اليقينية عند العبد بعظمة خالقه سبحانه وتعالى من حيث قدرته المطلقة الخالقة لكل ما سواها وعلمه المطلق السابق وتقديره المحكم لهذه الخلائق بكل حركاتها وسكناتها قبل أن يخلقها.

فهو يعني اعتراف العبد بضعفه بين يدي خالقه، وحاجته الدائمة له.

ولقد اتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح ، ولهذا ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، فقيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال: لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ "فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى" (سورة الليل / 5 - 10).

فصاحب الإيمان الصحيح بالقدر يباشر الأسباب المباحة بيده ويبذل وسعه في الأخذ بالأسباب، ولا يعجز ولا يتواكل ولكنه يعتمد على الله وحده في نجاح تلك الأسباب المبذولة لا على الأسباب ذاتها ، ولقد كان ذلك نهج رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في جميع شؤون حياته وبخاصة في جهاده وغزواته يأخذ بالأسباب ويعتمد على الله تعالى ، يلجأ إلى الغار يوم الهجرة ليعمي الأبصار عنه ، ولكنه حين أراد أن يطمئن صاحبه أبا بكر يقول له " لا تحزن إن الله معنا" (التوبة / 40) .

(٢) وذلك يعني أن ثقته كانت في الله واطمئنانه وسكينته كانت بسبب تلك المعية الخاصة . إلا أنه لم يهمل السبب بناء على الثقة والاعتماد الصادق على الله، ويوم بدر كان ينظم صفوف الجيش ويحض على القتال ويستثير الهمم ويباشر القتال بنفسه وفي نفس الوقت يأوي الى العرش الذي ضرب له في ارض المعركة فيدعو الله ويلح في الدعاء طالبا النصر من الله تعالى .

وقد أعطى عليه الصلاة والسلام من حياته وممارساته اليومية المفهوم الصحيح للتوكل على الله الذي يعد ثمرة من ثمرات الإيمان بالقدر، وهو التوكل المرتبط بالأخذ بالأسباب

فقد كان يمارس حياته اليومية بنفسه في مأكله ومشربه ومسكنه وملبسه وصحته ومرضه ونومه يعطي كل ذي حق حقه.

وتلاءمت توجيهاته عليه الصلاة والسلام مع هذا المفهوم السليم فنراه يحض الناس على العمل والكسب والجهاد وينهى عن الكسل أو ترك العمل بحجة التوكل على الله ، فنقول نعم يا عباد الله تداووا

فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير دواء واحد قالوا ما هو؟ قال: الهرم»

(سنن ابي داود / كتاب الطب ، حديث رقم 3855 واخرجه الامام أحمد في مسنده 278/4) .

ويقول : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطاناً "

(اخرجه الامام احمد في مسنده / 152) .

ونلاحظ انه هنا لا بد من الغدو والرواح والكد والبحث مع ارتباط ذلك كله بأن الرزق بيد الله.

(٣) إن الإيمان بالقدر يجعل العبد دائما مندفعاً الى الامام في العمل لا يوقف مسيرته عرض طارىء ولا يفت في عضده حدث او موقف ، اقرأ قوله تعالى "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور" (الحديد / 22 - 23) .

وهذه الآية وحدها تتضمن ثمارا كثيرة للإيمان بالقدر منها :

1. عدم الأسى على ما فات لأن الأسى لا يجني إلا حسرة ولوعة لا طائل تحتها.
2. عدم التكبر والعلو والفرح الذي يقود الى البطر مهما اوتي الانسان من حظ ، ذلك أن قدر العطاء يمكن أن يتبعه قدر المنع، وكلاهما من الله تعالى ، ولا يدري الانسان ايهما الخير .
3. دفع الياس عند المصائب لأن الذي قدّر المصيبة قادر على دفعها او تبديلها بخير. "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير" (الأنعام / 17) .
4. صدق التوكل على الله تعالى فبعد أن يتخذ المسلم مختلف الأسباب المادية التي قدرها الله وامر بها ، يطلب من الله العون على ما أعجزه منها متوكلا عليه معتمداً على معونته سبحانه يسأله بدعائه أن يدفع عنه الشر ويمده بالتأييد والتسديد والتوفيق والمعونة ، وإذا امتلأ قلب المؤمن اعتماداً على الله وثقةً به ازدادت قوته المعنوية في الاندفاع نحو تحقيق النتائج المرجوة.

وإذا تحقق صدق التوكل على الله عند العبد علم ان الأمر كله خيره وشره بيد الله فيلجأ اليه "قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (التوبة / 51) .

(٤) هذا الإحساس يرتبط عند المؤمن بالرضى فهو قد رضي بالله رباً وبقضائه حكما. إذا ألم به كرب يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، متبرئا من حوله وقوته إلى حول الله وقوته لأن الله هو القادرعلى كل شيء وبيده مقادير الأشياء ، ويقول إذا اشتدت غليه الكروب واجتمع الأعداء عليه من حوله "حسبنا الله" وهذه هي الشجاعة التي يثمرها إيمان المسلمين بالقدر "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل " (آل عمران / 173).

فالشجاعة تتحقق عند استشعار المحبة " معية النصر والتأييد التي وعد الله بها عباده المحسنين المتقين" إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (النحل / 128) .

هذا الشعور بالمعية لا يسمح للعبد أن يقع اسيرا لليأس والإحباط والاستسلام مهما كانت الظروف صعبة من حوله ومهما كانت المعادلات والحسابات سيئة وفق المنظور المادي المرئي لأنه يملك

حسابات أخرى هي ايمانه بأن الله على كل شيء قدير ، وبأن قوة الله لا تُغلب " إن ينصركم الله فلا غالب لكم" (آل عمران / 160) .

لذلك فإن ضعف الإيمان يعدّ عاملا أساسيا من عوامل الإحباط والاستسلام الذي تمر به الأمه الإسلامية ، وما علها إلا أن تعود إلى أساسيات الإيمان وتعد ما يمكنها من إعداد مادي يلتقي مع هذ الايمان تتحقق معه معية النصر والتأييد من رب العالمين.

(٦) ولعل من أبرز آثار الإيمان بالقدر كذلك السعادة والاطمئنان اللذين يورثهما الايمان بقضاء الله وقدره في نفس المؤمن وقلبه" عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن اصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن اصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (صحيح مسلم / كتاب الزهد / رقم الحديث 2999) .

وعندئذ يقف المؤمن صابرا عند المصيبة رابط الجاش ، رجلا في أوقات الشدة فيعطيه ذلك عزيمة وارادة قوية تظهر أثارها في سلوكه واعماله ، وتنعكس على حياته عطاء واستمراراً في العمل لأن اليأس لم يصل الى قلبه الذي ظل مضيئا باشراقة الأمل فهو يقرأ قوله تعالى "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعمل وانتم لا تعلمون (البقرة / 216) .

وما دامت دائرة علم الانسان ضيقة فإن مشكلة الاختيار تشكل عنده قلقا على فعله أو على تركه لأنه لا يستطيع أن يضمن النتائج فقد يختار فعل ما يضره وقد يختار ترك ما ينفعه وعلى الحالين يكون القلق والندم ، ولكن عقيدة الإيمان بالقدر جاءت تعالج هذه المشكلة وتخرج الانسان من دائرة القلق حين يكل أمره لله فيختار ما يوافق شريعة الله التي ما شرعت إلا ما يحقق سعادة الانسان ، وفي دائرة المباحات يختار ما يرى أنه يحقق له حاجته ويكل النتائج الى الله فيرضى بما يتحقق له لأنه اختار الله تعالى له، ولذلك شرع الاسلام صلاة الاستخارة وهي معالجة نفسية لمشكلة الاختيار وما يعقبها من قلق، وهذه الصلاة مرتبطة ارتباطا مباشرا مع الإيمان بالقدر " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك .....فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري أو قال عاجل امري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري أو قال عاجل امري وآجله ، فاصرفه عني واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به - ويسمي حاجته - " (النووي ، محي الدين، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، ص 110).

وبعد هذه الاستخارة وهذا الدعاء يطمئن قلب المؤمن الى النتيجة بهما كانت ايجابا أو سلبا ، لأنه يعتقد أن الخير فيما اختاره الله تعالى له.

إن المؤمن الصادق الذي يؤمن بأن الخير بيد الله والذي يؤمن بأن حكم الله ماض وأن قضاءه عادل يمتلىء قلبه اطمئنانا وسعادة وثقة بالله رب العالمين ومهما اشتد الأمر عليه يبقى قلبه متعلقا بقوة الله التي لا تقهر وبقدرة الله التي لا حدود لها فيفتح له هذا الايمان نافذة الأمل ، ولذلك فإن المؤمن لا يمكن أن يلجأ الى الانتحار أو اختياره طريقا للخلاص لأن الطريق لا يمكن أن تكون مسدودة تماماً أمام المؤمن " فإن مع العسر يسرا، إن مع لعسر يسراً" (الانشراح / 5 - 6) .

"ولما تحلى المسلمون الأولون بهذه العقيدة كانوا سادة وقادة ، وكانوا خير امة اخرجت للناس وتحققت لهم السعادة العظمى في الدنيا والآخرة": (الميداني ، عبد الرحمن ، العقيدة الاسلامية وأسسها ، ص 802) .

نسأل الله أن يرزقنا الإيمان اليقيني ويثبتنا على هذا الإيمان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تدريب (8)

ما أثر الايمان بالقدر على شجاعة المسلم وقوته في التمسك بمبدئه وحقه؟

أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. وردت كلمة (الهداية) في القرآن الكريم بمعان متعددة ، اذكر ثلاثة منها؟
2. قارن بين مذهب اهل السنة ومذهب المعتزلة في مسألة هداية الله تعالى للانسان؟
3. بين رد ابن حزم الظاهري على استدلال المعتزلة بقوله تعالى" وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى؟
4. ما مفهوم المعتزلة للضلال؟
5. وضح مراتب الهدى والضلال كما ذكرها ابن قيم الجوزية؟
6. "الهداية والإضلال فعل الله سبحانه وتعالى ، والاهتداء والضلال فعل العبد". وضح هذا القول.
7. بين خمسة من آثار الايمان بالقدر في حياة المسلم؟

الخلاصة

أخي الدارس ...اختي الدارسة ، هذه هي الوحدة الرابعة والأخيرة من مقرر منهاج العقيدة الاسلامية(2) بحثت فيها موضوع الايمان بالقدر ، الذي يعد في عقيدتنا الركن السادس من اركان الايمان .

ولقد حاولت جاهدا ان ابسط هذا الموضوع الشائك بأسلوب مبسط مقبول دون أن أغفل كثرة الآراء وتشابكها حول مسائله.

ومن ابرز المسائل التي عرضتها في هذا الموضوع ما يلي:

أولا: مفهوم القدر ومفهوم القضاء / ببيان معناهما في اللغة والاصطلاح مع بيان الفرق بينهما.

ثانياً: ما ورد من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر، مع بيان عقيدة أهل السنة في القدر.

ثالثا: مسألة أفعال العباد بين التسيير والتخيير وهذه من أكثر المسائل اختلافا وتعقيدا ، وقد اعانني الله فبسطت مذاهب الجبرية والقدرية مبينا أدلتهم ووجهات نظرهم ، والرد على هذه الأدلة مع بيان تناقضها وعدم توافقها مع الآيات القرآنية وختمت المسألة بيان عقيدة أهل السنة وكيف أنها جاءت تمثل الوسطية والتوازن بين هذه المذاهب كما أنها جاءت متلائمة مع نصوص الكتاب والسنة .

رابعا: مسألة الهدى والضلال ، وهي كذلك مسألة كثر فيها الخلاف بين من ينسب الهدى والضلال لله تعالى وحده وبين من ينسبهما للإنسان وبين من ينسب الهدى لله والضلال للعباد ، وبينت مذهب أهل السنة الذي يوفق بين النصوص القرآنية التي جاءت تحيط بالمسألة من كل جوانبها مبينة أن الهدى والضلال بيد الله ، وأنه سبحانه هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ولكن الهدى على مراتب أهمها هداية الإرشاد والدلالة التي قام بها الرسل عليهم الصلاة والسلام مبينين للناس منهج ربهم ، وهداية الإلهام والإيمان التي يخلقها الله تعالى في قلوب عباده المستحقين لها.

خامسا: اثر الإيمان بالقضاء والقدر على سلوك المسلم وأعماله اليومية وما يورثه هذا الإيمان من سعادة وطمأنينة للمسلم ، وما يكسبه من شجاعة في مواقفه وصدق في توكله على الله تعالى .

هذا وقد حرصت على توضيح كل مسألة من هذه المسائل مبينا آراء المذاهب التي انحرفت عن الحق وموضحا القول الحق الذي ذهب اليه أهل السنة فيها ، ولقد حاولت بسط هذه المسائل بطريقة مبسطة قابلة للفهم بسهولة ويسر.

6. إجابات التدريبات

تدريب (1)

يتناول القدر قضيتين اساسيتين هما:

الأولى : علم الله الأزلي الذي حكم فيه إيجاد الأشياء التي اراد أن يوجدها حسب مواصفات حدّدها سبحانه ، وكتب ذلك كله في اللوح المحفوظ.

الثانية: خلق الله هذه الأشياء المقدّرة وايجادها على النحو الذي سبق علمه ، وسبقت كتابته فيأتي الواقع مطابقا للعلم السابق المكتوب.

تدريب (2)

نعم هذا ما قاله ابن الأثير رحمه الله عند حديثه عن الفرق بين القدر والقضاء ، فبينا أن القدر بمنزلة الأساس والقضاء بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ، وقد وضح الشيخ الطنطاوي ذلك بمثال العمارة التي يراد بناؤها فالمهندس المختص يضع التصميم والمخطط مبينا في هذا المخطط مساحة البناء من أبواب ونوافذ ، وهذا كله يمثل القدر، وبعد ذلك يأتي المقاول لينفذ حسب ما قدره المهندس وهذا مثال القضاء.

تدريب (3)

الأحاديث التي دلت على وجوب الإيمان بالقدر كثيرة منها:

1. قوله صلى الله عليه وسلم، في حديث جبريل الذي رواه الامام مسلم وغيره ومن هذا الحديث : قال ما الإيمان؟ فقال صلى الله عليه وسلم " أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ورسله وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر".

2. ما أخرجه الرمذي عن على بن ابي طالب رضي الله عنه أن رسول الله قال : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع ، يشهد أن لا اله إلا الله وأنى رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر.

تدريب (4)

نقول لهؤلاء الجهلة أولا: إن هذا الاحتجاج الباطل الذي يحتجون به تسويغاً لتقصيرهم هو نفس ما احتج به المشركون ، فقد جاء مشركو، قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزل قوله تعالى "يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر".

وقد بين القرآن الكريم نوع احتجاجهم "لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء" ورد القرآن الكريم هذا الاحتجاج بقوله سبحانه " قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن وإن انتم لا تخرصون".

وبذلك ندخل الى الرد الثاني على هؤلاء الجهلة فنقول لهم لم يطلع على اللوح المحفوظ ليرى معصية مكتوبة عليه، فحين فعلها لم يفعلها تنفيذاً لحكم القدر لأنه لا يعرفه اصلا، وإنما نفذها مشبعا لشهوته ومستجيبا لوسوسة الشيطان وأخيرا نقول لهؤلاء الجهلة : لو كنتم صادقين في احتجاجكم لرضيتم بكل قدّر لكم من فقر ومرض وفقد حبيب أو مال والمشاهد أنكم غير ذلك فانتم تكدون وتتعبون لجمع المال واسكان الجوع ودفع الضرر وما إلى ذلك.

تدريب (5)

لقد اثبت القرآن الكريم ان الفعل والعمل شيء وذلك في قوله تعالى "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيراً لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم" (البقرة / 216) ، فالقتال فعل، وعده القرآن الكيم شيئا.

وإذا كان الفعل شيئا بنص القرآن والله خالق كل شيء بنص القرآن كذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد بلا ريب.

تدريب (6)

مذهب اهل السنة في مسألة التسيير والتخيير في أفعال العباد يمثل الوسطية فلم يتطرف مع الجبرية الذين سلبوا الانسان ارادته تماماً وأعفوه من كل مسؤولية ، وجعلوه كالريشة في مهب الريح أو كالجنازة بين يدي المكفن.

ولم يتطرفوا كذلك مع القدرية الذين غالوا في قدرة الانسان حتى جعلوها قدرة خالقه فصارت وكأنها ندٌ لقدرة الله الخالقة ، ولم يقدروا الله حق قدره إذ زعموا أن قدرته قاصرة عن خلق أفعال العباد، وأرادوا أن ينزهوا الله تعالى عن ارادة الشر أو الأمور القبيحة فنسبوا اليه العجز عن خلقها أو ارادتها.

كان مذهب اهل السنة وسطيا حينما وضع الأمور في نصابها بأن الله تعالى خالق كل شيء وبدن استثناء وبقدره الله تعالى على كل شيء وبعلمه المسبق المطلق لكل شيء كان او سيكون.

ولكنهم اعترفوا بأن ارادة الله تعالى اقتضت ان تكون للانسان ارادة جزئية وحرية في اختيار افعاله تتعلق بها مسؤوليته ويكون على اساسها الابتلاء والتكليف.

تدريب (7)

للهداية مراتب أهمها مرتبتان: الأولى : هداية البيان والثانية هداية التوفيق والإلهام.

وهداية البيان هي هداية الدلالة والإرشاد والتعليم وهي خاصة بالمكلفين ، وهي ما تكفل بها الرسل والدعاة حيث بينوا لأقوامهم ما يدلهم على طريق الخير والرشاد ، ولا تستلزم هذه الهداية الالتزام ولا تجبر عليه فقد تلوفرت لكل الأقوام الذين جاءهم رسلهم بها ومنها قوله تعالى "وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى".

أما هداية التوفيق والإلهام ، فهي الهداية التي يختارها الله تعالى لمن يشاء من خلقه تكرما وفضلا وليس لأحد أن يسأله سبحانه لم اختار الهداية لفلان ولم اعان فلاناً ولم يعن فلاناً. متذكرين بأن الله تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة ولكن الناس انفسهم يظلمون.

تدريب (8)

للإيمان بالقدر آثارعظيمة على سلوك المسلم ومن ذلك أثر الإيمان بالقدر على تنمية الشجاعة عند المسلم. إن المؤمن يقف عند المصيبة رجلاً شجاعاً رابط الجاش لأنه يعلم أن الأمر بيد الله ومن الله، ويتذكر قوله تعالى "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".

وحينما يؤمن ان الأجل بيد الله وأن الرزق بيد الله وأن النفع والضر بيد الله ولو اجتمع اهل السموات والأرض على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، كل هذا يجعل المسلم يقف شجاعا امام اعدائه لا يبالي بالموت ولا يخشاه.

7. شرح المصطلحات

الجبرية: أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، يقولون أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهي اضطرارية بالنسبة للانسان مجبور عليها كحركات المرتعش والعروق النابضة وحركات الأشجار.

القدرية : هم نفاة القدر ، من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا أن الإنسان هو الذي يقدر أفعاله ويوجدها ، وجعلوا العباد خالقين مع الله ، وللإنسان قدرة يخلق بها أفعال نفسه.

كسب الأشعري : محاولة للامام أبي الحسن الأشعري للخروج بصيغة جديدة تتوسط بين مفهومي الجبرية والقدسية لمسألة أفعال العباد. وقد وافق فيها مذهب أهل السنة بأن أفعال العباد مخلوقة ومسؤولية الإنسان عن اختياره ، ولكنه سمى فعل الإنسان كسباً ، والله سبحانه وتعالى حين يرى من العبد عزماً وتصحيحاً على اقتراف الفعل فانه يخلق له الفعل ويمدّه في نفس الوقت

بالاستطاعة البشرية التي يقتصر دورها على اكتساب الفعل المخلوق. وبذلك يكون الفعل قد وقع من الله سبحانه خلقاً وإيماناً من العدم، ومن العبد اكتساباً واقتراناً بالارادة والاستطاعة البشرية.

الهدي العام: وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، ومنه قوله تعالى «الذي خلق فسوّى والذي قدّر لهدى» وهذه يخلقها الله تعالى عند جميع مخلوقاته وليست منحصرة في البشر وحدهم، ووفقها تسير حركة الحياة.

طفرة النظام: مسألة انفرد بها النظام المعتزلي دون سائر المعتزلة وهي القول بأن الله خلق هذه الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن من نبات وحيوان وجبال وبحار ولم يتقدم خلق آدم على ذريته، والتقديم والتأخير في الظهور فقط، وهذه طفرة لم يسبقه اليها أحد.

المراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير، مجد الدين ابو السعادات، جامع الأصول في احاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، 1389 هـ / 1969 م.
3. الأشقر، د. عمر، القضاء والقدر، مكتبة الفلاح ودار النفائس، الكويت، الطبعة الثانية، 1410 هـ / 1990 م.
4. البخاري، محمد بن اسماعيل، خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، سنة 1389 هـ - 1969 م.
5. البغدادي، ابو منصور، اصول الدين، نشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستنبول، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة، اسطنبول، 1346 هـ - 1928م.
6. البوطي، محمد سعيد، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1402 هـ.
7. البيهقي، أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد، تصحيح الشيخ احمد مرسي، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة 1380 هـ.
8. الترمذي، محمد ين عيسى، الجامع، طبع مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965 م.
9. التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد.
10. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوى، كتاب القدر مجلد 8، نشر وتوزيع الرئاسة العامة لادارات البحوث بالرياض.
11. ابن حزم، ابو محمد على بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية سنة 1395 هـ - 1975 م.

12. الحكمي ، حافظ بن احمد ، معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد ، من مطبوعات الرئاسة العامة لادارات البحوث -- الرياض.
13. الحنفي ، ابن ابي العز، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق الألباني، نشر : المكتب الاسلامي - بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1399 هـ .
14. الخطيب ، عبد الكريم ، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1380 هـ - 1961 م .
15. الخياط ، عبد العزيز ، القضاء والقدر، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية، عمان ، سنة 1977 م .
16. الدسوقي ، دار فاروق ، القضاء والقدر، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية، 1406 هـ .
17. الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد ، ميزان الاعتدال ، تحقيق على محمد البجاوي ، طباعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1963 م .
18. الرازي ، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت ، عنيت بضبط الطبعة وتصحيحها السيدة سميرة خلف الموالي. (بدون تاريخ) .
19. زاده، طاش كبرى، مفتاح السعادة ، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1968 م .
20. الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين ، دار الفكر، بيروت.
21. السائح ، عبد الحميد ، عقيدة المسلم وما يتصل بها ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية ، الطبعة الثانية، 1404 هـ - 1983 م .
22. الشعراوي ، محمد متولي، القضاء والقدر، إعداد وتقديم أحمد فراج، دار الشروق، القاهرة الطبعة الثانية ، 1975 م .
23. شقرة ، محمد ابراهيم ، رفع الجهالة والغرر عن مسالة القضاء والقدر، الطبعة الثانية ، عمان ، 1409 هـ - 1988 م .
24. الشنقيطي ، محمد الأمين ، اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية بالرياض ، 1403 هـ - 1983 م .
25. الشهرستاني ، ابو الفتح، الملل والنحل ، مطبوع على هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1395 هـ .
26. الطنطاوي ، علي ، تعريف عام بدين الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، 1401 هـ - 1981 م .
27. عبد الحميد ، د. عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1404 هـ - 1984 م .
28. العسقلاني ، ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار صادر بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية، حيدر اباد، سنة 1325 هـ .

29. العسقلاني ، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، طبعة المكتبة السلفية (دون تاريخ) .
30. القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العرب للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1387 هـ - 1967 م .
31. قنبس ، عبد الحليم محمد، مسألة القضاء والقدر، مراجعة وتعليق ، خالد عبد الرحمن العك ، بيروت، 1980 م .
32. ابن قيم الجوزية ، شمس الدين، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الأولى 1323 هـ .
33. المناوي ، عبد الرؤوف ، الاتحافات السنيّة بالأحاديث القدسية ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
34. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
35. المسعودي ، مروج الذهب، مطبعة التحرير ، القاهرة.
36. النابلسي ، عبدالغني ، رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمغربي التلمساني.
37. النووي، محي الدين يحيى بن أشرف ، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي ومكتبة المثنى، بيروت ، الطبعة الثانية، 1392 هـ - 1972 م .
38. النووي، محي الدين، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، طباعة ونشر مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1375 هـ - 1955 م .
39. النيسابوري، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع : الرئاسة لإدارات البحوث بالرياض، 1400 هـ - 1980م .
40. اللالكائي، ابو القاسم الطبري ، شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة، دار طيبه - الرياض.